القول المغني في شرح السنة للمزني

للإمام: إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبي إبراهيم المزني رحمه الله (المتوفى: ٢٦٤هـ)

شرح الشيخ/
صبري محمد عبد المجيد
حفظه الله

تقديم

فضيلة الشيخ/
أحمد سليمان أيوب

وفضيلة الشيخ/
محمد عبد العزيز

مقدمة الشيخ أحمد سليمان أيوب

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد ﷺ، وبعد؛

فهذه تحفة سُنِّيَّة أُخرى يُقدمها لنا أخونا وصاحبنا فضيلة الشيخ الدكتور/ **صبري عبد المجيد**، حول أحد معتقدات سلفنا الصالح، هذا المعتقد النقي الصافي قد تَنَكَّبَ عنه جماعاتٌ وفرقٌ وأحزابٌ، فخالفوا منهج السلف بآرائهم، وعقولهم، وأقيستهم، فكلما جَدَّتْ بهم نازلةٌ تزلزلتْ عقائدهم، وكلما وقعتْ حادثةٌ تلاعبوا بثوابتهم، فلا الإسلام نصروا، ولا العدو كسروا؛ بل خابوا وخسروا وهانوا على الله فأوكسهم، وأتى بنيانهم من القواعد فخرت عليهم الصواعق، وتزلزلت وَطَائِدُهُم الراسية، فأصبحت كأنها أعجازُ نخلٍ خاويةٍ، وهل تتطور العقائد عند حدوث المُدْلَهِمَّات والزلازل، أم هو الجهل، والطيش، والعجز، والحمق، فما لم يكن يومئذ دينًا لا يكون اليوم دينًا، وكلُّ خير في اتِّباع من سلف، فما أحوجُ الدُّعاةِ والشبابِ إلى الأوْبةِ الصادقة، فننهلُ من علوم الهُدَاةِ، لا من فنون البُغاة، ومن ينابيع العلم، لا من طلاسم الفكر، فقد كثر دُعاة الضلالةِ وعمَّ خطرهم، وتأثر بهم من كان على شاكلتِهِم، فهم في كل يوم على دين جديد، كلما ظهر داعٍ للضلالة اتَّبعوه، وتركوا سابَقَهُ، وما أروع ما قاله مالكٌ الإمام -عندما انصرف يومًا من المسجد فلحقه رجل مرجئ-،

فقال: يا أبا عبد الله اسمع مني شيئًا أكلمك به، وأحاجُّك، وأخبرك برأيي؟

فقال مالك: فإن غلبتني؟

قال: فإن غلبتُك اتبعتني.

قال: فإن جاء رجل آخر فكلمنا، فغلبنا؟

قال: نتبعُهُ.

فقال مالك: يا عبد الله، بعث الله محمدًا بدينٍ واحد، وأَراك تنتقل من دينٍ إلى دينٍ[1].

فهذه سلسلةٌ مباركةٌ؛ لإظهار، وبيان، وشرح عقيدة من عقائد السلف، وكلُّها مُتَّسِقَةٌ متآلفةٌ، سهلةٌ متجانسةٌ، قريبةُ التناولِ، مركزة في محاور، بعيدة عن التكلُّفِ، وقول الأصاغر.

فنسأل الله أن ينفع بها شارحها، وقارئها، وكاتبها.

وصلى اللهم على محمد وعلى آله وصحبه.

كتبه/

أحمد بن سليمان أيوب

١٤٣٦/٥/٥هـ

---

[1] انظر: «الإبانة لابن بطة» (٥٨٣).

مقدمة الشيخ محمد عبد العزيز

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ﴾[1].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. أما بعد؛

فقد أطلعني أخي الحبيب فضيلة الشيخ: **صبري بن عبد المجيد** -حفظه الله تعالى- على مصنفه: «**القول المغني في شرح السنة للمزني**»، فَأَلْفَيْتُهُ مصنفًا لطيفًا قد أتى على مقاصد أصله في غالب مباحثه، فَبَيَّنَها بيانًا حسنًا، ثم زاد على ذلك مباحث دقيقة، وتحريرات رائقة، بإسلوب سهل بعيد عن التعقيدات اللَّفظية، والإغراق في المباحث الكلامية، بل كان حريصًا على النُّقولِ الأثريةِ بيانًا لمُشْكَلِ المسائلِ وعَوِيصِهَا، مدلِّلاً على مسائل الأصل والشرح بالوحيين، فطابق اسمه رسمه، وأبان عن عقيدةٍ سلفيةٍ صافيةٍ.

---

(1) [الكهف: ١، ٢].

والإمام أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني -صاحب شرح السنة-

هو: فقيه الديار المصرية في زمانه، وحامل لواء مذهب الشافعي من بعده، وأتقن أصحابه، وأنبلهم.

قال ابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ): وكان فقيهًا، عالمًا، راجح المعرفة، جليل القدر في النظر، عارفًا بوجوه الكلام والجدل، حسن البيان، مقدمًا في مذهب الشافعي، وقوله وحفظه وإتقانه، وله على مذهب الشافعي كتبٌ كثيرة لم يلحقه أحد فيها، ولقد أتعب الناس بعده؛

منها: «**المختصر الكبير**» نحو ألف ورقة.

ومنها: «**المختصر الصغير**» الذي عليه العمل نحو من: ثلاث مئة ورقة، شرحه قوم كثير، منهم: **أبو إسحاق المروزي، وأبو العباس بن سُرَيج.**

ومنها: نحو من **مئة جزء مسائل منثورة في فنون من العلم ورد على المخالفين له.**

وكان أعلم أصحاب الشافعي بالنظر، دقيق الفهم، والفطنة، انتشرت كتبه ومختصراته إلى أقطار الأرض شرقًا وغربًا، وكان تقيًّا، ورعًا، ديِّنًا، صبورًا على الإقلال والتقشف[1].

---

[1] انظر: الانتقاء في فضائل الأئمة الفقهاء مالك، والشافعي، وأبي حنيفة رضي الله عنهم (ص١١٠).

ومصنفه هذا من أُمَّات المصنفات التي تُبين عقيدة السلف، وتوضحها أبلغ بيان في عبارات رائقة صافية، واضحة الدلالة، بعيدة عن التعقيدات الفلسفية، والصيغ المنطقية، التزم صاحبها في جُلِّهَا بألفاظ الوحيين فلم يخرج عنها، ونقلها عنه أئمة أجلاء من بعدها حتى نقلها كلها عنه الإمام ابن قيم الجوزية في «اجتماع الجيوش الإسلامية»[١].

ونقل مقدمتها وشيئًا من رسمها عنه الحافظ الذهبي في «العلو للعلي الغفار»[٢].

والمصنف - رحمه الله تعالى - على علو قدره ونبله، حسده الحاسدون، حتى رموه بقوارس الكلمات، بما هو بريء منه، والله الحكم بينهم، يوم لا ينفع مال ولا بنون - فتجاوز الله عنهم - فإن لحوم العلماء مسمومة، وأعراض المسلمين مصونة، فكيف بأئمتهم.

قال ابن عبد البر: وكان من يعاديه وينافسه من أهل مصر، يرمونه بأنه كان يقول: القرآن مخلوق، وهذا لا يصح عنه، فهجره قوم كثير من

---

[١] انظر: «اجتماع الجيوش الإسلامية على عزو المعطلة والجهمية» (٢/ ١٦٦ - ١٧٠).

[٢] انظر: «العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها» (ص١٨٥).

أهل مصر، حتى كان يجلس مع نحو عشرة من أصحابه إلى عمود في المسجد[1].

بل وعقيدته تلك إنما صنفها لمَّا أرسل إليه بعض محبيه، ليستطلع ما عنده تبرئةً لساحة شيخه، وبيانًا لمنهجه، وإقامة للحجة على حاسديه، لمَّا أكثر عليه شانئوه، حتى رموه بقول الوقفية في القرآن، بل وجزم بعضهم أنه قائل بقول الجهمية فيه – القول بخلق القرآن – كما سيأتي في سند الرسالة من قول «عليٍّ بن عبد الله الحُلْواني»، فكتب إليهم برسالته تلك، فأبان فيها عن عقيدةٍ سلفيةٍ، عقد قلبه عليها، ونصح للأمة بها.

فَدُونَكَ – أخي الكريم – هذه العقيدة الصافية، وهذا القول المغني عليها.

أسأل الله العظيم أن يتقبلَ هذا العمل من مؤلفه، وشارحه، وأن يجعله في ميزان حسناتهما يوم الدين، وأن يتجاوز عنهما بفضله ومنه وكرمه، آمين.

وكتبه/

أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز

---

[1] انظر: «الانتقاء في فضائل الأئمة الفقهاء مالك، والشافعي، وأبي حنيفة رضي الله عنهم» (ص١١٠).

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، ولا ندَّ، ولا مثيل له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(٢).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(٣).

أما بعد؛

---

(١) [آل عمران: ١٠٢].

(٢) [النساء: ١].

(٣) [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هديُ محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

من الثوابت في تكوين شخصية المسلم وثباته -لا سيما عند الفتن-، العقيدة، وهي ما يَعْقِدُ عليه المسلم قلبه، من معتقد صحيح في الله ورسوله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وما جاء عنهم، فيدافع عنه، ويدعوا إليه، فهو راسخ برسوخ ذلك، وهي رأس أصول السنة، وذُرْوَة سنامها، التي هي المنهاج -الطريق الواضح- في كل زمان ومكان، ما بقي الليل والنهار.

ولذا؛ فقد اهتم جماعة من أئمتنا السالفين -رحمهم الله تعالى- بالتصنيف في أصول السنة، فأجمل بعضهم وأضمر، وأسهب الآخر وفَصَّلَ، كما هو واضح في أصول السنة: للمزني، وأحمد، والحميدي، والطبري، والبربهاري، وابن أبي زمنين، وأبي القاسم الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة»، وغيرهم.

وقد شرحتُ كل هذا لطلبة العلم، وبَيَّنْتُ غوامضها المسند منها، وغير المسند، والحمد لله رب العالمين.

وهذا الشرح المسمى «**القول المغني في شرح السنة للمزني**» قام بنسخه وإعداده للطباعة، ومراجعته على الأصول، أحد الطلبة النُّشطاء المُلازمين لمجالس العلم، لا سيما علم الحديث، وهو الأخ/ أنس صلاح،

جزاه الله خيرًا، ولم يُخبرني بمشروعه هذا إلا بعد الانتهاء منه، فَسُرِرْتُ به، واستحسنتُه، وشكرتُه، وقد ساهم معه في شيء من العمل، صاحبه ومثله، الأخ/ محمد عبد الحافظ، جزاه الله خيرًا، وقام بمقابلته طالبان من خواص طلبة العلم النشيطين في أصوله وفروعه والدعوة فيه، وهما: الأخ/ محمد غريب، والأخ/ محمد الصادق، جزاهما الله خيرًا.

وقد تفضل الأخ/ محمد غريب، حيث أتى بالأصل المخطوط، وهو تحت رقم (**٦٩١** مجموع) من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة حفظها الله، لما كان معتمرًا.

وأما عن الشرح، فقد التزمتُ فيه مراعاة حال الطلبة من حيث العموم والخصوص، من غير استطراد يَمَلُّ منه الطالب، ولا اختصار يخل بالمقصود، واكتفيتُ بأظهر الأدلة دلالة من القرآن، وصحيح السنة، والمأثور عن الصحابة ﵃ ومن تبعهم بإحسان، ولم ألتزم التعليق على كل كلمة للمصنف، وقد أُعَلِّقَ على مفردات من كلامه للحاجة إليها، ولكشف غامضها؛ لأنه لم يكن في قراري عند الشروع في الشرح طباعته.

وقد رأيتُ من المناسب أن أُدرج مدخلاً مهما في مقدمة هذا الشرح، والذي كنت كتبته في بداية شرحي لكتابي «الإيمان لأبي بكر ابن أبي شيبة»، و«الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام»، رحمهما الله تعالى، وهما تحت الإعداد للطباعة إن شاء الله.

فإن كان من توفيق ظاهر، فهو من فضل الله وإحسانه، وإن كان من تقصير، فهو من نفسي، والله عفو رحيم، أسأله الصدق والإخلاص في القول والعمل.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل للأخوين الكريمين الشيخين الفاضلين الجليلين:

فضيلة الشيخ/ محمد عبد العزيز السيد-حفظه الله.

وفضيلة الشيخ/ أحمد سليمان أيوب-حفظه الله.

حيث تفضَّلا بالتقديم لهذا الشرح، بعد استقراء، وإبداء الملاحظات، وإن كان من شيء يضاف كتابةً، أثبتُّه في الحاشية، وبجواره الرمز الدال على صاحبه، وهو في أكثر من موضع لفضيلة الشيخ/ محمد عبد العزيز، ورمزت له بالرمز «ع»، فجزاهما الله خيرًا، وبارك فيهما، ونفع بهما، وبعلمهما.

أسأل الله عز وجل أن ينفعنا بما علَّمنا، وأن يعلِّمنا ما جهلنا، وأن يرزقنا الفقه في الدين، وأن يتجاوز عن أخطاءنا، ونسأله العفو والعافية في الدنيا والآخرة، إنه نعم المولى ونعم النصير.

كتبه/

صبري محمد عبد المجيد

الاثنين: ١/٧/١٤٣٦هـ

مدخل

حصرتُ هذا المدخل في خمسة عناصر:

الأول: تعريف الفُرقة والفِرقة.

الثاني: الفرق بين الفِرَق والمذاهب.

الثالث: الفرق بين الاختلاف والافتراق.

الرابع: نشأة الفرق.

الخامس: أساسيات مهمة في دراسة العقيدة الإسلامية قام عليها السلف الصالح وخلفُهم.

العنصر الأول: تعريف الفُرقة والفِرقة.

الفُرقة: لفظ يدل على الاختلاف والافتراق، والفصل بين الشيئين، ويقال: فارق الشيء مفارقة وفِراقًا، وهى من سمات المشركين، قال تعالى: ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[١].

وعليه؛ فالفُرقة خلاف الاجتماع، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[٢].

والفِرقة: هي طائفة من الناس تتميز بفكر ومعتقد معين مخالف تُعرف وتُدَعَى به، فهي ما افترقت بمعتقد مخالف تراه صحيحًا، وتدافع عنه، ولذا فهذا في الاصطلاح له ارتباط وثيق بأصول العقيدة.

---

[١] [الروم: ٣١، ٣٢].

[٢] [آل عمران: ١٠٣].

العنصر الثاني: الفرق بين الفِرَق والمذاهب.

ما هو الفرق بين مفهوم الاختلاف بين الفرق والمذاهب؟

أولًا: العقيدة مأخوذة من العقد، ومنه عقد الحبل، وسميت بذلك؛ لأنها مما يجب أن يُعقد عليه القلب.

فالعقائد هي: ما يُعقد عليه القلب، ولا يتردد فيه، ولا يشك في صحته، كأنه عُقِد عليها حتى لا يمكن تغييرها، ولا حلها، ولا إخراجها، وهذا سبب تسمية هذا النوع من العلم بـ «العقائد».

ثانيًا: الاختلاف بين الفرق مبناه على المعتقد، كالاختلاف بين أهل السنة وغيرهم، فنقول: فرقة الخوارج، والمعتزلة، والأشاعرة، والروافض، والقدرية، والجهمية ... إلخ.

فالأصل: هم أهل السنة والجماعة، أصحاب المنهج المتمثل في القرآن وسنة النبي ﷺ، والقرآن عندهم قطعي الثبوت قطعي الدلالة غالبًا، وإلا نقول قطعي الاستدلال.

والسنة إذا ثبتت فهي قطعية الدلالة غالبًا، وإلا نقول قطعية الاستدلال، فمتى ثبت النص وجب الأخذ به والعمل في العقائد، والعبادات، والمعاملات، والآداب، والأخلاق ....، وهذا باتفاقٍ، خلافًا لكثير من المتكلمين الذين تغذوا بالفكر اليوناني، ثم الاعتزالى، فَأَثَّر فيهم من وجوه كثيرة، ومن تبرأ منهم بأخرة فقد عُصم.

فالفرقة قد تكون مسلمة، أو غير مسلمة، حسبما درجة الخلل في المعتقد، وعندئذٍ يتضح الفرق بين الفِرقة والنِحلة على طريقة «ابن حزم، والشهرستاني، وعبد القاهر البغدادي» في تصانيفهم، ومن قبلهم «أبي الحسن الأشعري» على اختلافٍ متقارب بينهم في كيفية التصنيف والعرض أصلاً وفرعًا.

وأما الاختلاف بين المذاهب كـ «الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي، والظاهري» فهو في فروع الدين – يعنى جانب الحلال والحرام المثبتة فيه، والواجب، والمستحب، والحرام، والمكروه – لا في أصوله العقائدية، فلا نقول: فرقة الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنبلية ...

ولذا؛ فاصطلاح الفِرقة عند من صنف في «الفِرق» له ارتباط أصيل بالاعتقاد، وهذا الكلام يُتوَّج بقول عبد القاهر البغدادي (**٤٢٩**هـ) رحمه الله: وقد علم كل ذي عقل من أصحاب المقالات المنسوبة إلى الإسلام أن النبي ﷺ لم يُرد بالفِرق المذمومة التي هي من أهل النار فِرق الفقهاء الذين اختلفوا في فروع الفقه مع اتفاقهم على أصول الدين؛ لأن المسلمين فيما اختلفوا فيه من فروع الحلال والحرام على قولين:

أحدهما: قول من يرى تصويب المجتهدين كلهم في فروع الفقه، وفِرَقُ الفقه كلها عندهم مصيبون.

والثاني: وقول من يرى في كل فرع تصويبَ واحدٍ من المختلفين فيه، وتخطئة الباقين من غير تضليل منه للمخطئ فيه[1].

وهذا الكلام يحتاج إلى توضيح حسبما ظهر لنا من دراسة الفقه المقارن.

أما القول الأول: فلا يُسلَّم له على إطلاقه، بل يجب تقييده بما يسوغ فيه الخلاف؛ كأن يكون لكل فريق دليله الصحيح القوى، وهذا لا يخفى، أما أن يخالف اعتمادًا على رأى مجرد، أو على استنباط فقط، أو نص ضعيف أو موضوع (مكذوب) في محله، أو نص صحيح في غير محله، فهذا لا شك في رَدِّه قولًا واحدًا، وعدم اعتباره مع الاعتذار لقائله، وهو حالنا مع سلفنا رحمهم الله، وأما أن يكون داعية إلى الفساد كما هو حال جماعة من المعاصرين المقلدين تقليدَ الأعمى، واعتمادهم لشذوذ الأقوال وسقيمها، فلا اعتذار ولا اعتبار؛ بل تحذير وتعقيب.

وأما القول الثاني: فمبناه على ما لا يسوغ فيه الخلاف كما سبق بيانه في القول الأول.

وقال عبد القاهر البغدادي رحمه الله: وإنما فصل النبي ﷺ بذكر الفرق المذمومة فرق أصحاب الأهواء الضالة الذين خالفوا الفرقة الناجية في أبواب العدل والتوحيد، أو في الوعد والوعيد، أو في بابي القدر،

---

[1] انظر: الفَرق بين الفِرق (ص: ٢٥).

والاستطاعة (القدرة)، أو في تقدير الخير والشر، أو في باب الهداية والضلالة، أو في باب الإرادة والمشيئة، أو في باب الرؤية والإدراك، أو في باب صفات الله عز وجل، وأسمائه وأوصافه -صفاته-، أو في باب من أبواب التعديل والتجويز، أو في باب من أبواب النبوة وشروطها، ونحوها من الأبواب التي اتفق عليها أهل السنة والجماعة من فريقي الرأي[1]، والحديث على أصل واحد خالفهم فيها أهل الأهواء الضالة من القدرية، والخوارج، والروافض، والنجارية، والجهمية، والمجسمة، والمشبهة، ومن جرى مجراهم من فرق الضلال، ... فإن المختلفين فيها يُكَفِّرُ بعضهم بعضًا، فصح تأويل الحديث المروى في افتراق الأمة ثلاثًا وسبعين فرقة إلى هذا النوع من الاختلاف دون الأنواع التي اختلفت فيها أئمة الفقه من فروع الأحكام في أبواب الحلال والحرام، وليس فيها بينهم تكفير ولا تضليل فيما اختلفوا فيه من أحكام الفروع[2].

قلت صبري: أُنَبِّه مُحذرًا مما اشتُهر على ألسنة الشباب المعاصر قولهم: «لا نكران على المخالف»، اعتمادًا على بعض المضلين المخربين شاع صيتهم أو ركد!!!، فإن هذه القاعدة المزعومة، باطلة ساقطة بهذا السياق إلا أن نقول: «لا نكران على المخالف المعتبر»، وضابط الاعتبار، القرآن،

---

(1) قلت: لأنه من المتكلمين، نسأل الله أن يكون عصمه منهم وقد عدَّ نفسه منهم.

(2) انظر: الفَرق بين الفِرق (ص: ٢٦).

وصحيح السنة بفهم سلف الأمة، وإلا فلا وألف لا، كما سبق بيانه بضابط ما يسوغ وما لا يسوغ الاختلاف فيه، ومثلها ما اشتُهر على ألسنة قوم: «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه»!!!.

وبالجملة: يكون الافتراق هو الخروج عن السنة والجماعة في أصل أو أكثر من أصول الدين الاعتقادية، وفيما هو معلوم من الدين بالضرورة.

وأهل الافتراق والأهواء كلهم أصحاب بدع اعتقادية كانت، أو قولية، أو عملية، أو أحدها، أو كلها، فهي غالبًا متلازمة، ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ) رحمه الله: والبدعة مقرونة بالفُرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال: أهل السنة والجماعة كما يقال: أهل البدعة والفُرقة[(١)]. اهـ

فالفُرقة: أعظم سمة من سمات أهل البدع والأهواء، بل من سمات المشركين كما في سورة الروم: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[(٢)].

وقريبٌ مما سبق، سؤال نطرحه وهو «العنصر الثالث».

---

(١) انظر: الاستقامة (١/ ٤٢).

(٢) [الروم: ٣١ – ٣٢].

العنصر الثالث: الفرق بين الاختلاف والافتراق.

ما الفرق بين الاختلاف والافتراق؟

١-يمكن القول بأن كل افتراق اختلاف، وليس العكس.

٢-وأن الافتراق غير سائغ، والاختلاف المعتبر سائغ؛ وذلك لأن الافتراق إنما يكون في المعتقدات، وما عُلم من الدين بالضرورة.

وأُنبِّه مرة تلو الأخرى على أن القرآن قطعي الثبوت قطعي الدلالة والاستدلال، والسنة قطعية الدلالة والاستدلال إذا ثبتت باتفاق أئمة أهل السنة، ولا عبرة بشذوذ من خالف زاعمًا ظنية الثبوت وقطعية الثبوت على التفريق بينها؛ لتحقيق مآربه الفاسدة لتدمير العقيدة كقولهم: "لا يعمل بأحاديث الآحاد في العقيدة".

٣-وأن الافتراق مذموم كله، والاختلاف ليس كله مذمومًا، بل قد يُعذر صاحبه ويؤجر إذا كان مجتهدًا في إظهار الحق للقول به والعمل.

٤-وأن الافتراق يكون بالهوى، والاختلاف ليس كذلك غالبًا.

٥-وأن الافتراق عذاب وأهله هالكون ومتوعدون، والاختلاف المعتبر رحمة.

وبعد؛ فهو المراد من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾[١].

---

[١] [الأنعام: ١٥٩].

س/ ما الضابط في الحكم بالافتراق؟

ج/ تعتبر المفارقة فيمن خالف أهل السنة والجماعة في أصل أو أكثر عقائدي أو في شيء معلوم من الدين بالضرورة باتفاقهم عليه وإشاعته حتى عمَّت به البلوى، أو منصوص عليه من طرق صحيحة صريحة، وكذا فيمن خالف في فروع كثيرة من الشعائر والعبادات بشبهةٍ حتى أخرجته عن سمة أهل السنة وهديهم، والله أعلم.

وفى ذلك ترى التصنيفات من السالفين في أصول السنة، وقد جَمَعَت ما يتعلق بأركان الإيمان والإسلام والأحكام.

العنصر الرابع: نشأة الـــفرق

لقد كان أصحاب رسول ﷺ على فطرة سليمة، وعقيدة صافية، تربَّوا فيها على الأصلين «الكتاب والسنة»، وهم بين ظهراني النبي ﷺ، فلم يظهر هناك أي مخالفات، أو محدثات إلا ما كان من أحد الأعراب، واسمه: "ذو الخويصرة"، عندما اعترض على النبي ﷺ في تقسيمه بعض الغنائم على أصحابه، وحديثه عند «البخاري» في «كتاب المناقب» باب: «علامات النبوة في الإسلام»، وعند «مسلم» في «كتاب الزكاة» باب: «ذكر الخوارج وصفاتهم»، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسمًا، أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله، اعدل، فقال رسول الله ﷺ: «ويلك ومن يعدل إن لم أعدل؟ قد خبت وخسرت إن لم أعدل»، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله، ائذن لي فيه أضرب عنقه، قال رسول الله ﷺ: «دعه، فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن، لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ...»[1].

واضح من السياق مناسبة الترجمة عند «البخاري، ومسلم»، وهذه فائدة نحتاجها لاحقًا إن شاء الله تعالى.

---

[1] أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (٢٤٥٣).

بدأت الفتن والفُرقة بين المسلمين في أواخر عهد عثمان بن عفان ﵁، حيث جأر البعض!!! بالشكوى من ولاية عثمان ﵁، ثم بدأت الشكوى!!! من عثمان ذاته بمقولة مزعومة أنه يولي العمال من ذوي رحمه وقرابته!!!، ثم تحولت الشكوى إلى الطعن في دينه على يد بعض المارقين!!!، ثم قتل عثمان ﵁ ... ففتح بذلك باب القتل والقتال بين المسلمين.

وبعد تولى عليّ بن أبي طالب ﵁ الخلافة، اتهمه البعض!!! بأنه مَالَأَ[(١)] قَتَلَةَ عثمان، ولم يقتص منهم، فوقع القتال بين عليٍّ، وبين الزبير وطلحة وعائشة ﵃ جميعًا، ثم وقع القتال بين عليٍّ ومعاوية رضي الله عنهما، ... وانتهى بواقعة التحكيم المعروفة.

وبعد التحكيم كانت البداية الفعلية للافتراق في الأمة بظهور الخوارج فكانت الأُولى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: كان أول من فارق جماعة المسلمين من أهل البدع الخوارج المارقون[(٢)].

وقال رحمه الله: وهم أول من كفر أهل القبلة بالذنوب، بل بما يرونه هم من الذنوب، واستحلوا دماء أهل القبلة بذلك[(١)].

---

(١) أي: ساعد وعاون.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى **(٣/ ٣٤٩)**.

وسُمُّوا بالناصبة لمناصبة عليٍّ رضي الله عنه وآله العداء، وصرَّحوا ببغضهم، وكان ظهورهم في شهر شوال سنة (٣٧هـ) ببيعتهم عبد الله بن وهب الرَّاسِبِي.

وقال الشهرستاني: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيًّا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين؛ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان[٢].

ثم ظهرت الشيعة: وهم اسم لكل من فضل عليًّا على الخلفاء الراشدين قبله رضي الله عنهم أجمعين، ورأوا أن أهل البيت أحق بالخلافة، وأن خلافة غيرهم باطلة.

والإجماع على الترتيب في الخلافة (أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليٍّ)، وكذلك أجمعوا على أفضلية أبي بكر، ثم عمر، واختلفوا في تقديم عثمان على عليٍّ، والجمهور على تقديم عثمان.

فـــائـدة: اسم الشيعة الآن يكمن في الروافض الخبثاء، وهم بنسبة (**٩٥٪**) على مستوى العالم.

---

[١] انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٤٨١).

[٢] انظر: الملل والنحل (١/ ١١٤).

ثم ظهرت القدرية في أواخر القرن الأول، وكثر الكلام حولها في آخر عهد عليٍّ بن أبي طالب، وكان رئيسهم معبد بن عبد الله الجهني، وغيلان بن أبي غيلان الدمشقي، وبالأول اشتُهِروا.

ثم ظهرت المرجئة في آخر القرن الأول كذلك.

ثم ظهر التعطيل على يد الجعد بن درهم، والجهم بن صفوان، وشاع نداء الجهم بن صفوان بالجبر، وكان ذلك في أول القرن الثاني الهجري.

ثم المعتزلة: في أول القرن الثاني كذلك، وكان رئيسهم واصل بن عطاء البصري.

ثم ظهرت مسألة صفات الله وكلامه، في وسط القرن الثاني الهجري، وكذا مسألة خلق القرآن، أهو مخلوق أم قديم أزلي؟ أثار ذلك الجهم بن صفوان، والجعد بن درهم في العصر الأموي، ثم اشتد الأمر في العصر العباسي، فكانت فتنة الإمام أحمد بن حنبل في مسألة خلق القرآن.

ثم تعددت الفرق وتشعبت بتأثير كتب الفلسفة اليونانية، والهندية، التي تُرجمت إلى العربية، فأصبحت الفرق فرقًا متعددة، وهكذا انقسمت المعتزلة إلى فرق كثيرة.

ثم ظهرت الأشاعرة، والماتريدية.

العنصر الخامس: أساسيات مهمة في دراسة العقيدة الإسلامية قام عليها السلف الصالح وخَلَفُهم.

يقوم منهج السلف على قواعد أساسية في إثبات العقيدة والدفاع عنها:

فرع في معنى الفكر والتطرف، وما الفرق بينه وبين المنهج:

معنى الفكر: هو جملة النشاط الذِّهني، أو هو أسمى صور العمل الذهني بما فيه من تحليل وتركيب وتنسيق، هكذا مطلقًا، فالفكر مفتوح بغير زمام يَزُمُّه، وعليه؛ فالمُحسِّن والمقبح هو العقل؛ إذْ هو ما يكون به التفكير، ومن المسلمات أن العقول تتفاوت في تحسينها وتقبيحها، وهنا الخلل، ولذا نرى تقبيح الشرع، لمن اتخذ إلهه – فكره وعقله– فقال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾[1].

والمعنى: أنه أطاع هواه كطاعة الله، لا يهوى شيئًا إلا اتَّبعه، أفأنت تكون عليه وكيلاً: حفيظًا وكفيلاً ترده عن ذلك، لست تقدر على ذلك، إنما عليك البلاغ.

وهذا يُغاير تمامًا المنهج، فهو زمام الفكر المنطلق ومُقَيِّده.

[1] [الفرقان: ٤٣].

المنهج والمنهاج من النهج: وهو الطريق المستقيم الواضح، وهو واحد، يُقال: انتهج الطريق، أي: استبانه وسلكه، ويُقال: استنهج سبيل فلان، أي: سلكه.

وبهذا يظهر الفرق بين اللفظين ودلالتهما، من حيث العموم والخصوص، والإطلاق والتقييد.

وينشأ عنه عند الخلل التطرف الفكري.

والتطرف: تطرف، أتى الطرف، يُقال: تطرف في كذا، جاوز حدَّ الاعتدال، ولم يتوسط(١).

فإذا قلنا: الفكر المتطرف من المنظور الشرعي، فهو يعني: كل مذموم مخالف للشرع المنقول بطريق المعصوم المبعوث رحمة للعالمين ﷺ، القائم على عقيدة صحت، وتعبد وَرَد، وتعامل شُرع.

وبهذا نفهم المراد من قوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾(٢)، والشرط مقابل المشروط وجودًا وعدمًا، ونفيًا وإثباتًا.

فالمنهج كاشف لألغام الأفكار في كل زمان ومكان.

ومن علامات ودلالات المنهج الذي هو الطريق المستقيم الواضح الواحد:

---

(١) انظر: المعجم الوجيز (ص: **٣٨٩، ٤٠٠، ٤٧٨، ٦٣٦**).

(٢) [محمد: ٧].

١- قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١].

ومناسبتها في حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ الله ﷺ خطًّا، فَقَالَ: «هذا سَبيلُ الله»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَهذِهِ سُبُلٌ، عَلَى كلِّ سبيلٍ مِنْها شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ثُمَّ تَلا ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[٢] فيه الآتي:

أ- أن المنهج طريق واحد مستقيم لا اعوجاج فيه البتة، وإنما حدَّ الله سبيله؛ لأن طريقه واحد، ولهذا جمع السبل؛ لتفرقها وتشعبها، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ

---

[١] [الأنعام: ١٥٣].

[٢] «صحيح بطرقه وشواهده»، أخرجه أحمد (١/ ٤٣٥)، والدارمي (٢٠٨)، والنسائي في الكبرى (١١١٠٩، ١١١١٠)، وغيرهم من طريق عاصم بن أبي النجود، عن أبي وائل شقيق بن سلمة، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ به.

وأخرجه أحمد (٣/ ٣٩٧)، وعبد بن حميد (١١٤١)، وابن ماجه (١١)، وغيرهم من طريق أبي خالد الأحمر سليمان بن حيان، عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر به.

أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1]. فجمع الظلمات؛ لأن طرائقها قددًا، وأفرد النور؛ لأن طريقه واحد.

ب- الأمر باتباع المنهج، ولزوم طريق التقوى: طريق الفلاح والعزة والسعادة والوقاية من الفكر المتطرف.

ج- النهي عن سلوك السبل المتفرقة التي على رأس كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، فهذه الأفكار ضالة ومضلة، تُلَبِّس باسم المنهج وتتلون فيه، وبرهان ذلك في قوله ﷺ: «يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، يَأْتُونَكُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ، لَا يُضِلُّونَكُمْ، وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ»[2].

قوله: «يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ»: من علامات نبوته ﷺ.

قوله: «دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ»: من جنس تلك السبل التي خطها يمينًا وشمالًا، فهذا فكرٌ مخالفٌ للمنهج، وعلامته: أنهم كذابون دجالون حيث يحدِّثون ببدع من القول ليست في المنهج، ليست في الطريق المستقيم، والمطلوب: التحذير منه؛ لأنه ضال فتَّان، حيث تكلم بصورة المنهج وليست منه.

---

(١) [البقرة: ٢٥٧].

(٢) «حسن»، أخرجه أحمد (٢/ ٣٢١)، ومسلم في مقدمته (٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[١].

قوله: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ هذا منهج، حيث أمر سبحانه وتعالى رسوله ﷺ، وعباده المؤمنين معه بالثبات والمداومة على المنهج، وهو المستقيم الواضح الواحد، وذلك من أكبر العون على النصر على الأعداء الذين يتربصون الدوائر بالبلاد والعباد.

قوله ﴿ وَلَا تَطْغَوْاْ ﴾: الطغيان: هو مجاوزة الحدِّ في الشيء، وهو البغي، خروج عن المتَّبَع، فهذا فكر متطرف، إنه سبحانه خبير بأعمال وأقوال عباده لا يغفل عن شيء، ولا يخفى عليه شيء، ويحذركم الله نفسه.

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٢].

جعل الله محمدًا ﷺ: على شريعة من الأمر، فهذا منهج له أتباع.

قوله: ﴿ فَٱتَّبِعْهَا ﴾: من غير لم، ولا كيف؟

قوله: ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾: حال اصطدامها مع الفكر، فهذا فكر متطرف.

---

(١) [هود: ١١٢].

(٢) [الجاثية: ١٨].

قوله ﷺ لسُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ: قُلْ: «آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثم اسْتَقِمْ»(١).

فهذا منهج؛ إذْ الاستقامة تكون على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

والنبي ﷺ: كان على الوحي الذي هو القرآن والسنة.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾(٢).

وقال: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾(٣).

فهذا منهج، والصحابة رضي الله عنهم كانوا على ما كان عليه النبي ﷺ، وهذا ظاهر في الأدلة المذكورة، وفي الباب غيرها كثير.

وعليه؛ فالمخالف للمنهج في القول أو الفعل: تطرف.

والمسلم: هو المستسلم المتبع المنقاد للمنقول -وهو المنهج-، من غير لم، ولا كيف؟ فلا يُحَكِّمْ المعقول في المنقول، فإن كان فهو فكر

---

(١) أخرجه مسلم (٦٨).

(٢) [النساء: ١١٣].

(٣) [الأنعام: ٥٠].

متطرف، قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[1]، فهذا نهى عنه، وحذر منه.

فهذا هو المنهج، فنحن أصحاب منهج لا فكر؛ ولذا لزمنا الانقياد والامتثال والاتباع، وهو عين ما كان عليه السلف ونحن لهم تبع.

والمراد بالسلف هنا: الأئمة المتقدمون من أصحاب النبي ﷺ، والتابعين، وتابعيهم بإحسان، الذين أخذوا الدين، وعلموه، وعملوا به، ونقلوه إلينا، فهم أصحاب القرون الثلاثة المفضلة الذين أثنى عليهم اللهُ ورسولُهُ ﷺ.

قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[2].

وقال: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[3].

---

(١) [الأنعام: ٥٦].

(٢) [التوبة: ١٠٠].

(٣) [الفتح: ١٨].

وقال: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾(1).

وقال: ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾(2).

وفي الصحيحين من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم إن

(1) [الفتح: ٢٩].

(2) [الحشر: ٨-١٠].

بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن»(١).

وفى رواية ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته»(٢).

وفى الحديث -«الصحيح بطرقه وشواهده»- قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى، أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة»، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

وفي رواية: قال:«هي الجماعة»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥١) ومسلم (٢٥٣٣).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٢ح ٨٣٩٦)، والدارمي (٢٥٦٠)، وأبو داود (٤٥٩٦، ٤٥٩٧)، والترمذي (٢٦٤٠، ٢٦٤١)، وابن ماجه (٣٩٩١، ٣٩٩٢)، وابن أبي عاصم في السنة (٢، ٦٤)، والمروزي في السنة (٥١)، وابن وضاح في البدع (٢٥٠)، وابن حبان في صحيحه (٦٢٤٧)، والآجرى في الشريعة (٢١، ٢٣)،

فكل من كان على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، فهو منسوب إلى السلف أهل السنة والجماعة.

ومعلوم أن الرسول كان على القرآن بنص كلامه الصحيح ﷺ في حديث المقدام بن معدي كرب، عن رسول الله ﷺ قال: «ألا إني أوتيت الكتاب (القرآن) ومثله معه... »[١].

وفى الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها لما سُئلت عن خُلُقِهِ ﷺ قالت: «كان خُلُق نبي الله ﷺ القرآن»[٢].

وفى حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبدًا حبشيًا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى

وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٦٥، ٢٦٨) واللالكائى في أصول الاعتقاد (١٤٥، ١٤٩)، وغيرهم من طرقٍ عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم.

انظره: في مقدمة «كتاب الإيمان لابن أبي شيبة» بتحقيقي تحت الطبع.

[١] «صحيح»، أخرجه أحمد في المسند (١٧١٧٤)، والمروزي في السنة (٢٤٤)، والآجرى في الشريعة (٩٧)، وغيرهم.

[٢] أخرجه مسلم (٧٤٦)، وغيره.

اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور... »[١].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «إن الله بعث إلينا محمدًا ﷺ ولا نعلم شيئًا، فإنما نفعل كما رأينا محمدًا ﷺ يفعل»[٢].

فهذا هو الميزان عند التفرق والشقاق، فمن امتثل وانقاد كان منسوبًا إلى السلف أهل السنة والجماعة، ومن خالف كان مُحدِثًا مُبتدعًا عند أهل السنة والجماعة.

---

[١] «حسن»، أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، وابن ماجه (٤٢، ٤٣)، والترمذي (٢٦٧٦)، وغيرهم من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

[٢] «حسن»، أخرجه مالك في الموطأ (٤٨٥)، وأحمد في المسند (٢/ ٩٤ح ٥٦٨٣)، والنسائي (٣/ ١١٧)، وابن ماجه (١٠٦٦)، وابن خزيمة في صحيحه (٩٤٦).

الأساس الأول الذي يقوم عليه منهج السلف الصالح رضي الله عنهم: تحكيم الكتاب والسنة الصحيحة في كل قضية من قضايا العقيدة وغيرها، والاعتصام بها.

وذلك بالاستجابة الكاملة للوحي، وحصر التلقي في أحكام الدين: أصوله وفروعه فيهما، وأن يرد الخلاف إليهما عند التنازع، وأن لا يُردَّا ولا يُعارضَا بشيء من التأويل، أو القياس، أو الرأي المجرد، أو العقل، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾(١).

هذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك في ذلك إلى الكتاب والسنة بالسؤال في حياته، وبالنظر في سنته بعد وفاته ﷺ، ومن لم ير هذا اختل إيمانه لقوله تعالى: ﴿ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ ﴾(٢).

---

(١) [النساء: ٥٩].

(٢) انظر المسألة في: تفسير الطبري، والإبانة لابن بطة، وأصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، والفقيه والمتفقه، والقرطبي، وابن كثير.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[١].

وقال ابن بطة (ت ٣٨٧هـ): لقد دلنا مولانا الكريم تعالى على طريق محبته وأرشدنا إلى سبيل هدايته بأقصد المذاهب، وأقرب المسالك حين أعلمنا أن محبة الله هي في متابعة نبيه ﷺ حين قال: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾.

فمن اتبع رسوله في سنته، أورثه ذلك محبة الله عز وجل بكسبه البصيرة في إيمانه فيما أحكمه في قلبه ولسانه وبالمغفرة والرضوان في ميعاده[٢]. اهـ

وقال ابن كثير (٧٧٤هـ): هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله[٣].

---

[١] [آل عمران: ٣١، ٣٢].

[٢] انظر: الإبانة الكبرى (١/ ٢١٨).

[٣] انظر: التفسير (٢/ ٣٢).

وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[٢].

وقال: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾[٣].

وقال: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾[٤].

---

[١] [النساء: ٦٥].

[٢] [النساء: ١٤،١٣].

[٣] [النساء: ١٠٥].

[٤] [المائدة: ٩٢].

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[1].

وقال: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[2].

وقال: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[3].

وقال: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[4].

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[5].

---

(١) [الأنفال: ٢٤].

(٢) [الأنفال: ٤٦].

(٣) [النور: ٥١].

(٤) [الأحزاب: ٣٦].

(٥) [الحجرات: ١].

وقال: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(١).

إلى غير ذلك من الآيات التي قرن الله عز وجل رسوله ﷺ بطاعته ووصلها بفريضته، وجعل أمره كأمره، وتعقبها بالوعيد الشديد، والزجر والتهديد لمن حاد عن أمره، أو خرج عن طاعته، أو وجد في نفسه حرجًا من قَضِيَّتِهِ، أو ابتدع في سنته.

قال ابن بطة: سُئل سهل بن عبد الله التستري عن شرائع الإسلام، فقال: وقال العلماء في ذلك وأكثروا، ولكن نجمعه كله بكلمتين: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾، ثم نجمعه كله في كلمة واحدة: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾، فمن يطع الرسول في سنته فقد أطاع الله في فريضته(٢).

---

(١) [الحشر: ٧].

(٢) انظر: الإبانة الكبرى (١/ ٢١٨).

وأما من السنة والأثر:

فقال ﷺ: «فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء، المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»(١).

وقال في حديث جابر في حجة الوداع: «... وقد تركتُ فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به»(٢).

وفى الحديث «الحسن لغيره»: «إني قد تركت فيكم شيئين (أمرين) لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنتي، ولن يتفرقَا حتى يردا عليَّ الحوض»(٣).

وفى حديث جابر: «... أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هديُّ محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة».

وفي رواية: «وكل ضلالة في النار»(٤).

---

(١) «حسن»، وتقدم (ص: ٣٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٣) انظر كتابي: «إتحاف الأمة بأصول السنة» (ص: ٣٤).

(٤) أخرجه مسلم (٨٦٧) دون الزيادة، والزيادة أخرجها النسائي (٣/ ١٨٨)، وفي الكبرى (١٧٩٩)، وابن خزيمة (١٧٨٥)، وغيرهما.

ومن الثوابت عندنا أن الصحابة رضي الله عنهم، ومن جاء بعدهم من التابعين، وتابعيهم بإحسان، كانوا من أشد الناس تمسكًا بالقرآن، والسنة، والعمل بهما.

أخرج ابن بطة بإسناده عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن أبا بكر رضي الله عنه قال: «لست تاركًا شيئًا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملتُ به، وإني لأخشى إن تركتُ شيئًا من أمره أن أزيغ»[(١)].

قال ابن بطة: هذا يا إخواني الصِّدِّيق الأكبر يتخوف على نفسه الزيغ إن هو خالف شيئًا من أمر نبيه صلى الله عليه وسلم، فماذا عسى أن يكون من زمان أضحى أهله يستهزئون بنبيهم وبأوامره، ويتباهون بمخالفته، ويسخرون بسنته، نسأل الله عصمة من الزلل ونجاة من سوء العمل[(٢)].

[(١)] أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٧٧).

وأخرجه البخاري (٣٠٩٢، ٣٠٩٣)، ومسلم (١٧٥٩) في سياق طويل فيه محل الشاهد.

تنبيه: تَصَحَّف في الإبانة لابن بطة في إسناده «يعقوب بن محمد»، وصوابه: «يعقوب بن إبراهيم»، وهو ابن سعد.

[(٢)] انظر: الإبانة الكبرى (١/ ٢٤٦).

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر، (وإن أفضل ما تمسكنا بالأثر)، وبعضها: «اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم، (وكل بدعة ضلالة)[١].

وصح عن أبي العَالِيَةِ - رُفَيْعِ بنِ مِهْرَانَ الرِّيَاحِيِّ «تابعي كبير ثقة من رجال الستة» (٩٠هـ)-قال: تعلَّموا الإسلام؛ فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم؛ فإنه الإسلام، ولا تحرفوا الصراط شمالًا ولا يمينًا، وعليكم بسنة نبيكم والذي كان عليه أصحابه، ... وإياكم وهذه الأهواء التي تُلقي بين الناس العداوة والبغضاء.

قال: -أي عاصم الأحول الراوي عن أبي العالية-: فَحَدَّثْتُ به الحسن، فقال: صدق ونصح، قال: وحدثت به حفصة بنت سيرين، فقالت: بأبي وأهلي أنت حدثت بهذا محمدًا؟ فقلت: لا، قالت: حدثه به[٢].

---

[١] «حسن بطرقه»، أخرجه الدارمي (١/ ٥٤،٦٢)، وابن وضاح في البدع (١٠)، وابن نصر في السنة (٧٨)، والطبراني في الكبير (٨٧٧٠)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (٣٨٧)، واللالكائي في أصول الاعتقاد (١٠٤، ١٠٦، ١٠٨) من طرق يشد بعضها بعضًا، وبألفاظ يقوي بعضها بعضًا.

[٢] أخرجه ابن وضاح في البدع (٣٣)، وابن نصر في السنة (٢٦)، وابن بطة في الكبرى (١٣٦).

وصح عن الزهري قال: كان من مضى من علمائنا يقولون: (بلغنا عن رجال من أهل العلم، أنهم كانوا يقولون): الاعتصام بالسنة نجاة، والعلم يقبض قبضا سريعًا، فنعشُ العلم ثبات الدين والدنيا، وفي ذهاب العلم ذهاب ذلك كله، (وذهاب ذلك كله ذهاب العلماء)[١].

فنعش العلم: له عدة معانٍ، ومنها: البقاء والارتفاع، ولعله المقصود.

وصح عن عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد المشهور قال: لا رأي لأحد مع سنة سنها رسول الله ﷺ[٢].

وفى الباب ممن عزوت إليهم كثير، وتكفى الإشارة للتأصيل والتقعيد، فهي تدل دلالة لا شك فيها أنه لا نجاة لأحد إلا بالاعتصام بالكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة، ومن أخذ بأحدهما وترك الآخر فقد ضل سواء السبيل، وقد حذر الرسول ﷺ من ذلك، فأخبر بما يدل على نبوته ﷺ كما في حديث المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه: «ألا إني أُوتيتُ الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول:

---

[١] أخرجه ابن المبارك في الزهد (٨١٧)، والدارمي (١/ ٤٥)، وابن بطة (١٥٩، ١٦٠)، واللالكائي في أصول الاعتقاد (١٣٦، ١٣٧)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٦٩).

[٢] أخرجه ابن نصر (٩٤)، وابن بطة (١٠٠).

عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، وإن ما حرَّم رسول الله ﷺ كما حرم الله[١].

قال الخطابي (ت: ٣٨٨هـ): يحذر بذلك مخالفة السنن التي سنها رسول الله ﷺ مما ليس له في القرآن ذكر[٢] على ما ذهبت إليه الخوارج والروافض، فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن، وتركوا السنن التي قد ضَمَّنت بيان الكتاب فتحيروا وضلوا[٣].

وقال ابن بطة: وليعلم المؤمنون من أهل العقل والعلم أن قومًا يريدون إبطال الشريعة، ودروس آثار العلم والسنة، فهم يموهون على من قلَّ علمه، وضعف قلبه بأنهم يدعون إلى كتاب الله، ويعملون به، وهم من كتاب الله يهربون، وعنه يُدبرون، وله يخالفون، وذلك أنهم إذا سمعوا سنة رويت عن رسول الله ﷺ رواها الأكابر عن الأكابر، ونقلها أهل العدالة والأمانة، ومن كان موضع القدوة والأمانة، وأجمع أئمة المسلمين على صحتها، أو حكم فقهاؤهم بها، عارضوا تلك السنة بالخلاف عليها،

---

[١] «صحيح»، وتقدم (ص: ٣٣).

[٢] قلت: أي: تفصيلي، وإلا فالأصل في القرآن، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾.

[٣] انظر: معالم السنن (٤/ ٢٩٨).

وتلقوها بالرد لها، وقالوا لمن رواها عندهم: تجد هذا في كتاب الله؟ وهل نزل هذا في القرآن؟ وأتوني بآية من كتاب الله حتى أصدق بهذا.

فاعلموا رحمكم الله: أن قائل هذه المقالة إنما ترقق عن صبوح[١] ويُسْرٍ خبيئًا[٢] في إِرْبِغَاءَ[٣] يتحلى بحلية المسلمين، ويضمر على طوية الملحدين، يُظهر الإسلام بدعواه ويجحده بسره وهواه، فسبيل العاقل العالم إذا سمع قائل هذه المقالة أن يقول له: يا جاهلاً في الحق، خبيثًا في الباطن، يا من خطئ به طريق الرشاد، وسبيل أهل السداد، إن كنت تؤمن بكتاب الله، وأنه منزل من عند الله، وأن ما أمرك الله به وما نهاك عنه فرض عليك قبوله، فإن الله أمرك بطاعة رسوله وقبول سنته، لأن الله عز وجل إنما ذكر فرائضه وأوامره بخطاب أجمله، وكلام اختصره وأدرجه، دعا خلقه إلى فرائض ذكر أسماءها، وأمر نبيه بأن يُبين للناس معانيها،

---

(١) الصبوح هو: الشرب بالغداة وهو ضد الغبوق. انظر: مختار الصحاح (١/ ١٧٢).

(٢) الخبء كل شيء غائب مستور. يقال: خبأت الشيء أخبؤه خبأ إذا أخفيته، والخبء والخبي، والخبيئة: الشيء المخبوء. انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٣)

(٣) الربغ: يقال: إن الشيطان قد أربغ في قلوبكم وعشش، أي أقام على فساد اتسع له المقام معه. انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ١٩٠)، ولسان العرب (٨/ ٤٢٦)، وتهذيب اللغة (٨/ ١٢٦).

ويوقف الأمة على حدود شرائعها ومراتبها، فقال تبارك وتعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]، فربنا تعالى هو المنزل، ونبينا ﷺ هو المبين، قال الله عز وجل: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[2].

وقال: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ ﴾[3].

وقال: ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾[4].

وقال: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾[5]. [6] اهـ

وأما الأخذ بالقرآن والسنة مع تأويل النصوص، وصرفها عن معانيها الحقيقية بعيدًا عن الجمع بين آيات القرآن، والصحيح من سنة النبي ﷺ، وما فسره الأصحاب ومن أخذ عنهم، فتراهم يتأولوا

---

[1] [النحل: ٤٤].

[2] [البقرة: ٤٣].

[3] [آل عمران: ٩٧].

[4] [البقرة: ١٩٦].

[5] [البقرة: ١٨٣].

[6] انظر: الإبانة الكبرى (١/ ٢٢٣).

النصوص بتأويلات عقلانية فاسدة، فهذا ليس منهج السلف، بل إنه طريق أهل البدع والكلام والجدل الذين وضعوا لأنفسهم طريقًا يسيرون عليه؛ لتحريف النصوص عن ظاهرها، وبما صح عمن نزل عليهم، وتحميلها ما لا تحتمل، ولذا فمن القواعد الأساسية عندهم قولهم:

وكل نص أوهم التشبيها أوِّله أو فوِّضه ورُمْ تنزيهًا(١).

ورحم الله الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) عندما قال: أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس(٢).

وقال ابن تيمية رحمه الله: ولهذا تجد المعتزلة والمرجئة والرافضة وغيرهم من أهل البدع يفسرون القرآن برأيهم ومعقولهم وما تأولوه من اللغة؛ ولهذا تجدهم لا يعتمدون على أحاديث النبي ﷺ والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين؛ فلا يعتمدون لا على السنة ولا على إجماع السلف وآثارهم؛ وإنما يعتمدون على العقل واللغة(٣).

---

(١) انظر: جوهرة التوحيد للقاني مع شرحه: تحفة المريد للبيجوري، وهو من الكتب المعتمدة عند الأشاعرة.

(٢) انظر: الإيمان لابن تيمية (ص: ١١٤).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ١١٩).

وقال تلميذه ابن القيم (٧٥١هـ) رحمه الله: وبالجملة فافتراق أهل الكتابين، وافتراق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة إنما أوجبه التأويل[١].

ومن بعدهم ابن أبي العز الحنفي (٧٩٢هـ) قال: وهل خرجت الخوارج، واعتزلت المعتزلة، ورفضت الروافض، وافترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، إلا بالتأويل الفاسد!!![٢].

وسيأتي إن شاء الله تعالى في هذا المدخل مسألة في التأويل وضوابطه.

وختامًا نقول: إن الكتاب والسنة هما الميزان الذي توزن به الأقوال والأعمال والمعتقدات، وهما الحق الذي يجب اتباعه، وبه يحصل الفرقان بين الحق والباطل، وما سواه من كلام سائر الناس علا شأنه أو نزل، يُعْرَضُ عليه، فإن وافقه قُبِل، وإلا رُدَّ على صاحبه، ولذا لا تتفق الأمة ولا تجتمع على ضلالة، وأهل السنة والجماعة يحتجون بالقرآن والسنة ولا يفرقون بينهما، خلافًا لأهل البدع؛ لأن السنة إذا ثبتت عندهم وجب الأخذ بها والعمل مطلقًا، بعيدًا عن شقشقة اللسان بالظنية والقطعية، وعلى إثره فالسنة عندهم مبيِّنة للقرآن، موضحة له، ومقيدة لمطلقه،

---

(١) انظر: إعلام الموقعين (٤/ ٣١٧).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص: ١٨٩).

ومخصصة لعمومه، وعندهم كذلك أنها والقرآن متلازمان لا يفترقان، متفقان لا يختلفان[1].

وأسجل هنا أن الحجة إنما تقوم بالسنة الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ بنقل العدول، ناهيك عن الضابطين، انفرادًا أو متابعةً، ولذلك اعتنى أئمة أهل السنة والجماعة بالحديث النبوي، وقاموا بتدوينه، وتدوين أصوله سلفًا وخلفًا، وعلى إثره تراهم ميَّزوا بين صحيح الحديث وضعيفه، وأفردوا المؤلفات خاصة بالأحاديث الموضوعة والواهية أو المكذوبة؛ لتحذير الناس منها.

وأما أهل البدع أهل الزيغ فعلى خلاف ذلك، فهم يعتمدون كثيرًا على الأحاديث الواهية والمكذوبة والضعيفة على رسول الله ﷺ؛ لضعف بضاعتهم، فلا تمييز عندهم في ذلك، فتراهم يشبهون بها على الصحيح لرده؛ لأنهم يعتمدون على أهوائهم وشهواتهم، وجعلوا كلام الفلاسفة أصلاً عندهم، يردون إليه ما خالفه من الآثار الصحيحة بالتأويل الفاسد، ثم لم يكتفوا بذلك حتى زعموا أن الذي حصَّلوه، ودَوَّنوه هو

---

[1] وانظر: رسالتي «إتحاف الأمة بأصول السنة»، الأصل الأول فيها: «التمسك بما كان عليه رسول الله ﷺ»، ففيها قواعد وأصول مهمة، تغنينا عن كثرة النقل هنا.

أشرف العلوم وأولاها، وأن من لم يستعمله وما اصطلحوا عليه فهو عامِّي جاهل[١].

والمهم عندنا: إن السعيد كل السعادة هو من تمسك بما كان عليه السلف الصالح، والمتمثل في القرآن والسنة، واجتنب ما أحدثه اهل الزيغ والضلال، فشقُّوا عصا الاجتماع والطاعة والامتثال والانقياد.

---

[١] العامي: مثقف، بخلاف الأُمِّي: فلا يقرأ ولا يكتب.

الأساس الثاني: الرجوع إلى فهم السلف الصالح لنصوص الكتاب والسنة.

لأنهم أحقُّ الناس بمعرفة مراد الله ورسوله ﷺ، فقد عاصروا التنزيل، ولازموا رسول الله المصطفى الكريم ﷺ، وعرفوا أقواله وأفعاله، وكانوا يتسابقون إلى الاقتداء به ﷺ في أقواله وأفعاله وطاعته في أمره ونهيه، واتباع ما جاء به، وسبق ذكر أثر ابن عمر رضي الله عنهما: «إن الله بعث إلينا محمدًا ﷺ ولا نعلم شيئًا، وإنما كنا نفعل كما رأينا محمدًا ﷺ يفعل»(١).

ونظيره في قوله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه في الحديث الطويل، وفيه قصة ... قال «يا أبا ذر، كما أنت حتى آتيك»، قال: فانطلق حتى توارى عنِّي، قال: سمعتُ لَغَطًا، وسمعتُ صوتًا، قال: فقلتُ: لعل رسول الله ﷺ عُرِض له، قال: فَهَمَمْتُ أن أتبعه، قال: ثم ذكرتُ قوله: «لا تبرح حتى آتيك»، قال: فانتظرتُه حتى جاء ...(٢).

وكذا في قول أبي هريرة رضي الله عنه في حديثه الطويل، ومحل الشاهد فيه: قال:«ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بُدٌّ»(٣).

---

(١) «حسن»، وتقدم (ص: ٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٦٨)، ومسلم (٩٤)، وأحمد (٥/ ١٥٢) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٥٢).

هذا الذي ذكرته يُعَبِّر عن لسان حال ومقال بقية الصحابة رضي الله عنهم جميعًا.

وبالجملة: فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعيشون بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم والسنة تنزل بين ظهرانيهم، فمن رآءٍ له، وسامع، وصاحب، فكأن السنة ما سُنَّتْ إلا لهم خاصة، وللأمة عامة، فَلِمَ لا يُتَّبَعُون ويَتنافسون، وهم الذين شربوا وطعموا هديه صلى الله عليه وسلم قولًا وفعلاً وتقريرًا، فكانوا بحق أبرَّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأقومها هديًا، وأحسنها حالًا، قومًا اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، فالواجب علينا أن نعرف لهم فضلهم، ونتشبه بأخلاقهم وطرائقهم ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم[١].

وأتباع الصحابة يأتون بعدهم في المنزلة، الأول منهم ثم الذي يليه حسبما طبقته، فهؤلاء معرفةُ أقوالهم، وأعمالهم، في جوانب الدين أصوله وفروعه، والزهد، والأخلاق... إلخ، فإنهم خير وأفضل وأنفع ممن بَعْدَهُم، إلا من سار على نهجهم وسلفهم، فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بَعْدَهُم، وما اتفقوا عليه، أو حكوه عن سلفهم، وجب اتباعه

---

(١) انظر: جامع بيان العلم وفضله (١ / ٩٤٦-٩٤٧)، وشرح العقيدة الطحاوية (ص: ٤٦٧-٤٧٠) بإثر قوله: «ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم»، ورسالتي «إتحاف الأمة بأصول السنة» (ص: ٢٧-٣٧).

وامتثاله، وما تنازعوا فيه، فالحق لا يخرج عنهم، بدلالة القرآن والسنة وفاقًا وخلافًا؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾(١).

وتحت هذا الأصل: اعلم أن أهل البدع يفسرون القرآن برأيهم، ولا يعتمدون على أحاديث رسول الله ﷺ، وآثار الصحابة، والتابعين، وإنما يعتمدون على العقل المجرد، واللغة، وكذا يعتمدون على كتب الأدب، وكتب الكلام التي وضعتها رؤوسهم الفارغة، وهذ طريقة الملاحدة أيضًا.

وإياك والاغترار بما يحكون من إجماعاتٍ ونزاعاتٍ، فهم لا يعرفون ما قاله السلف فيما يتكلمون فيه البتة، وما إنكار أحمد بن حنبل الإجماع على المرِّيسى وغيره ببعيد(٢).

---

(١) [النساء: **٥٩**].

(٢) راجع الأساس الأول.

وانظر: مجوع الفتاوى (**١٣/ ٢٤-٢٧**)، والإيمان له (ص: **١٣-١٤**).

الأساس الثالث: عدم الخوض بالعقل المجرد في المسائل الاعتقادية وغيرها.

والتي نصَّ عليها القرآن، وصحيح السنة، وخاصة الغيبية منها، وهي مما لا مجال للعقل فيها.

فإذا جاء النص عن الله في كلامه الكريم، والنص عن رسوله المصطفى ﷺ، وقد ثبت صحيحًا عنه، وجب الأخذ به والعمل باتفاق أئمة أهل السنة في العقائد والعبادات والمعاملات ...إلخ، ولا عبرة بقول من فرق بين الخبر المتواتر والآحاد، فعمل بالمتواتر في العقيدة، وردَّ الآحاد، على أن المتواتر قطعي الثبوت، والآحاد ظنِّي الثبوت؛ وعلى إثره فرَّقوا بين الدليل القطعي والظنِّي.

فإن قصدوا بالقطعي ثبوتًا واستدلالًا «القرآن، والمتواتر من السنة» فهذا مستقيم من حيث قوته عند الموازنة.

وإن قصدوا بالظنِّي كل نصٍّ صحيح نزل عن حد التواتر في سنة النبي ﷺ، وردوا العمل به لأجل ذلك فهو مردود؛ لأن النص إذا ثبت صحيحًا عن النبي ﷺ وجب الأخذ به والعمل مطلقًا باتفاق أهل السنة والجماعة كما نص عليه ابنُ تيمية[1]، وهو طريق سلفه من الصحابة ومن

---

[1] انظر: مجموع الفتاوى (١٩/ ٨٥).

تبعهم بإحسان، ولا يُقبل غيره، وإن قصدوا بالظني الدليل العقلي فهو مستقيم ومسلَّم.

فرع مهم: الله عز وجل أرسل رسوله ﷺ، وأوحى إليه بالقرآن المعلوم بين دفتي المصحف، وأوحى إلى النبي ﷺ سنته.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾(٢).

فالناطق هو الرسول المرسل، والمنطوق به هو الوحي الذي أُرسل به.

قال حسان بن عطية المحاربي (تابعي ثقة، توفي بعد سنة ١٢٠هـ): كان جبريل ينزل على النبي ﷺ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن، ويعلمه إياها كما يعلمه القرآن(٣).

---

(١) [النساء: ١١٣].

(٢) [النجم: ٣-٥].

(٣) «مرسل صحيح»، أخرجه المروزي في السنة (١٠٢)، واللالكائى في أصول الاعتقاد (٩٩)، والخطيب الفقيه والمتفقه (٢٦٨)، وغيرهم.

ولعل مستنده في قوله تعالى: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾، وفي حديث المقدام: «ألا إني أُوتيت القرآن ومثله معه»[1].

فالمثلية هنا تساوي الحكمة التي بجوار الكتاب في «سورة النساء».

ومن وراء ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[2].

س/ أين هي سنة النبي ﷺ؟ وكيف نعرفها؟

ج/ قال الله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3]، وسبق أن الله عز وجل زكى الصحابة، وأثنى عليهم، وكذا الرسول ﷺ، فالصحابة هم حملة العلم عن الرسول ﷺ، وما وصل إلينا عنهم بالإسناد المتصل برواية العدل الضابط عن مثله منفردًا أو متابعًا، وقد عرفت سيرته الذاتية، ودونت بما يمكن تصوره في عصرنا، فالمتفق على عدالته وضبطه وحفظه عند القوم وهم أهل الخوف والرجاء، لا يتصور القدح في هذا الاتفاق .

---

[1] «صحيح»، وتقدم برقم (ص: **٣٣**).

[2] [الحشر: ٧].

[3] [الأنبياء: ٧].

والمتفق على عدم عدالته وضبطه وحفظه كذلك، والمخلط بينهما كذلك، فكلٌّ حُفظ ودُوِّن بتيسير سبله وأسبابه من الله القائل: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

ومحال أن يأمرنا ربنا بهذا المسلك وهو جلَّ شأنه لم ييسر لهم سبله حفظًا وروايةً ودرايةً، ألا ترى دعوة النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنه بالفقه في الدين والتأويل[1].

ولذا؛ كان علم الإسناد في الرواية من خصائص هذه الأمة المحمدية، انفردت به عمن سبقها.

ومنه علم الرجال حملة الرواية لكل منهم سيرته الذاتية من حيث عدالته وحفظه ودرايته، ومن عُرفت سيرته فيما بينه وبين ربه وبين الناس، ولم يعرف حاله في الرواية من حيث الضبط وعدمه رُدَّ خبره احتجاجًا إذا انفرد، وعُمِل به استشهادًا، يعني إذا توبع بعدل ضابط حافظ، أو بعدل خف ضبطه وتعددت الطرق عن مثله ... وهكذا.

ألا تراك تسأل عن الضوابط في قبول الخبر المتواتر، والذي لا يخضع للنقد الحديثي مع أنه قد يكون في إسناده المجهول وسيء الحفظ... إلخ.

---

(1) أخرجه البخاري (٥٧، ١٤٣).

فلما يأتينا الخبر عن رجال بلد واحد وهم حفاظ عدول بشهادة الأقران أهل الديانة، أو عمن بَعُد عنه بما وقع له عنه، فنرده لمجرد احتمال الخطأ فهذا لم يقله عاقل نظر في القرآن وهدي المصطفى ﷺ.

ولما لم يأتينا كذلك من بلد وآخر منه قريب أو بعيد فنرده أيضًا للسبب ذاته فهذا كسابقه!!!

وماذا لو أتانا الخبر من رجال أهل العراق، وآخر من رجال أهل المدينة، وآخر من رجال أهل الشام، وآخر من رجال أهل مصر، برواية العدل الضابط عن مثله، أو العدل الضابط الذي سدَّ عجز أخيه في الحفظ والضبط.

وقد أخذه بعض أهل العراق عن مثلهم، وبعض أهل مصر عن العراقيين، والمدنيين عن الشاميين، وهكذا...، فنرى في كل طبقة التنوع في مصدرية التلقي، فعلى زعمهم تُرَدُّ هذه الرواية لاحتمال الخطأ، وهذا معنى الظن عندهم، وهو لا يخرج عن كونه خبر واحد، حتى لو أتى من طريق مائة راوٍ، واجتمعوا على واحد في المخرج أو الصحابي، ولو تعدد فهو كذلك.

وهذا تعسف وجنون مرفوض من قائله مهما كان القائل.

وثَمَّ سؤال أخير: كم عدد الأحاديث المتواترة؟ وكم منها في العقائد؟

لَيْتَهُم يُصرِّحون برد السنة بدلًا من هذا الجمود وهذا التعسف العقلاني.

وأنبه على شيء مهم قد تقرأه في بعض مصادر أئمة أهل السنة كابن تيمية، وابن القيم، ألفاظ: قطعي وظني، ومتواتر وآحاد...، جريًا منهم مع الخصم في الرد عليه، فهو من باب الإخبار عن معتقد الخصم، والرد عليه، لا من باب الإقرار، أو من باب رد الفعل ...[١].

وكذا جريان بعض الألفاظ من الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ) في «اعتصامه، وموافقاته»، وتحتاج إلى تأويل أو تعقيب واستدراك ...، وهكذا غيرهم ممن نعتقد فيهم الخير، ولا نرفعهم عن الزلل والذهول فهي طبيعة البشر، لا سيما الذين ابتلوا منهم بالفرق المبتدعة وبمحاورتهم والرد عليهم، استفد هذا فإنه مهم، وهذه السياقات المذكورة لم تكن معروفة عند السلف الصالح، بل كانوا على أمر واحد، وهو ثبوت الخبر عن النبي ﷺ، فإذا ثبت وجب الأخذ به والعمل مطلقًا، لا فرق بين ما ذكر.

ولا يعنى هذا تعطيل العقل بالكلية، والحجر عليه، بل إن العقل له وظيفة رئيسة وهي فهم النصوص بالطريقة المرضية وبالضوابط المعروفة في ميزان البحث العلمي، وكذا التفكر في آيات الله المشاهدة، كالسماء

[١] انظر: درء تعارض العقل والنقل، ومنهاج السنة، والفتاوى لابن تيمية، وإعلام الموقعين، والصواعق المرسلة، وغيرهما لابن القيم.

والأرض والجبال والشجر والشمس والقمر وسائر المخلوقات، بل وفى نفس الإنسان.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(1).

وقال: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾(2).

وقال: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾(3).

وقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾(4).

وفائدة ذلك: هو زيادة الإيمان، فإذا اختل هذا التفكر والتدبر وتجاوز حده ضلَّ وأضلَّ.

واعلموا؛ أن الله جل وعلا جعل للعقول في إدراكها وتدبرها وتأملها وتفكرها حدًا تنتهي إليه لا تتعداه، ولم يجعل لها سبيلاً إلى ذلك في

(1) [آل عمران: ١٩٠].

(2) [الذاريات: ٢١].

(3) [الغاشية: ١٧- ٢٠].

(4) [محمد: ٢٤].

كل مطلوب، فكم أخبرنا عن أشياء، وسكت عن أخرى، رحمة بنا غير نسيان، ولو أبداها لنا لساءتنا.

فتجاوز العقل في محاولة معرفة كيفية صفات الله تعالى، نتج عنه التشبيه، والتعطيل، فضلَّ وأضل، هكذا أعمل أهل الكلام والبدع عقولهم فصاروا بين مُؤول لها أو منكر لها بالكلية.

ولو كان العقل يستطيع أن يستقل بنفسه ويعرف كل شيء ينفعه أو يضره، لما كان من إرسال الرسل وإنزال الكتب فائدة!!!، فاستعانة العقل بالوحى الإلهي، والاهتداء بنوره هي الغاية من تكريم ربنا لبنى آدم في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1].

والحالة هذه؛ فالعقل الصريح السليم لا يخالف النقل الصحيح، فلا بد أن يكون العقل خاضعًا للشرع، وليس العكس.

ولذا؛ عندما جُعل العقل وحده هو الحَكَم فيما لا يمكن إدراكه إلَّا بنصٍّ من الخالق لهذا العقل، وفُصِلَ عن الكتاب والسنة، حصل الشك والضلال والانحراف لأصحابه عن منهج السلف الصالح، فنتج عن

---

[1] [الإسراء: ٧٠].

ذلك ظهور البدع، ونشوء الفرق الضالة، كالمعتزلة والجهمية والخوارج والقدرية والأشاعرة وغيرهم ... إلخ

وكان من ثمرة ذلك التخبط بالإنكار الصريح، وغير الصريح بمسائل عظيمة من أمور العقيدة، كإنكار الصفات، والصراط، والميزان، والجنة والنار، وعذاب ونعيم القبر، والجن، ورؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ... إلخ

والسبب في ذلك: هو تحكيم العقل ارتكازًا على قاعدة أساسية عند أهل الكلام وهي: إذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية، أو السمع والعقل، أو النقل والعقل، أو الظواهر النقلية والقواطع العقلية، أو نحو ذلك من العبارات، فإما أن يُجمع بينهما، وهو محال؛ لأنه جمع بين النقيضين، وإما أن يُردَّا جميعًا، وإما أن يُقدَّم السمع، وهو محال؛ لأن العقل أصل النقل، فلو قدمناه عليه كان ذلك قدحًا في العقل الذي هو أصل النقل، والقدح في أصل الشيء قدح فيه، فكان تقديم النقل قدحًا في النقل والعقل جميعًا، فوجب تقديم العقل.

ثم إن النقل إما أن يُتأول، وإما أن يُفوض.

وأمَّا إذا تعارضا تعارض الضدين امتنع الجمع بينهما، ولم يمتنع ارتفاعهما.

قال ابن تيمية رحمه الله: وهذا الكلام قد جعله الرازي[١] وأتباعه قانونًا كُليًا فيما يستدل به من كُتب الله تعالى، وكلام أنبيائه عليهم السلام، وما لا يُستدل به، ولهذا ردوا الاستدلال بما جاءت به الأنبياء والمرسلون في صفات الله تعالى، وغير ذلك من الأمور التي أنبأوا بها، وظن هؤلاء أن العقل يعارضها، وقد يضم بعضهم إلى ذلك: أن الأدلة السمعية لا تفيد اليقين...

وأما هذا القانون الذي وضعوه فقد سبقهم إليه طائفة، منهم أبو حامد، وجعله قانونًا في جواب المسائل التي سُئل عنها في نصوص أشكلت على السائل، كالمسائل التي سأله عنها القاضي أبو بكر ابن العربي، وخالفه القاضي أبو بكر[٢] في كثير من تلك الأجوبة، وكان يقول: شيخنا أبو حامد دخل في بطون الفلاسفة، ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر.

وحكى هو عن أبي حامد نفسه أنه كان يقول: "أنا مزجي البضاعة في الحديث".

[١] هو: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، يعرف بابن الخطيب (ت: ٦٠٦هـ)، من أئمة الأشاعرة الذين مزجوا المذهب الأشعري بالفلسفة والاعتزال، ثم رجع عنه إلى مذهب أهل السنة والجماعة.

[٢] وهو من تلاميذه ودرس عليه.

ووضع أبو بكر ابن العربي هذا قانونًا آخر، مبنيًا على طريقة أبي المعالي[(١)] ومن قبله، كالقاضي أبي بكر الباقلاني[(٢)]، ومثل هذا القانون الذي وضعه هؤلاء يضع كل فريق لأنفسهم قانونًا فيما جاءت به الأنبياء عن الله، فيجعلون الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه هو ما ظنوا أن عقولهم عرفته، ويجعلون ما جاءت به الأنبياء تبعًا له، فما وافق قانونهم قبلوه، وما خالفه لم يتبعوه...[(٣)].

هذه إشارة مُرَكَّزة لمعتقد أهل الكلام أهل العقل أهل البدع الذين يقدمون العقل على النقل؛ لأن النقل لا يمكن التصديق به إلا بالدلائل العقلية، فترجيح النقل على العقل عند التعارض يقتضي الطعن في العقل، ولما كان العقل أصلاً للنقل، كان الطعن في العقل موجبًا للطعن في العقل والنقل معًا، وإنه محال، فلم يبق إلا القطع لمقتضيات الدلائل العقلية القطعية، وحمل الظواهر النقلية على التأويل؛ فثبت بهذا أن الدلائل النقلية

---

(١) هو: إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (ت: ٤٧٨هـ)، من أعظم أئمة الأشاعرة، وتتلمذ عليه الغزالي.

(٢) محمد بن الطيب بن محمد المعروف بابن الباقلاني، يُعد من أعظم الأشاعرة بعد الأشعري ت ٤٠٣هـ.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١/ ٤، ٥)، وبنحوه قال ابن القيم في الصواعق المرسلة (٣/ ٨٩٤- ٩٠٨).

يتوقف الحكم بمقتضياتها على عدم المعارض العقلي، إلا أن ذلك مظنون لا معلوم ... إلى آخر هذا الكلام ، زُبالة العقل المتعجرف، تشبع به أهل الكلام والبدع، ومن تغذى به وعليه من المعاصرين ...، تراه في قانون التأويل للغزالي، والمطالب العالية، ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، ونهاية المعقول للرازي أبي عبد الله، والإرشاد للجويني.

وأُسجل هنا أن هؤلاء الأئمة رجعوا عن هذا الذي كتبوه، واعترفوا بالحق الذي ندرسه اليوم وندافع عنه ما بقينا في هذه الحياة، ولم يستفد من هذا من تتلمذ عليهم وعلى مصنفاتهم، وما أُراهم إلا في استحواذ الشيطان عليهم فأنساهم الحق الذي رجع إليه من علَّموهم، وما أُراهم إلا أن الله ختم على قلوبهم، فهم في غفلة وضلال يعمهون.

أما الأشعري[1]: فقد رجع عن كلامه، وأشعريته، واعتزاله، إلى عقيدة السلف التي ندافع عنها الآن[2].

---

[1] عليُّ بن إسماعيل بن أبي البشر (ت ٣٢٤هـ).

[2] انظر: التبيين لابن عساكر (٥٧١هـ)، ووفيات الأعيان لابن خلكان الشافعي (٦٨١هـ)، والعلو للعلى الغفار للذهبي (٧٤٨هـ)، والبداية والنهاية لابن كثير (٧٧٤هـ)، وطبقات الشافعية لعبد الوهاب السبكي الشافعي (٧٧١هـ)، والديباج المذهب لبرهان الدين إبراهيم بن على اليعمري المالكي (٧٩٩هـ)، وإتحاف السادة

وكذلك إمام الحرمين أبو المعالى الجويني[١].

والإمام الغزالي أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، ورجوعه في «إلجام العوام» له[٢].

وأما الرازي محمد بن عمر بن الحسين فقد نقل اعترافه الذهبي في آخر عمره حيث يقول: لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيتُ أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾، واقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي[٣].

وهذا الرجوع من هؤلاء الأعلام المقتدى بهم، شاهدُ صدقٍ على فساد استخدام منطق اليونان في المطالب اليقينية، واتخاذه أصلاً في الحجة والبرهان، وأن المنهج الحق هو ما كان عليه الصحابة والتابعون لهم

المتقين للزبيدي (١١٤٥هـ)، ومن وراء ما ذكرت الإبانة عن أصول الديانة للأشعري، نعوذ بالله من الكبر والخذلان.

[١] انظر: المنتظم لابن الجوزي (٩/ ١٩)، وطبقات الشافعية للسبكي (٥/ ٥٨٥)، والسير للذهبي (١٨/ ٤٧١).

[٢] انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٢٣- ٣٤٦).

[٣] انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٥٠٠، ٥٠١).

بإحسان، ومن سلك سبيلهم من أهل العلم والعرفان، جعلني الله وإياكم على هذا البرهان وأماتني وإياكم عليه، فإن سلفنا الصالح لم يعرف عنهم أنهم عارضوا القرآن أو السنة بعقل أو رأى أو قياس ...، ولا قال أحد منهم: قد تعارض في هذا العقل والنقل، فضلاً عن أن يقول: يجب تقديم العقل، ولم يكن السلف رحمهم الله ورضى عنهم يقبلون معارضة الآية إلا بمثلها تفسرها أو تنسخها، أو بسنة الرسول ﷺ تفسرها، فإن سنة الرسول ﷺ تبين القرآن، وتدل عليه وتعبر عنه، فهما متلازمان لا يفترقان، والكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب، وكلاهما وحيٌ من الرحمن القائل: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[1].

استفيدوا هذا الأساس فإنه مهم.

---

[1] [النجم: ٣، ٤].

الأساس الرابع: الجمع بين أطراف الأدلة في الباب قبل دراسته وتقرير ما فيه من حكم أو مسألة.

والأدلة: قال الله تعالى، وقال الرسول ﷺ، وبينهما الأصحاب رضي الله عنهم، ومن تبعهم بإحسان، كما سبق بيانه من وجه مختصر.

فكم من مسألة ظهر التعارض بين أدلتها ظاهرًا، وبإقامة هذا الأساس بان الحكم وانكشف، كنصوص الوعد والوعيد، وردت فيها النصوص، فظن الناظر أنها متعارضة فأخذ بعضها ورد الآخر، ومن هنا نجد الخطأ والزلل في مخالفة الكتاب والسنة عند أهل البدع، فَكَفَّر الخوارج والمعتزلة مرتكب الكبيرة وأخرجوه من الإيمان؛ لأنهم أخذوا بنصوص الوعيد، وتركوا نصوص الوعد.

وجعلت المرجئة الفساق والأولياء في درجة واحدة في الدنيا والآخرة؛ لأنهم أخذوا بنصوص الوعد، وتركوا نصوص الوعيد.

ولما جمع السلف الصالح بين النصوص وأخذوا بمجموعها وأعملوها، فأصابوا الحق وأصابهم الحق؛ ولذا تراهم قالوا ببقاء أصل الإيمان عند أصحاب الكبائر، ولم يحكموا لهم بكمال الإيمان وتمامه، ولم

يحكموا عليه بما حكم عليه أهل الزيغ والضلال بالخلود في النار كالكفار[1].

---

[1] انظر: شرحي على كتابي «الإيمان» لأبي بكر بن أبى شيبة، و«الإيمان» لأبي عبيد القاسم بن سلام يسر الله إخراجهم.

وانظر في هذا الأساس: الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢/ ٧١)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/ ٢٧١،٢٧٠)، (١١/ ٦٤٦- ٦٤٩)، (١٦/ ١٦-٣١، ١٩٥، ١٩٦)، والإيمان له (٢١٠- ٣١٨)، (٣١٣ - ٣١٦)، ومدارج السالكين لابن القيم (١/ ٣٩٢-٣٩٤)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٣٣٨- ٣٤٨)، (٤١٤-٤١٦)، والمعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها للشيخ عواد بن عبد الله المُعتق (٢٠٩-٢٦٤).

الأساس الخامس: عدم مجادلة أهل البدع، وهجرهم وعدم مجالستهم، أو سماع كلامهم، أو عرض شبههم.

هذا هو الأصل عند أهل السنة والجماعة، إلَّا إذا دعوا إلى بدعتهم ونشطوا فيها، فوجب الصدُّ لهم وكشف حالهم، وأما مجالستهم وسماع كلامهم فيخضع لأمر مهم جدًا وهو وضع أساس للحوار يعتمد على:

١- الكتاب بالكتاب.

٢- والكتاب بالسنة والأثر.

٣- والكتاب والسنة بالأثر عن الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

فخرج بذلك العقل المجرد عنهم.

واعلم أن القرآن والسنة هما أساس اللغة، فلا تُحكَّم اللغة فيهما ولا تُقدم عليهما.

وهذا قيد لهذا الأساس المهم علمناه من لسان حال ومقال سلفنا الصالح رضي الله عنهم، ورحمهم الله.

والهجر من العقوبات الشرعية لأهل البدع والأهواء والجدل، وهو من باب إنكار المنكر، والتأديب والزجر لهم حتى يتركوا بدعتهم، على تفصيل في المسألة.

وقد دل على ذلك القرآن والسنة الصحيحة من فعله ﷺ، وأفعال أصحابه رضي الله عنهم وأقوالهم، والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

أما القرآن:

فقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾(١).

فيها:

١- النهى عن مجالسة المنافقين والكفار.

٢- النهى عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع من المبتدعة والفسقة عند خوضهم في باطلهم.

٣- وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر المنكر، على تفصيلٍ من حيث الابتداء والانتهاء.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾(٢).

فيها:

١- ردٌّ على من زعم أن الأئمة الذين هم حجج، وأتباعهم لهم أن يخالطوا الفاسقين ويصوبوا آراءهم تقية.

---

(١) [النساء: ١٤٠].

(٢) [الأنعام: ٦٨].

٢- النهى عن مجالسة أهل الكبائر، على تفصيل من حيث الابتداء والانتهاء.

٣- النهى عن مجالسة الخائض في آيات الله بالتكذيب والرد والاستهزاء، وهجره مؤمنًا كان أو كافرًا.

٤- موعظة عظيمة لمن يتسمح بمجالسة المبتدعة الذين يحرفون كلام الله ويتلاعبون بكتابه وسنة رسوله ﷺ، ويردون ذلك إلى أهوائهم المضلة، وبدعهم الفاسدة، فإذا لم ينكر عليهم ويغير ما هم فيه، فأقل الأحوال أن يترك مجالستهم، وذلك يسير عليه غير عسير، وقد يجعلون حضوره معهم مع تنزهه عما يتلبسون به، شبهة يشبهون بها على العامة، فيكون في حضوره مفسدة زائدة على مجرد سماع المنكر(١).

وأما السنة، فمنها:

١- عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(٢)، قالت: قال رسول

(١) انظر: تفسير الطبري، والبغوي، والقرطبي، والشوكاني.

(٢) [آل عمران: ٧].

ﷺ: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه؛ فأولئك الذين سمى الله؛ فاحذروهم»[١].

وهذه صفة رئيسة لأهل البدع في الاستدلال!!! فاحذروهم.

٢- رُوِيَ مرفوعًا: «القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم، وإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم»[٢].

٣- وعن يحيى بن يعمر، قال لابن عمر: يا أبا عبد الرحمن: إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن، ويتقفرون العلم[٣]، وذكر من شأنهم، يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف، فقال: «إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن

---

[١] أخرجه البخاري (**٤٥٤٧**) ومسلم (**٢٦٦٥**).

[٢] رُوِيَ عن ابن عمر، وجابر، وأبي هريرة، وسهل بن سعد، وحذيفة، وابن عباس، وغيرهم رضي الله عنهم، فلعله يحسن بطرقه وشواهده، ولا يخلو طريق منها من ضعف.

وقد صح موقوفًا عن ابن عمر، وابن عباس، وغيرهم رضي الله عنهم.

[٣] أي يطلبونه ويجمعونه.

عمر، لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه، ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر»[1].

فيه: هجره وبراءته من هذه البدعة الغليظة، المنكرة وأهلها، وتحذيره للمسلمين منها.

٤- وفي حديث كعب بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الصحيحين[2] يحدِّث عنه وعمن تخلف معه عن غزوة تبوك ... «ونهى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن كلامنا أيها الثلاثة» ...

هذا الحديث أصل عند العلماء في مجانبة من ابتدع، وهجرته وقطع الكلام معه.

وقال البغوي: وفيه دليل على أن هجران أهل البدع على التأبيد، وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاف على كعب وأصحابه النفاق حين تخلفوا عن الخروج معه، فأمر بِهِجْرانِهِم، إلى أن أنزل الله توبتهم[3].

وهكذا ورد عن جماعة من الصحابة، ومن بعدهم من التابعين وتابعيهم، كلهم ينهون عن مجالسة أهل البدع والأهواء[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٨)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي (٤٩٩٠)، وغيرهم.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤١٨، ٧٢٢٥)، ومسلم (٢٧٦٩).

(٣) انظر: شرح السنة (١/ ٢٢٧).

والخلاصة: أن هجر المبتدع ليس على إطلاقه وعمومه في كل مبتدع، بل يختلف عند السالفين باختلاف الأحوال والأشخاص، وباختلاف الهاجرين والمهجورين في قوتهم وضعفهم، وقلتهم وكثرتهم، حتى تتحقق المصلحة الراجحة التي أرادها الشرع، فإن المقصود زجر المهجور وتأديبه، ورجوع العامة عن مثل حاله، كيف ذلك:

١- إن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يُفضي هجره إلى ضعف الشر وخِفْيته كان مشروعًا.

٢- وإن كان المهجور لا يرتدع بذلك، بل يزيد الشر والهاجر ضعيف، بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته، لم يُشرع الهجر، بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر، والهجر

---

(١) انظر: عقيدة السلف للصابوني (٥١- ٥٤)، والإبانة لابن بطة (٢/ ٤٢٩- ٥٤٩)، باب: «التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان»، وباب: «ذم المراء والخصومات في الدين، والتحذير من أهل الجدال والكلام»، وأصول الاعتقاد للالكائي (١/ ١١٤- ١٥٠، ٤/ ٦٣٥، ٦٣٦)، وشرح السنة للبغوي (١/ ٢٢٥- ٢٣٠)، ومجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٠٦)، (٢١٠، ٢١٣- ٢١٨)، ومنهاج السنة له (١/ ٦٣- ٦٥)، والاعتصام للشاطبي (١/ ١٧٤- ١٧٧).

لبعض الناس أنفع من التأليف، ولهذا كان النبي ﷺ يتألف قومًا، ويهجر آخرين، كما أن الثلاثة الذين خُلفوا كانوا خيرًا من أكثر المؤلفة قلوبهم، لما كان أولئك سادة مطاعون في عشائرهم، فكانت المصلحة الدينية في تأليف قلوبهم، وهؤلاء كانوا مؤمنين، والمؤمنون سواهم كثير، فكان هجرهم عز الدين، وتطهيرهم من ذنوبهم، والشيء بنظيره.

وهذا كما أن المشروع في العدو القتال تارة، والمهادنة تارة، وأخذ الجزية تارة، كل ذلك بحسب الأحوال والمصالح، وجواب الأئمة كأحمد، وغيره، في هذا الباب مبنيٌّ على هذا الأصل، ولهذا كان يُفرَّق بين الأماكن التي كثرت فيها البدع، كما كثر القدر في البصرة، والتنجيم بخراسان، والتشيع بالكوفة، وبين ما ليس كذلك، ويفرق بين الأئمة المطاعين وغيرهم، فمن عرف مقصود الشريعة بالجمع بين أطراف الأدلة، وما جرى عليه العمل بين من نزلت عليهم، سلك في حصول مقصوده أوصل الطرق إليه بعيدًا عن الشطط والزلل.

مسألة في الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع

أسباب الابتداع كثيرة وبواعثه متعددة، يصعب تحديدها وحصرها؛ لأنها تتجدد وتتغير، وتظهر وتخفى، والدليل على ذلك من القرآن:

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١].

ومن السنة حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا، ثم قال: «هذا سبيل الله»، ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «هذه سبل (متفرقة) على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾»[٢].

فالآية والحديث يدلان على أن الطريق المستقيم واحد، والمتمثل في القرآن والسنة بفهم سلف الأمة من جماعة أهل السنة والجماعة بقرينة آيات وأحاديث وآثار في الباب؛ ولذا فهو طريق واضح سهل لا عوج فيه.

وأما قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ ، وقول الرسول ﷺ «هذه سبل متفرقة...» فنرى إطلاق سبل طرق الضلال ووسائل الخروج عن طريق الحق بلا حصرٍ عدد معين، ومن المسلَّمات أن كل انحراف إلى طريق

---

[١] [الأنعام: ١٥٣].

[٢] «صحيح بطرقه وشواهده»، وتقدم (ص: ٢٦).

من طرق الضلال لا بد له من سبب، وكل خروج إلى وسيلة من وسائل الباطل لا بد لها من باعث.

وعند التأمل لأجل البحث عن سبب رئيس، عنه تفرعت السبل، وجدناه ينحصر في الزيادة والنقصان في هذا الدين:

١- أما الزيادة فيه اعتقادًا وقولًا وفعلاً فبادِّعاء ما لم يكن في كلام الله ورسوله ﷺ.

٢- وأما النقصان منه اعتقادًا وقولًا وفعلاً فبادِّعاء نفي ما في كلام الله ورسوله ﷺ، أو تعمد تركه إما بالتأويل الباطل غير السائغ، أو الكذب على الله ورسوله ﷺ.

س/ ما السبب في الزيادة والنقصان؟

ج/ السبب، أسبابه عدة منها:

١- تحكيم العقل المجرد في الشريعة.

٢- الغلو فيها.

٣-المؤثرات الأجنبية.

٤- تعريب كتب الفلسفة.

٥- الرد على البدعة بمثلها.

٦- القول في الدين بجهل - بغير علم -، وله صور:

أ-الجهل باللغة وأساليبها.

ب-الجهل بالسنة وأصولها وضوابطها.

ج-الكلام في القرآن بالنظر.

د-اتباع الهوى.

أما تحكيم العقل، فقد سبق الكلام عنه في الأساس الرابع.

وأزيد هنا فأقول: إن تحكيم العقل في أمور العقيدة خاصة والشريعة عامة، وعدم قبول أي حديث يخالف ما تقرر في أذهانهم بحكم العقل، أو بقوانينهم العقلانية كما سبق بيانه، أو بتأويلهم له، فأدَّى بهم ذلك إلى رد كثير من الأحاديث الصحيحة ردًا مباشرًا أو بتلفيق الطعن في رواتها، فتراهم يردون الأحاديث التي جرت غير موافقة لأغراضهم ومذاهبهم، ويَدَّعُون أنها مخالفة للمعقول، وغير جارية على مقتضى الدليل - أي: العقل فهو القطعي عندهم- فيجب ردها كردهم لعذاب القبر، والجن، و ... إلخ، والتورط في هذا السبب قد يؤدي بهم إلى الطعن في الرواة من الصحابة والتابعين، وفي الجبال الحفاظ الأثبات الذين اتفق الأئمة سلفًا وخلفًا على عدالتهم وإمامتهم وإتقانهم.

ألا ترى عمرو بن عبيد -وهو من روَّاد الاعتزال-، قال في حديث «الصادق المصدوق»، لو سمعتُ الأعمش هذا لكذبتُه، ولو سمعتُ زيد بن وهب يقول هذا ما أجبتُه، ولو سمعتُ عبد الله بن مسعود يقول هذا ما

قبلتُه، ولو سمعتُ رسول الله ﷺ يقول هذا لرددتُه، ولو سمعتُ الله تعالى يقول هذا لقلتُ له: ليس على هذا أخذتَ ميثاقنا[١].

ومثله النَّظَّام منهم؛ تراه طعن في الصحابة والتابعين، فخطَّأ أبا بكر وعمر، وكذَّب ابن مسعود واتهمه، وشتم زيد بن ثابت، وعاب عثمان بن عفان، وطعن في أبي هريرة رضي الله عنهم.

قال ابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ) في الرد عليه: وله أقاويل في أحاديث يدَّعي عليها، أنها مناقضة للكتاب، وأحاديث يَسْتَبْشِعُهَا من جهة حجة العقل، وذكر أن حجة العقل قد تنسخ الأخبار، وأحاديث ينقض بعضها بعضًا[٢].

والعقل السليم يقضى بأن العقول البشرية متفاوتة فيما بينها فما يعرفه عقل قد ينكره آخر، وما يتصوره عقل قد يجهله آخر، فأيُّ عقلٍ منها إذن هو الذي يؤخذ حكمه ويكون ميزانًا لمعرفة الحقائق والأحكام الشرعية.

والحق: إن المُحَكِّم عقلَه في الشرع مجنون يجب الحجر عليه، ووضعه في مصحة نفسية، ثم ما فائدة الوحي المُنَزَّل ما دام أن العقل قادر بنفسه

---

[١] انظر: السنة لعبد الله بن أحمد (١٣٥)، وتاريخ بغداد (١٢/ ١٧٢)، والملل والنحل (١/ ٥٧، ٥٨).

[٢] انظر لزامًا: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص: ٩٣).

على معرفة ما يجب لله، وما ينفى عنه، بل يعتبر الوحي – على مذهبهم المُخِلِّ هذا- مرهقًا للعقل ومُتعبًا له؛ لأنه سينشغل برد بعضه، أو يصرفه عن ظاهره لمخالفته له حسب زعمهم المجنون.

وأما الغلو: فسببه الوهن في أصل الإيمان، وعدم التسليم المطلق لله ورسوله ﷺ، والضعف في مصدرية التلقي، ولذا ترى الخوارج غلوا في آيات الوعيد، وأعرضوا عن آيات الرجاء والوعد بالمغفرة والتوبة، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾(١)، ونظيرها من الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ .

فإذا نظرت إلى نصوص الوعد التي استدلت بها المرجئة، ونصوص الوعيد التي استدلت بها الخوارج والمعتزلة، تبين لك فساد القولين؛ لأن الحكم يأتي بالجمع بين الآيات والأحاديث التي في محله وهو ما عليه أهل السنة والجماعة.

وأما الشيعة الروافض، فترى عبد الله بن سبأ اليهودي هو الحامل للواء ظهورها، فقال في عليٍّ رضي الله عنه وطعن في غيره.

---

(١) [النساء: ٤٨].

ثم كان قتل الحسين بن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مقويًا لتيار الغلو، وجاء المختار بن أبي عبيد الثقفي ليستغل ذلك الحادث، وتتبع القتلة فقتلهم، وأحيا قضية الإمامة والبيعة لمحمد ابن الحنفية، ولكنه تبرأ منه لمَّا علم انحرافه...

ثم استمر خط التشيع الرافضي في الانحراف حتى وصل الغلو إلى رفع الأئمة المعصومين حسب زعمهم الفاسد!!! إلى درجة النبوة بل وإلى مقام الألوهية ...[١].

وكذا الحال في فرق الصوفية.

وأما المؤثرات الأجنبية: أعني بذلك تأثير روَّاد الأديان الأخرى في عقائد الفرق الدينية المنحرفة والتي تنتسب إلى الإسلام.

فأما الشيعة: فقد مر بنا أن عبد الله بن سبأ اليهودي كان أصل وجود الغلو في عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال عبد القاهر البغدادي: وقال المحققون من أهل السنة: إن ابن السوداء -أي ابن سبأ- كان على هوى دين اليهود، وأراد أن يُفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته في عليٍّ وأولاده، لكي يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ...[٢].

---

[١] انظر كتابي: «الشيعة في ميزان الشريعة».

[٢] انظر: الفرق بين الفرق (١/ ٢٢٥).

وقال قبل هذا النقل: إن عليًّا صَعِدَ إلى السماء كما صَعِدَ إليها عيسى ابن مريم عليه السلام ... وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه...[١].

وبهذا يتبين لكل ذي عقل سليم ما أراده هذا اليهودي الخبيث من ادعائه للإسلام، وقد أصبحت العقائد التي أظهرها أساسًا للشيعة الروافض، ولقد لعب على هذا الوتر الفُرس من أعداء الإسلام فاستغلوا فرقة التشيع للوصول إلى أغراضهم الفاسدة في الكيد للإسلام بعد فشلهم في إيقافه، وقد حَطَّم دولتهم، فأظهر قوم منهم الإسلام، واستمالوا إلى أهل التشيع بإظهار محبة أهل البيت، واستشناع ظلم عليٍّ رضي الله عنه، ثم سلكوا به مسالك شتى، حتى أخرجوهم عن الإسلام[٢].

وأما القدرية: فإن أول من نطق بمقالتهم رجل نصراني يسمى –سنسويه– ثم تلقاها عنه معبد الجهني.

هكذا كان الانحراف للتائهين عن أصل هذا الدين وحقيقته، مطية لأعداء الله لينالوا منه، إلا الفئة التي ترسخت في الحق، وعليه؛ فلم يستطيعوا معهم تنفيذ مآربهم.

وأما الجهمية: فإن الجعد بن درهم أخذ مقالته عن بيان بن سمعان، وأخذها بيان عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم زوج ابنته، وأخذها

---

[١] انظر: الفرق بين الفرق (١/ ٢٢٤).

[٢] انظر: الفصل لابن حزم (٢/ ٩١).

لبيد بن الأعصم الذى سحر النبي ﷺ عن يهودى باليمن، وأخذ عن الجعد الجهم بن صفوان، وقيل: إن الجعد كان من أهل حران، وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة، وكانوا على الشرك، ومن قال منهم في الرب: إنه ليس له إلا صفات سلبية، أو إضافية، أو مركبة منها، فيكون الجعد قد أخذها عن الصابئة والفلاسفة، وعنه الجهم بن صفوان، ثم إن الجهم خالط السُّمَنِية – فرقة من أهل الهند من عبُّاد الأصنام- وناظرهم، كمناظرتهم في إثبات الله تعالى، انتهى فيها الجهم إلى أنْ شَبَّهَ الله فيها بالروح التي لا ترى، ولا تحس، ولا تسمع[1].

وأما تعريب كتب الفلسفة: لقد عُرِّبت كتب الفلسفة اليونانية وغيرها من كتب العقائد الوثنية في عهد الخليفة المأمون – في المائة الثانية تقريبًا-، فاطلع عليها طائفة من المسلمين، وانخدعوا بما فيها تأسيسًا وتقريرًا، فاتخذوا ميزانًا للحقائق الشرعية من نصوص الكتاب والسنة، فَأَوَّلُوها على وفق ما اتخذوه ميزانًا لهم، مما نتج عنه بلاء كبير وانحراف خطير، وصار الناس فيها أشتاتًا بالإضافة إلى التقصير والتفريط في معرفة ما جاءت به الرسل من الكتاب والحكمة.

---

[1] انظر: الرد على الجهمية والزنادقة لأحمد (٢٧، ٢٨)، والملل والنحل للشهرستاني (٢/ ١١٢)، ومجموع الفتاوى (٥/ ٢١- ٢٢)، والبداية والنهاية (٩/ ٣٥).

وما المعتزلة منا ببعيد لما طالعت شيوخها كتب الفلاسفة فخلطت الغثَّ بالسمين، ناهيك عن أبي الهذيل العلاف، وإبراهيم بن سيَّار النَّظام من رؤوسهم، نرى فيهما موافقة الفلاسفة في معتقداتهم، وتقريراتهم.

وأما القول في الدين بجهل أو بغير علم: لقد حذر الشارع الحكيم من القول في الدين بغير علم بالقرآن والسنة، وجعل ذلك من المحرمات بل من أكبرها، **ففي القرآن** قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾(1).

وقال: ﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾(2).

وقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾(3).

وفى السنة:

---

(1) [الأعراف: ٣٣].

(2) [الأنعام: ١٤٤].

(3) [البقرة: ١٦٨، ١٦٩].

قال ﷺ: «من تقول عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار»، وفى لفظ: «من كذب عليَّ متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار»[١].

ألا تراه ﷺ أمسك عن الرد على اليهود حينما سألوه عن الروح حتى نزل عليه قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[٢].[٣]

وفى الأثر: عن عروة أن رجلاً سأل ابن عمر رضي الله عنه عن مسألة، فقال: لا علم لي بها، فلما أدبر الرجل، قال ابن عمر: نِعْم ما قال ابن عمر، سُئل عما لا يعلم، فقال: لا علم لي به ...[٤].

وفى الباب عن الصحابة، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان ما تشتاق النفوس المهذبة إلى معرفته والاقتداء به.

---

[١] أخرجه مسلم (٣)، وأبو داود (٣٦٥٧)، والنسائي في الكبرى (٥٨٨٤)، وغيرهم، فالحديث متواتر باتفاق الأئمة.

[٢] [الإسراء: ٨٥].

[٣] أخرجه البخاري (١٢٥، ٤٧٢١، ٧٢٩٧، ٧٤٥٦، ٧٤٦٢)، ومسلم (٢٧٩٤).

[٤] «إسناده صحيح»، أخرجه ابن المبارك في الزهد (٥١، ٥٢)، والدارمي (١٥٧، ١٨٧)، والحاكم في المستدرك (٦٣٧٨)، وغيرهم.

فالمخالفة في ذلك توقع في البدعة قاصدًا أو غير قاصد، وكان بذلك مبتدعًا بادعائه العلم وتعالمه أولًا، وانتشار ذلك سبب رئيس في قبض العلم، وكسوف الحق، وانتشار الجهل والظلام، والاختلافات والمعارضات كما لا يخفى في عصرنا.

وفى الحديث المشهور قال ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»[(١)].

وهذا السبب له صور سبق حصرها إجمالًا، وإليك التفصيل:

أولًا: الجهل باللغة وأساليبها:

من الثوابت عند طلبة العلم أن الرسول ﷺ كان عربيًّا، نشأ في بيئة عربية أصيلة لها باع في الفصاحة والبلاغة، وأن اللغة العربية كانت لغة الرسالة ووسيلة التبليغ، وبهذا جرت سنة الله في رسالاته.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٠، ٧٣٠٧)، ومسلم (٢٦٧٣، ٢٦٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٢) [إبراهيم: ٤].

ولذا ترى القرآن الكريم قد اعتنى بإثبات عروبة القرآن من ناحية النطق والبيان والفصاحة والإبداع ما أعجز من سليقتهم العربية.

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[1].

وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا ﴾[2].

وقال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾[3].

وقال: ﴿ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٧ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾[4].

وقال: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[5]، إلى غير ذلك من الآيات، وبه تحدَّى النبي ﷺ كل من تطاول بتكذيب أو اتهام ... إلخ

---

(1) [يوسف: ٢].

(2) [طه: ١١٣].

(3) [الشعراء: ١٩٢- ١٩٥].

(4) [الزمر: ٢٧- ٢٨].

(5) [الزخرف: ٣].

تحدَّى أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله، فما استطاعوا وما تمكنوا، وأنَّى لهم ذلك، قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[1].

وقال: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[2].

وقال: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3].

وقال: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[4].

---

(١) [الإسراء: ٨٨].

(٢) [هود: ١٣- ١٤].

(٣) [يونس: ٣٨- ٣٩].

(٤) [البقرة: ٢٣].

ومن القرآن والسنة كانت قواعد اللغة وضوابطها، وأظهروا أسرارها وخصائصها ومزاياها، ورحم الله الإمام الشافعي (ت: **٢٠٤**هـ) في رسالته لما قال: ولسان العرب: أوسع الألسنة مذهبًا، وأكثرها ألفاظًا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غيرُ نبي[١]. ومع هذا تحداهم القرآن فعجزوا.

فمن أساليب اللغة العربية في القرآن، ما نزل عامًّا يراد به العام ويدخله الخصوص، قال تعالى: ﴿ **مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ** ﴾[٢].

قال الشافعي: وإنما أُرِيد به مَن أطاق الجهاد من الرجال، وليس لأحد منهم أن يرغب بنفسه عن نفس النبي: أطاق الجهاد، أو لم يُطِقْه؛ ففي هذه الآية الخصوص والعموم[٣].

قلت: العموم حيث شملت كل من أطاق الجهاد دون التخصيص، والخصوص من حيث إنه أريد بها من أطاق الجهاد من الرجال دون غيرهم.

---

[١] انظر: الرسالة للشافعي (**١/ ٤٢**).

[٢] [التوبة: **١٢٠**].

[٣] انظر: الرسالة (**١/ ٥٤**).

ولذا تراه ثنى بقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾[١].

وذكر مثالًا آخر، وأرشد إلى نظائره في القرآن، وكذا سنة النبي ﷺ.

وكذا ما نزل عام الظاهر وهو يجمع العام والخاص:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٢].

فأما العموم منها ففي قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم ...لِتَعَارَفُوٓاْ﴾، فكل نفس خوطبت بهذا في زمان رسول الله ﷺ وقبله وبعده مخلوقة من ذكر وأنثى، وكلها شعوب وقبائل.

والخاص منها، في قوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾؛ لأن التقوى إنما تكون على من عقلها، وكان من أهلها من البالغين من بني آدم، دون المخلوقين من الدواب سواهم، ودون المغلوبين على عقولهم منهم، والأطفال الذين لم يبلغوا، وعُقل التقوى منهم، فلا يجوز أن يوصف

---

[١] [النساء: ٧٥].

[٢] [الحجرات: ١٣].

بالتقوى، وخلافها إلا من عقلها فكان من أهلها، أو خالفها فكان من غير أهلها.

ومثله في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[١].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾[٢].

على البالغين العاقلين دون من لم يبلغ، ومن بلغ ممن غُلب على عقله، ودون الحُيَّض في أيام حيضهن.

وكذا ما نزل عامَّ الظاهر يراد به كله الخاص:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾[٣].

فيها: أن الناس الذين قالوا، غير الناس الذين قيل لهم، غير الناس الذين جمعوا ...[٤].

---

[١] [البقرة: **١٨٣**].

[٢] [النساء: **١٠٣**].

[٣] [آل عمران: **١٧٣**].

[٤] انظر: الرسالة (١/ ٥٦- ٥٨).

أشار الشافعي في رسالته إلى ذلك ثم قال: فالدلالة بيِّنة مما وصفتُ من أنه إنما جمع لهم بعضُ الناس دون بعض.

والعلم يحيط أنْ من لم يَجمع لهم الناسُ كلهم، ولم يُخبرهم الناسُ كلهم، ولم يكونوا هم الناس كلَّهم.

ولكنه لما كان اسم «الناس» يقع على ثلاثة نفر، وعلى جميع الناس، وعلى مَن بين جمعهم وثلاثةٍ منهم، كان صحيحًا في لسان العرب أن يقال: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾، وإنما الذين قال لهم ذلك أربعةُ نفر ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾، يعنون المنصرفين عن أُحُدٍ.

وكذا ما نزل. ويدل لفظه على باطنه دون ظاهره:

قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾(١).

فالمقصود بلفظ القرية أهلها؛ لأن إخوة يوسف خاطبوا بذلك أباهم، والأب لا يسأل القرية، وإنما يسأل أهلها ليتعرف على صدقهم ويستفسر عن حالهم(٢).

---

(١) [يوسف: ٨٢].

(٢) انظر: الرسالة (١/ ٥٨).

والكلام هنا يطول من القرآن ودلالاته، والسنة ودلالتها، ولذا وجب على كل مسلم أن يتعلم من اللغة وأصولها ما يتلوا به الكتاب، وينطق به الذكر المفترض عليه من التكبير ونحوه.

فباللغة يقرأ ويفهم ويتكلم ويعبر، والخالف يتكلم بلسان السالف، فليس له أن يدخل فيها ما ليس منها، كما فعل أهل البدع في صفات الله تعالى، فزعموا أن اليد بمعنى القوة في اللغة، وأن الاستواء بمعنى الاستيلاء.

ثانيًا: الجهل بالسنة وأصولها:

من ذلك الجهل بحقيقة السنة وأهميتها ودورها في التشريع، ومن ذلك الجهل بقانون التمييز بين الروايات الصحيحة والضعيفة والمكذوبة.

وهذا الباب خاصة يكشف العورات، وانغمس فيه المبتدعة بسبب جهلهم به، والواقع لا يخفى على أحد من طلاب العلم المخلصين في الطلب والمدافعين عن هذا المنهج الحق.

قال ﷺ وهو على المنبر: «يا أيها الناس إياكم وكثرة الحديث عني، من قال عليَّ فلا يقولن إلا حقًا، أو صدقًا، فمن قال عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار»[1].

---

[1] «حسن»، أخرجه ابن أبي شيبة (٢٦٢٤٤) وعنه ابن ماجه (٣٥)، وأحمد (٥/ ٢٩٧) واللفظ له، وغيرهم من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «سيكون في آخر الزمان [سيكون في آخر أمتي أناس] دجالون كذابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم، ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يضلونكم، ولا يفتنونكم»[1].

وفى حديث المقدام مرفوعًا قال ﷺ: «ألا إني أوتيت الكتاب، ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع...»[2].

والمقصود أن القرآن والسنة متلازمان لا يفترقان، متفقان لا يختلفان[3].

ثالثا: الكلام في القرآن بالنظر:

أعنى بهذا التخلي عن السنة، وآثار الصحابة، والتابعين، فلا بد أن يضل، ومن ضَلَّ ضَلَّلَ، وما اتباعهم للمتشابه منه ببعيد، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ

---

(1) «حسن»، وتقدم (ص: ٢٧).

(2) «صحيح»، وتقدم (ص: ٣٣).

(3) انظر لزامًا: رسالتي: «إتحاف الأمة بأصول السنة».

تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[(١)].

والضلال الذي وقع فيه المبتدعة محله هذا، فتدخلوا بنظرهم ورأيهم في القدر وماهيته، وصفات الله تعالى وحقيقتها... إلخ

وانظر: «باب: المحكم والمتشابه» عند أهل السنة والجماعة وأهل الكلام؛ لترى الفرق بين المنهج الذي أساسه الاتباع والانقياد، وبين الفكر الذي أساسه التمرد والاعتراض، كما سبق بيانه في مطلع هذه الأسس[(٢)].

رابعًا: اتباع الهوى:

الهوى: يطلق على ميل النفس وانحرافها نحو الشيء، ثم استعمل في الميل المذموم، والانحراف السيء، فيقال: اتبع هواه، وهو من أهل الأهواء.

وإنما وقع الذم على أهل الأهواء؛ لأنهم لم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها حتى يَصدُروا عنها، بل قدموا

---

(١) [آل عمرن: ٧].

(٢) انظر: متفرقات في «مجموع فتاوى»، و«درء تعارض العقل والنقل»، و«منهاج السنة»، و«إعلام الموقعين» لابن القيم، «والصواعق المرسلة» له، و«البحر المحيط» للزركشي، و«الموافقات» للشاطبي، و«المحصول» للرازي، وغير ذلك مما يطول ذكره.

أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورًا فيها وراء ذلك.

وحُكي عن بعض الفلاسفة قوله: "الهوى ما تتبعه النفس، غيًّا كان أم رشدًا، حسنًا كان أم قبيحًا"، ولذلك ذمَّه الله.

ومن الثوابت عندنا: أن الأصل في الأحكام الشرعية كلها ألا يؤخذ منها شيء إلا عن الله ورسوله ﷺ.

وقد ذم ربنا سبحانه وتعالى من يتبعون الهوى، ويعرضون عن الحق الذى جاء به الشرع، قال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾[(١)].

وقال: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[(٢)].

وقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[(٣)].

فيها التحذير من اتباع الأهواء وأهلها.

---

(١) [النجم: ٢٣].

(٢) [الجاثية: ٢٣].

(٣) [الجاثية: ١٨].

وقال: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(١)، جعل السبب الأكبر في عدم استجابة الكفار لدعوة الرسول ﷺ هو اتباع الهوى.

واعلم أنه لا يقتصر ضلال من يتبع الهوى على نفسه، بل يتجاوز ذلك إلى إضلال غيره، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴾(٢).

والناظر من حيث الجملة في أساس البدع وأسبابها يجد الهوى محور ارتكازها، ومصدر وجودها، خاصة ممن يتمكنون من التعرف على الحق، أو من وصلوا إلى مناصب كبيرة في الفتيا والحكم، فهم ما اخترعوا ما اخترعوه، أو تمسكوا بها وجدوه مما هو مخالف للقرآن والسنة إلا اتباعًا للهوى، حفظًا لشهرة أو منصب، أو طمعًا في كسب مادي، أو تعنتًا في مواجهة الخصوم، أو خوفًا من تحمل مسئوليات التغيير، أو مخالفة العرف.

---

(١) [القصص: ٥٠].

(٢) [الأنعام: ١١٩].

ومن أبرز ما يظهر لنا وينجلي، نراهم استدلوا على ما ذهبوا إليه بالقرآن والسنة، وسبق التفرقة بين الدليل والشبهة، فالظاهر للعوام أنه دليل، والحق عند طالب العلم أنه شبهة.

وسبق كذلك بيان منهج أهل الحق في منهجية التلقي والاستدلال والكلام في الأحكام كلها، أو معرفة موقف الدين من كل مسألة يجب علينا سبر ما ورد فيها من آيات، وأحاديث، وآثار، لئلا نضرب الكتاب بالكتاب، والسنة بالسنة، والكتاب والسنة بالآثار، فبالجميع نسترشد ويستبين الحكم، وهذا تأصيل أصيل من الشافعي، وأحمد، وابن المديني، وغيرهم من الأخيار رحمهم الله.

ولكن المبتدعة لم يتبعوا هذا المنهج، بل لقد تمسك كل منهم بنظرية معينة، أو فكرة خاصة، ثم تصيدوا لها ما يوافقها من متشابه القرآن أو ضعيف السنة دون النظر إلى غيره.

ورحم الله شيخ الإسلام عندما قال: إن السلف كان اعتصامهم بالقرآن والإيمان، فلما حدث في الأمة ما حدث من التفرق والاختلاف، صار أهل التفرق والاختلاف شيعًا، صار هؤلاء عمدتهم في الباطن ليست على القرآن والإيمان، ولكن على أصولٍ، ابتدعها شيوخهم، عليها يعتمدون في التوحيد، والصفات، والقدر، والإيمان بالرسول، وغير ذلك، ثم ما ظنوا أنه يوافقها من القرآن احتجوا به، وما خالفها تأولوه؛ فلهذا

تجدهم إذا احتجوا بالقرآن والحديث لم يعتنوا بتحرير دلالتهما، ولم يستقصوا ما في القرآن من ذلك المعنى؛ إذ كان اعتمادهم في نفس الأمر على غير ذلك، والآيات التي تخالفهم يَشْرَعُون في تأويلها شروع من قَصَدَ رَدَّهَا كيف أمكن؛ ليس مقصوده أن يفهم مراد الرسول؛ بل أن يدفع منازعه عن الاحتجاج بها، ولهذا قال كثير منهم -كأبي الحسين البصري، ومن تبعه كالرازي، والآمدي، وابن الحاجب -: إن الأمة إذا اختلفت في تأويل الآية على قولين: جاز لمن بعدهم إحداث قول ثالث؛ بخلاف ما إذا اختلفوا في الأحكام على قولين، فجوزوا أن تكون الأمة مجتمعة على الضلال في تفسير القرآن والحديث...»[1].

فرع: في الأسباب المعينة على انتشار البدع:

١- عمل العالم، أو من يظن فيه العلم لا سيما المشهور منهم بالبدعة، وتقليد الناس له لوثوقهم بأنه لا يفعل إلا ما فيه الصواب.

٢- سكوت العلماء عن بيان وجه الابتداع في البدعة، فيَعُدُّ العامة سكوتَهم إقرارًا منهم على ذلك.

٣- انتشار البدعة بين الناس، وتحولها إلى عادة اجتماعية يصعب الانصراف عنها إلا بعد جهد كبير.

---

[1] انظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٥٨).

٤- موافقة البدعة لأهواء النفوس وغرائز الناس التي حرص الدين على تنظيمها، والحد من الانطلاق معها.

٥- عدم وجود مقاومة فعالة تمنع من انتشار البدعة، وامتداد أخطارها، وتغلغلها في النفوس.

٦- تبني الحكام والأمراء وذوي الهيئات للبدعة، والعمل بها لموافقتها أهواءهم، أو سكوتهم عن الإنكار، وتركهم لأهل البدع.

٧- الدعوة إلى اندثار مدارسة العلم الأصيل بين عموم الأمة.

٨- انتشار الجهل بالدين بين جمهور الأمة مما سوغ للرويبضة الانطلاق في ساحةٍ مناسبةٍ للعبث والتضليل.

٩- الرد على البدعة بمثلها أو أشد منها، وهذا سبب خطير من حيث الجملة إذا صدر ممن يُقتدى به، ويدافع عن هذا الدين. هذا أولًا.

وثانيًا: ما يتعلق بالفِرَقِ؛ ويُمَثِّلُ ذلك المرجئة، والمعتزلة، والمشبهة، والجهمية.

فالمرجئة: بدأت في مواجهة الخوارج الذين كفَّرُوا عليًّا رضي الله عنه وبطانته.

فقالت المرجئة: لا نحكم فيهم، ونرجئ أمرهم إلى الله، ولكن لم يلبث الحديث في الإرجاء إلى أن انتهى إلى القول: "بأنه لا تضر مع الإيمان معصية، كما أنه لا تنفع مع الكفر طاعة".

ثم ظهرت المعتزلة ببدعة المنزلة بين المنزلتين كخط وسط بين الخوارج والمرجئة، كما ظهر في جواب واصل بن عطاء للسائل الذي عرض سؤاله في مجلس الحسن البصري، وذكر موقف الخوارج والمرجئة من مرتكب الكبيرة، وطلب من الحسن بيان الاعتقاد الصحيح في ذلك، فسبقه واصل وذكر أن مرتكب الكبيرة بين منزلتين، فرد على البدعة ببدعة، فضل وأضلَّ بعد.

وأما المشبهة: فقد كانت رد فعل للمعطلة الجهمية التي كانت معها في بلدة واحدة «مدينة بلخ» حيث كان الجهم بن صفوان يقرر نفى الصفات عن الله عز وجل، فقام مقاتل بن سليمان بالرد عليه، وبالغ في إثبات الصفات، حتى انتهى به ذلك إلى تشبيه الله عز وجل بخلقه، فوقع في بدعة أخرى لا تقل فسادًا عن أختها.

وأما الجهمية: فقد ردَّت على بدعة القدرية ببدعة أخرى وهي القول بالجبر؛ حيث كانت القدرية تزعم أن العبد هو الخالق لفعل نفسه وليس الله عز وجل، فجاء الجهم ليرد على تلك البدعة، فعكس القضية تمامًا فقال: بل الله هو الخالق الموجد، والعبد مجبور على فعله، ولا قدرة له عليه، ولا اختيار، بل هو كالسعفة في مهب الريح ...، فوقع في بدعة أخرى لا تقل فسادًا عن أختها، تنتهي إلى إبطال التكليف والجزاء.

الأساس السادس: الحرص على جماعة المسلمين وإمامهم ووحدتهم، والبعد عن مخالفتهم ومفارقتهم.

وأساس ذلك؛ التمسك بما كان عليه رسول الله ﷺ، والصحابة رضي الله عنهم، ومن سلك سبيلهم، وسار على نهجهم، ولزم جماعة المسلمين وإمامهم المسلم.

وسبق بيان أن النبي ﷺ كان على القرآن، وأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا على القرآن والسنة؛ ولذا أُمرنا بالاقتداء بهم في كل زمان ومكان.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[1].

وقال: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[2].

فأمر الله تعالى المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم في غير موضع أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله.

وفى صحيح سنته ﷺ قال ابن مسعود رضي الله عنه: خط لنا رسول الله ﷺ خطًا، ثم قال:«هذا سبيل الله»، ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن

---

(1) [آل عمرن: ١٠٢ - ١٠٣].

(2) [الأنعام: ١٥٣].

شماله، ثم قال: «هذه سبل [متفرقة]»، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[(١)].

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«إن الله يرضى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا، فيرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[(٢)].

وفي حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان الناس يسألون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا اللهُ بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟، قال: «نعم»، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟، قال: «نعم، وفيه دخن»، قلت: وما دخنه؟، قال: «قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر»، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟، قال: «نعم، دعاة إلى أبواب جهنم[(٣)]، من أجابهم إليها قذفوه فيها»، قلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟، فقال: «هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا»، قلت: فما

---

(١) «صحيح بطرقه وشواهده»، وتقدم (ص: ٢٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٧١٥).

(٣) وعند مسلم «دعاة على أبواب جهنم».

تأمرني إن أدركني ذلك؟، قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟، قال «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»[١].

قال النووي (ت: ٦٧٦هـ): وفي حديث حذيفة هذا لزوم جماعة المسلمين وإمامهم ووجوب طاعته وإن فسق وعمل المعاصي من أخذ الأموال وغير ذلك فتجب طاعته في غير معصية[٢].

وقال ابن بطال (ت: ٤٤٩هـ): فيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين، وترك القيام على أئمة الجور[٣].

وقال أيضًا في شرحه لحديث «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا، فَلْيَصْبِرْ»[٤]: في هذه الأحاديث حجة في ترك الخروج على أئمة الجور، ولزوم السمع والطاعة لهم، والفقهاء مجمعون على أن الإمام المتغلّب طاعته لازمة، ما

---

[١] أخرجه البخاري (٣٦٠٦، ٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧).

[٢] انظر: المنهاج شرح مسلم بن الحجاج (١٢/ ٢٣٦).

[٣] انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٣٣)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٧).

[٤] أخرجه البخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ، قال: «من كره من أميره شيئًا، فليصبر عليه، فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبرًا، فمات عليه، إلا مات ميتة جاهلية».

أقام الجمعات والجهاد، وأن طاعته خير من الخروج عليه؛ لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء، ألا ترى قوله ﷺ لأصحابه: «سترون بعدي أثرةً وأمورًا تنكروها»، فوصف أنهم سيكون عليهم أمراء يأخذون منهم الحقوق ويستأثرون بها، ويؤثرون بها من لا تجب له الأثرة، ولا يعدلون فيها، وأمرهم بالصبر عليهم والتزام طاعتهم على ما فيهم من الجور.

قال عليٌّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إني لا أرى هؤلاء القوم إلا ظاهرين عليكم لتفرقكم عن حقكم واجتماعهم على باطلهم، وإن الإمام ليس بشاق شعرة، وإنه يخطئ ويصيب، فإذا كان عليكم إمام يعدل في الرعية ويقسم بالسوية فاسمعوا له وأطيعوا، وإن الناس لا يصلحهم إلا إمام بر، أو فاجر، فإن كان برًا فللراعي وللرعية، وإن كان فاجرًا عبد فيه المؤمن ربه وعمل فيه الفاجر إلى أجله...»[1].

---

[1] أخرجه ابن أبي شيبة (٣٨٤٠٩) حدثنا عليٌّ بن مسهر، عن الشيباني، عن عبد الله بن المخارق بن سليم، عن أبيه، عن عليٍّ به. وإسناده صحيح.

وعن عليِّ بن معبد، عن عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ أنه قال: «لا بد من إمامة برة أو فاجرة»، قيل له: البرة لا بد منها، فما بال الفاجرة؟، قال: «تقام بها الحدود، وتأمن بها السبل، ويقسم بها الفيء، ويجاهد بها العدو»[1].

ألا ترى قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ في حديث ابن عباس: «من خرج من السلطان شبرًا مات ميتةً جاهليةً».

وفى حديث عبادة: «بايعنا رسول الله على السمع والطاعة» إلى قوله: «وألا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرًا بواحًا»؛ فدل هذا كله على ترك الخروج على الأئمة، وألا يُشق عصا المسلمين، وألا يتسبب إلى سفك الدماء وهتك الحريم، إلا أن يكفر الإمام، ويُظهر خلاف دعوة الإسلام، فلا طاعة لمخلوق عليه[2].

---

[1] لم أقف عليه بهذا اللفظ، ووقفت عليه عند ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٩٧) هكذا أيضًا بغير إسناد.

[2] انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٨، ٩)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٧).

وهذا الباب واسع عند أئمتنا السالفين، فيه ما لذ وطاب لباغي الحق، ولضبط العقل واللسان، مع ولاة الأمر، وإن فشا ظلمهم، وتجبروا على رعيتهم[1].

واعلموا أن الأمة الإسلامية بدأت بحاكم عام، وتخضع له إمارات كل إمارة يرأسها أمير، ثم دُمِّرت هذه الخلافة بهذا النظام؛ لتفكيك قوتها وضعف بِنيتها.

---

[1] انظر إن شئت: كتاب «الفتن» عند البخاري، و«الإمارة» عند مسلم، ومن وافقهم من المصنفين.

وقد عقد ابن بطة (ت ٣٨٧هـ) في «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، ومجانبة الفرق المذمومة» بابًا قال: «ذكر ما أمر به النبي ﷺ من لزوم الجماعة، والتحذير من الفرقة»، وذكر بإسناده أربعة وثلاثين طريقًا.

وبعده اللالكائي (ت ٤١٨هـ) في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم»، عقد بابًا بعنوان: «ما روي عن النبي ﷺ في الحثِّ على اتِّباع الجماعة والسواد الأعظم، وذم تكلف الرأي، والرغبة عن السنة، والوعيد في مفارقة الجماعة»، وذكر بإسناده سبعة وثلاثين طريقًا.

وانظر فتح الباري (١٣/ ٣٧، ٣١٦)، والاعتصام للشاطبي (٢/ ١٣٥- ١٤٢)، وكتابي «كشف العوار في المنتحلين فكر الخوارج والمعتزلة الأشرار».

وما نعيشه يقضى بأن اسم جماعة المسلمين يخضع لكل قطر اجتمعوا على رئيس، أو حاكم، أو أمير عام، فهم رعية في إمرته أو ولايته.

والأصل فيه أن يكون حاكمًا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإن عُقدت الولاية لظالم فاسق عاص مُسَالمة أو عُنوة، تعين على الرعية الامتثال والانقياد أيضًا، ولا يجوز الخروج عليه بالأصل الأول إن وجد، وهو الأمر بالطاعة، وما فيه مصلحة عامة لا تخالف شرعًا، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة عند المقدرة، وإلا فإظهار السمع والطاعة كراهية في ظل الصبر والاحتساب؛ خشية وقوع الضرر الغالب ممن كان هذا حاله، ولا يعني عدم السمع والطاعة في المعصية التمرد بالمظاهرات، والاعتصامات، فهذا من الخروج على ولاة الأمور.

هلاَّ قرأتم في حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس»، قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله، إن أدركتُ ذلك؟ قال: «تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع»[١].

لماذا هذا؟

---

[١] أخرجه مسلم (١٨٤٧).

وانظر لزامًا: كتابي «كشف العوار» (ص: ٦٧- ٩٩).

١- لأصل اجتماع الكلمة على قاعدة ارتكاب أخف الضررين.

٢- تجنب وقوع الفتن التي تأكل الأخضر واليابس.

٣- تجنب الشقاق وكسر عصا الطاعة؛ لأنه سبب لفساد الأحوال في الدين والدنيا.

والواجب على الرعية والحالة هذه:

١- النصح له بطريقة مناسبة مع مراعاة مبدأ: أنزلوا الناس منازلهم.

٢- النكران عليه برفق ولين حتى يتحقق المطلب المناسب مع الشرع.

٣- أن يكون المُنْكِر قادرًا على ذلك مباشرة أو بواسطة.

٤- عدم التشهير به وفضح حاله.

٥- الدعاء له.

٦- إن كثرت مساوئه وفضائحه بما يعم الضرر على البلاد والعباد به، وأظهر كفره وعناده للدين بما لا وجه للتأويل فيه، تعين على أهل الحل والعقد خلعه عند المقدرة بغير فتنة ولا ظلم، وإلا فالواجب الترك والصبر، والله من وراء القصد.

هذا الذي ذكرته ملخص لمنهج سلفنا الصالح أهل السنة والجماعة في حياتهم كلها، فهم لا يأخذون دينهم علمًا وعملاً إلا من كتاب ربهم وسنة نبيهم، لا يقدمون على ذلك، ولا يعارضون بعقل، أو رأي، أو

قياس، أو ذوق، أو مكاشفة، ... فكلهم التزموا بالقرآن والسنة، فكانوا بحق أهل التجمع والائتلاف عليهما.

وختامًا: وجب علينا أن نفخر بانتمائنا إلى أهل السنة والجماعة الذين ليس لهم اسم إلا هذا الاسم، وهذا بخلاف غيرهم من أهل البدع الذين انتحلوا لأنفسهم أسماء أرادوا أن تميزهم عن غيرهم، فهذا جهمي، وهذا قدري، وهذا رافضي، وهذا معتزلي، وهذا صوفي، وهذا أشعري ... إلخ

سُئل الإمام مالك (ت: **١٧٩**هـ): من أهل السنة؟ قال: أهل السنة الذين ليس لهم لقب يُعرفون به، لا جهمي، ولا قدري، ولا رافضي.

وفى رواية عن عبد الرحمن بن مهدى قال: سُئل مالك عن السنة؟ قال: هي ما لا اسم له غير السنة، وتلا: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[1].

فمن أخذ في مثل هذه المحجة، وداوم بهذه الحجج على منهاج الشريعة، أمن في دينه التبعة في العاجلة والآجلة، وتمسك بالعروة الوثقى

[1] انظر: الانتقاء لابن عبد البر (**٣٥**)، والاعتصام للشاطبي (**١/ ٨٠**).

لا انفصام لها، واتَّقى بالجُنَّة التي يتقى بمثلها ليتحصن بحمايتها، ويستعجل بركتها، ويحمد عاقبتها في المعاد والمآل إن شاء الله تعالى(١).

---

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، والحجة في بيان المحجة لأبي القاسم الأصبهاني، ومجموع الفتاوى (١٣/ ٢٧- ٢٩).

مسألة في التأويل:

معنى التأويل: صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر يحتمله اللفظ؛ لدليل يقترن به مع قرينة مانعة من المعنى الحقيقي.

نفهم هذا بما يأتي.

والناظر في حقيقة التأويل والتكفير به أو التفسيق، يرى تعلقه غالبًا بالله تعالى وأسمائه وصفاته، وما نص عليه في كلامه عن الغيبيات وعن القدر ... إلخ

وقريب منه استحلال المنهيات الكبرى كالزنى، وغيره بالتأويل كذلك.

سبب التأويل:

١- القصور في فهم الأدلة الشرعية.

٢- القصور في الإحاطة بالأدلة الشرعية.

٣- الاعتماد على نص دون النظر إلى غيره.

تنبيه: الأصل في التأويل عند من عقد الإسلام والإيمان عدم تعمد المخالفة، بل قد يعتقد أنه على حق.

ولذا؛ كان التفريق بين التأويل السائغ وغير السائغ، وضابط ذلك.

ولذا؛ كان التأويل السائغ والإعذار به له اعتبار في مسألة التكفير بل في الوعيد عمومًا.

قال ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ): قال العلماء: كل متأول معذور بتأويله ليس بآثم إذا كان تأويله سائغًا في لسان العرب، وكان له وجه في العلم(١).

قلت (صبري): بان لنا من نقله رحمه الله، أن اعتبار التأويل بشرطين:

١- إذا كان سائغًا مقبولًا في لسان العرب غير شاذ.

٢- إذا كان له وجه معتبر في العلم.

وقد عرفنا أن العلم يرتكز على ثلاث ركائز مترابطة متلازمة:

١- القرآن.

٢- السنة.

٣- فهم الصحابة للقرآن والسنة، وما جرى عليه العمل بينهم، ومن تبعهم بإحسان.

وهذا يرتبط بما قرره الحافظ ابن حجر عمن نقل من حيث: أن النبي ﷺ عربي أصيل، والقرآن نزل بلغة العرب إعجازًا وتحدِّيًا، ومن ثمَّ لا ينفرد بفهم القرآن والسنة بمجرد اللغة ولسان العرب وحده، بعيدًا عن النظر في مواطن أخرى من القرآن الذي يوضح بعضه بعضًا، وكذا السنة، وهما بفهم سلف الأمة رضي الله عنهم -والعربية سليقتهم- وما جرى عليه العمل بينهم. افهم هذا فإنه أصل مهم.

---

(١) انظر: فتح الباري (١٢/ ٤٠٣).

ويتفرع عنه ضوابط في الحكم بالتكفير، ألا ترى الآيات والأحاديث المتضمنة للوعيد على فعل أو قول يجب العمل بها في مقتضاها، باعتقاد أن فاعل ذلك الفعل، أو أن قائل ذلك القول، متوعد بذلك الوعيد، لكن لحوق الوعيد له متوقف على شروط، وله موانع:

١- قد يكون الرجل حديث العهد بالإسلام.

٢- قد يكون نشأ ببادية بعيدة.

٣- قد يكون لم يسمع تلك النصوص.

٤- قد يكون سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر أَوْجَبَ تأويلها، وإن كان مخطئًا.

ومن هنا كان التأويل عذرًا في مسألة التكفير، وهذا لا يعني أن كل من ادعى التأويل معذور بإطلاق، بل يشترط في ذلك التأويل، أن لا يكون في أصل الدين الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له، وقبول شريعته التي هي: القرآن المحفوظ بين دفتي المصحف بغير زيادة أو نقصان، والسنة المحفوظة بأصولها وضوابطها من عصر سلفنا إلى يومنا؛ لأن هذا الأصل - الشهادتين، وما يتفرع عنهما- لا يمكن تحقيقه مع حصول الشبهة فيه؛ ولذا أجمع العلماء على كفر الباطنية، وأنهم لا يُعذرون بالتأويل؛ لأن حقيقة مذهبهم الكفر بالله، وعدم عبادة الله وحده، وإسقاط شرائع الإسلام.

وعليه؛ فليس كل التأويل يعتبر سائغًا، أو عذرًا مقبولًا – كما سبق الإشارة إليه–فلا بد من مراعاة ذلك، وعدم الخلط بينهما.

وبذلك يتضح لنا ما سطَّره إسماعيل الأصبهاني (ت: **٥٣٥**هـ) فقال: المتأول إذا أخطأ وكان من أهل عقد الإيمان، نُظر في تأويله، فإن كان قد تعلق بأمر يُفضي به إلى خلاف بعض كتاب الله، أو سنة يقطع بها العذر، أو إجماع فإنه يكفر، ولا يعذر؛ لأن الشبهة التي يتعلق بها من هذا ضعيفة لا يقوى قوةً يعذر بها؛ لأن ما شهد له أصل من هذا الأصول، فإنه في غاية الوضوح والبيان، فلما كان صاحب هذه المقالة لا يصعب عليه درك الحق، ولا يغمض عنده بعض موضع الحجة، لم يعذر في الذهاب عن الحق، بل عمل خلافه في ذلك على أنه عناد وإصرار، ومن تعمد خلاف أصل من هذه الأصول، وكان جاهلاً، لم يقصد إليه من طريق العناد، فإنه لا يكفر؛ لأنه لم يقصد اختيار الكفر، ولا رضي به، وقد بلغ جهده، فلم يقع له غير ذلك، وقد أعلم الله سبحانه أنه لا يؤاخذ إلا بعد البيان، ولا يعاقب إلا بعد الإنذار، فقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[١] كل من هداه الله عز وجل ودخل في عقد الإسلام، فإنه لا يخرج إلى الكفر إلا بعد البيان[٢].

---

[١] [التوبة: **١١٥**].

[٢] انظر: الحجة في بيان المحجة (**٢/ ٥٥١**).

وكذا ابن حزم (ت: **٤٦٥**هـ) قال: من قال بإلهية إنسان من الناس، أو بنبوة أحد من الناس بعد رسول الله ﷺ، فلا يعذرون بتأويل أصلاً، بل هم كفار مشركون على كل حال(١).

وكذا أبو حامد الغزالي مثَّل للتأويل غير السائغ بقوله: ولا بد من التنبيه على قاعدةٍ، وهي أن المخالف قد يُخالف نصًا متواترًا، ويزعم أنه مؤول، مثاله: ما في كلام بعض الباطنية إن الله تعالى واحد بمعنى أنه يُعطي الوحدة ويخلقها، وعالم بمعنى أنه يُعطي العلم لغيره ويخلقه، وموجود بمعنى أنه يوجد غيره، وأما أن يكون واحدًا في نفسه، وموجودًا، وعالمًا على معنى اتصافه فلا، وهذا كفر صراح؛ لأن حمل الوحدة على اتحاد الوحدة ليس هذا من التأويل في شيء، ولا تحتمله لغة العرب أصلاً ... فأمثلة هذه المقالات تكذيبًا عُبِّر عنها بالتأويلات(٢).

وكذا ابن الوزير أورد أمثلة للتأويل المردود مما لا يمكن أن يكون عذرًا لمن تلبس به، فقال: لا خلاف في كفر من جحد ذلك المعلوم بالضرورة للجميع، وتستر باسم التأويل فيما لا يمكن تأويله، كالملاحدة

---

(١) انظر: الدرة فيما يجب اعتقاده (ص: **٤٤١**).

(٢) انظر: فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة (ص: **١٤٧**).

في تأويل جميع الأسماء الحسنى، بل جميع القرآن، والشرائع، والمعاد الأخروي من البعث، والقيامة، والجنة والنار، ...[١].

فرع:

التكفير بم يؤول ويرجع إليه القول وهو ما يُعرف بـ «التكفير بالمآل»، والمقصود به أن يقول قولًا يؤديه سياقه إلى كفر، وهو إذا وقف عليه أو على حقيقته وما يترتب عليه من خطورة، لا يقول به.

قال ابن رشد الحفيد (ت: ٥٩٥هـ): ومعنى التكفير بالمآل: أنهم لا يصرحون بقول هو كفر، ولكن يصرحون بأقوال يلزم عنها الكفر، وهم لا يعتقدون ذلك اللزوم[٢].

والفصل فيه، ما صوَّبه القاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ) فقال: ترك إكفارهم والإعراض عن الحتم عليهم بالخسران، وإجراء حكم الإسلام عليهم في قصاصهم، ووراثاتهم، ومناكحاتهم، ودياتهم، والصلاة عليهم، ودفنهم في مقابر المسلمين، وسائر معاملاتهم، لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الأدب وشديد الزجر، والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم[٣].

---

[١] انظر: إيثار الحق (١/ ٣٧٧).

[٢] انظر: بداية المجتهد (٤/ ٢٤٢).

[٣] انظر: الشفا (٢/ ٢٩٤).

وكذا ابن حزم فقال: وأما من كفر الناس بما تؤول إليه أقوالهم فخطأ؛ لأنه كذب على الخصم، وتقويل له ما لم يقل به، وإن لزمه فلم يحصل على غير التناقض فقط، والتناقض ليس كفرًا بل قد أحسن؛ إذْ فر من الكفر... فصح أنه لا يكفر أحد إلا بنفس قوله، ونص معتقده، ولا ينتفع أحد بأن يعبر عن معتقده بلفظ يحسن به قبحه، لكن المحكوم به هو مقتضى قوله فقط(١).

وكذا الشاطبي نفى الكفر بالمآل فقال: الذي كنا نسمعه من الشيوخ أن مذهب المحققين من أهل الأصول: أن الكفر بالمآل ليس بكفر في الحال...(٢).

فرع آخر: وهو التكفير بالإلزام، أو بلازم القول:

وهنا اكتفى بما ذكره السخاوى (ت: **٩٠٢**هـ)، عن شيخه ابن حجر فقال: والذي يظهر أن الذي يحكم عليه بالكفر من كان الكفر صريح قوله، وكذا من كان لازم قوله، وعرض عليه فالتزمه، أما من لم يلتزمه وناضل عنه؛ فإنه لا يكون كافرًا، ولو كان اللازم كفرًا(٣).

وخلاصة الاستقراء في هذه المسألة وما يتفرع عنها:

---

(١) انظر: الفصل في الملل والنحل (**٣/ ١٣٩**).

(٢) انظر: الاعتصام (**٣/ ١٣٥**).

(٣) انظر: فتح المغيث (**٢/ ٧٣**).

أن لازم أقوال المذاهب والعلماء له ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن نذكر اللازم للقائل، ويلتزم به فهو يُعد قولًا له.

الحالة الثانية: أن يذكر له اللازم، ويمنع التلازم بينه وبين قوله، فهذا ليس قولًا له، بل إن إضافته إليه كذب عليه.

الحالة الثالثة: أن يكون اللازم مسكوتًا عنه، فلا يذكر بالتزام، ولا منع، فحكمه في هذه الحالة ألا ينسب إلى القائل؛ لأنه يحتمل لو ذُكر له أن يلتزم به أو يمنع التلازم، ويحتمل لو ذُكر فتبين له لزومه، وبطلانه أن يرجع عن قوله.

وبهذا يُعلم أنه لا يصح التكفير بلازم المذهب بإطلاق، وخاصة إذا كان من تلبس به، ينفي ذلك التلازم وينكره، أو كان يجهله، أو يغفل عنه.

مسألة في الرواية عن المبتدع

اختلف العلماء في ذلك بحسب نوع البدعة، فمنها ما هو مُكَفِّر، ومنها ما لا يُكَفِّر، ولذا تُراني بدأت بمسألة في التأويل، لما يترتب عليها الفصل في هذه المسألة.

أولًا: البدعة المكفرة:

١- كمن أنكر شيئًا معلومًا بالضرورة للجميع وقد اشتهر.

٢- وكمن زعم التحريف في القرآن.

٣- وكمن طعن في مشروعية السنة.

٤- وكمن سب الصحابة رضي الله عنهم، وكفرهم، ولعنهم.

ومستند أرباب هذه البدعة الإنكار الصريح، أو الإنكار غير الصريح، بتأويل فاسد غير سائغ.

ثانيًا: بدعة غير مكفرة، مفسقة:

مستندها التأويل الظاهر القريب السائغ في أصله؛ لكنه مرجوح، وكان صاحبها معروفًا بالتحرز من الكذب، وموصوفًا بالديانة والعبادة، فالاختلاف فيهم على ثلاثة أقوال:

١- تقبل روايته مطلقًا.

٢- ترد مطلقًا.

٣- التفصيل على قولين:

أ- إن كان داعية إلى بدعته، أو كانت روايته تُشَيد بدعته، فترد روايته.

ب- إن كان غير داعية إلى بدعته، أو كانت روايته لم تشيد بدعته، فتقبل روايته.

مسألة فرعية تتعلق بما ذكر:

إذا اشتملت رواية المبتدع – سواء كان داعية أم لم يكن- على ما لا تعلق له ببدعته أصلاً فعلى قولين:

١- إن وافق غيره على روايته، فلا يُلتفت إليه، وهو إخماد لبدعته، وإطفاء لناره.

٢- وإن انفرد بالرواية وهو موصوف بالصدق والدين والعبادة، والتحرز من الكذب، وروايته التي انفرد بها غير متعلقة ببدعته، فليس هناك مسوغ لرد روايته، بل نقدم مصلحة تحصيل الحديث، ونشر السنة.

لكن إذا كان في روايته ما يتعلق ببدعته – مع ما هو مشهور به – فتقدم مصلحة إطفاء بدعته وإخمادها.

ومن هنا يترآى لنا رواية البخاري، ومسلم لمن وصف بالبدعة.

فائدة: قال الذهبي (ت: ٧٤٨هـ): فالشيعي الغالي في زمان السلف وعُرْفِهِم هو من تكلم في عثمان، والزبير، وطلحة، ومعاوية، وطائفة ممن

حارب عليًّا رَضِيَالِلَّهُعَنْهُ، وتعرض لسبهم، والغالي في زماننا وعُرْفِنَا هو الذي يُكَفِّر هؤلاء السادة، ويتبرأ من الشيخين أيضًا، فهذا ضال مُعَثَّر[1].

ولذا كان الاتفاق بين أهل السنة والجماعة على أن الروافض أكذب الناس، وأكذب الفرق، والكذب شعارهم[2].

---

[1] انظر: ميزان الاعتدال للذهبي (١/ ٦)، وانظر كتابي: «الشيعة في ميزان الشريعة»، وفي آخره أقوال الأئمة فيهم، حيث طعنوا في عائشة والصحابة رَضِيَالِلَّهُعَنْهُمْ، والقرآن ...

[2] انظر في مسألة التأويل والرواية عن المبتدع: العلل الصغير للترمذي، وشرحه لابن رجب، والفصل لابن حزم، والحجة في بيان المحجة للأصبهاني، وفيصل التفرقة للغزالي، والشفا لعياض، وبداية المجتهد، والفروق للقرافي (٤/ ١٢٧٧)، والاعتصام للشاطبي، والعواصم والقواصم لابن الوزير، ومجموع الفتاوي، والمنهاج له (١/ ٥٨-٦٢)، والاستقامة له، وميزان الاعتدال، وهُدَى الساري لابن حجر، وفتح المغيث للسخاوي، وإيثار الحق له».

مسألة في نشأة علم الكلام

كثر البحث في العقائد وخصوصًا في العصر العباسي، واتخذ ألوانًا لم تكن أيام النبي ﷺ، ولا صحابته، وأخذت البحوث تتركز ليتكون منها علم جديد يسمى «علم الكلام»، ولنشأته أسباب داخلية، وأخرى خارجية:

أما الأسباب الداخلية:

١- تعرض القرآن الكريم بجانب دعوته إلى التوحيد لأهم الفرق والديانات التي كانت منتشرة في عهد النبي ﷺ، فرد عليهم، ونقض أقوالهم، فكان طبيعيًّا أن يسلك علماء المسلمين مسلك القرآن الكريم في الرد على المخالفين، فكلما جدد المخالفون وجوه الطعن جدد المسلمون طرق الرد.

٢- كاد ينتهي العصر الأموي في جو خالص من الجدل، ولما فرغ المسلمون من الفتح، واستقروا، وأخذوا ينظرون ويبحثون، فاستتبع هذا اختلاف نظرهم فاختلفت الآراء والمذاهب.

٣- الخلاف في المسائل السياسية كان سببًا في الخلاف الديني، وأصبحت الأحزاب السياسية فرقًا دينية لها رأيها، فحزب الإمام عليٍّ رضي الله عنه تكون منه الشيعة، ومن لم يرض بالتحكيم من جنده تكون منهم الخوارج، ومن كره خلاف المسلمين كان أساس مذهب المرجئة.

أما الأسباب الخارجية فهي:

١- كثير ممن دخل في الإسلام بعد الفتح كانوا من ديانات مختلفة يهودية، ونصرانية، وغيرها، وقد أظهروا دياناتهم القديمة في لباس دينهم الجديد، فخلطوا الأمور بعضها ببعض فراج الباطل في الصحيح، والمرفوض في المقبول، وغير السائغ في السائغ... وهكذا.

٢- كانت البلاد الإسلامية مَعْرَضًا لكل الآراء الداخلة الغالطة، فحاول كل فريق تصحيح رأيه وإبطال رأى غيره، وقد انتشرت الفلسفة وقتذاك بين الداخلين من اليهودية والنصرانية وغيرهما، ومن بقى منهم على ديانته وأراد أن يصد عن دين الله، فنرى مثلاً المعتزلة قد غاصت في كتب الفلاسفة لدراستها ليستطيعوا الدفاع بسلاح يماثل سلاح من يهاجم ويصد، فتأثروا بذوق الكلام ولحنه، فوقعوا فيما أرادوا إبعاده، فسيطر عليهم حتى صار منهجهم بعد.

٣- اضطرار مَن بُغيته الحق إلى دراسة الفلسفة والمنطق اليوناني؛ لأجل الرد على ما فيها من شبه فتأثروا بها، فنُسبوا إلى الكلام وأهله أكثر من السنة وأهلها، ولذا نرى من رجع منهم إلى الحق رجع عن شوق، وقد اعترف بتضييع وقته فيما لا فائدة منه، ولذا حذر جمع من أئمة أهل السنة السالفين من الكلام وأهله ودراسته ومجادلتهم.

مسألة في الحكم العقلي

الحكم العقلي هو: إثبات أمر لأمر، أو نفيه عنه بطريق العقل المجرد، وهذا يعنى أن مصدر الحكم هو العقل دون احتياج إلى غيره، ولتعلم أن حكم العقل يتفاوت من شخص إلى آخر، وهذا يعنى عدم انسجام الحكم دائمًا مع شخص نفسه، ناهيك عن المدرسة العقلانية، خلل واضطراب في الأحكام؛ لأن الأساس عندهم لا قاعدة له.

والحكم العقلي ينقسم إلى ثلاثة أقسام، وهي:

الأول: حكم واجب الوجود لذاته، وهذا القسم ثابت ثبوتًا دائمًا أبدًا، بحيث لا يمكن أن يلحقه العدم أو التغيير، وهو قسمان:

الأول: قسم قد يكون ثبوته ضروريًا، بمعنى أن العقل يحكم بثبوته من غير حاجة إلى دليل، كإثبات العقل أن الواحد نصف الاثنين، وأن الولد أصغر من أبيه، وأن الأب أكبر من أولاده ...

الثاني: قسم قد يكون ثبوته نظريًا: بمعنى أن العقل لا يحكم بثبوته إلا بعد تفكر وتأمل واستدلال، فإن وصل إلى ثبوته وإلا فلا، كإثبات وحدانية الله تعالى.

فهذا الحكم يحتاج لمن يتشككون فيه إلى دليل أو إلى أدلة حتى يفهمها العقل أو يثبتها، ولذا نرى القرآن ساق عشرات الأدلة على

وحدانية الله تعالي، وعلى رأسها ما يدل على الإحكام والإتقان، قال تعالي: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[(١)].

وكإثبات حقيقة عذاب القبر، وحقيقة البعث بعد الموت.

فهذا الحكم يحتاج بالنسبة لمن لا يؤمنون به إلى دليل نقلي يوافقه العقل، بحيث يقنع هؤلاء الذين لا يؤمنون به، وهكذا كل شيء لا يوافق قبول العقل المجرد فهو نظري ظني القبول.

الثاني: حكم جائز الوجود لذاته: بمعنى أنه يقبل الوجود والعدم لذاته، وهو قسمان:

الأول: قد يكون ضروريًّا: بمعنى أنه لا يحتاج إلى دليل؛ لأنه أمر بدهي؛ كحالة الصحة والمرض، والسرور والغضب في الإنسان، وكذا الطول والقصر، وحرارة الجو وبرودته ...

الثاني: قد يكون نظريًا: بمعنى أن العقل لا يحكم بجواز الشيء وقبوله إلا بعد التفكر والمراجعة.

ومثاله: الكون الذي نعيش فيه بجميع مخلوقاته جائز الوجود أم واجب؟

---

(١) [الأنبياء: **٢٢**].

قالوا: جائز الوجود من حيث ذاته، بدليل ما يلحق أفراده من تغير دائم في الوجود والعدم، والقوة والضعف، والحياة والموت، والصحة والمرض ...

وهنا قالوا: إن الله واجب الوجود لذاته؛ لأن وجوده من ذاته، وكل ما سواه فهو جائز الوجود من حيث ذاته.

وكذا يُمثل له بقولهم: قد يجود البخيل، وقد يبخل الكريم، وقد ينجح غير المجتهد، وقد لا ينجح المجتهد، وقد يتوب العاصي، وقد يذنب الطائع ...

الثالث: حكم مستحيل الوجود لذاته: بمعنى أنه معدوم فلا يمكن ثبوته أو وجوده أبدًا.

وهو قسمان أيضًا:

الأول: قد يكون ضروريًا: بمعنى أن العقل لا يتردد في الحكم على الشيء بالرد وعدم القبول.

مثال: الابن أكبر من أبيه، والسماء تحتنا والأرض فوقنا...

الثاني: قد يكون نظريًا: بمعنى أن العقل لا يحكم باستحالة وجود الشيء إلا بعد تأمل وتفكير ونظر.

مثاله: الرسل: يستحيل في حقهم الكذب والخيانة والكتمان ...، بدليل أن الصفات اللازمة في حقهم الصدق والأمانة والتبليغ.

نلاحظ من خلال هذا العرض البسيط:

١- أن كل كلام لا يرتكز على أصل شرعي من قرآن أو سنة يكون صعب التذوق والفهم.

٢- أن الإثبات والنفي والقبول والرد مداره على العقل وبلازم الشيء.

٣- ضرورة إعمال العقل في القبول أو الرد أو النفي أو الإثبات مطلقًا من غير قيد.

وهذا كله لا يستقيم ولا يُسلَّم له بل لا يعتبر إلا بإعمال العقل في فهم النصوص عن الله ورسوله ﷺ، واستنباط الأحكام منها في ظل التسليم المطلق لله ولرسوله ﷺ متى ثبت عنه، ابتداءً وانتهاءً.

وأما أن يكون العقل حَكَمًا على النص، أو أن يُقدَّم عليه عند تعارضه، فباطل مردود.

واعلم أن علم الكلام مبتدع حادث، وهو تلك الآراء الباطلة، والأفكار المرذولة الزائفة لفلاسفة اليونان الملاحدة الوثنيين، تلقفتها عنهم الجهمية والمعتزلة وغيرهم من الفرق الضالة، التي قامت على تحكيم العقل في النقل، فعارضوا الكتاب والسنة والأخبار عن سلف الأمة.

وبهذا نكون قد أتممنا هذا المدخل، فإن كان من توفيق فمن الله عز وجل، وإن كان من تقصير فمن نفسي وتقصيري، وأسأل الله العفو والمغفرة والسداد في القول والعمل، إنه على كل شيء قدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه/

صبري محمد عبد المجيد

ترجمة صاحب الكتاب

ترجمة الإمام المزني رحمه الله.

هو: أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمر بن مسلم صاحب الشافعي رحمهما الله جميعًا، ونسبته إلى مُزينة بنت كلب بن وبرة أمِّ القبيلة المشهورة.

مولده رحمه الله:

وُلد رحمه الله في سنة موت الليث بن سعد، سنة خمس وسبعين ومائة.

شيوخه:

محمد بن إدريس الشافعي.

وعلي بن معبد بن شداد.

ونُعَيم بن حماد.

وهو قليل الرواية، ولكنه كان رأسًا في الفقه.

تلاميذه:

إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة.

وأبو الحسن بن جوصا الدِّمَشْقِيُّ.

وأبو بكر بن زياد النيسابوري.

وأبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي.

وأبو نعيم ابن عدي.

وعبد الرحمن بن أبي حاتم.

وأبو الفوارس ابن الصابوني.

وأبو القاسم عثمان بن سَعِيد بن بشار الأنماطي.

وزكريا بن يحيى الساجي.

وأبو داود السجستاني سليمان بن الأشعث.

وعبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري.

وأحمد بن عبد الله بن سيف السجستاني.

وأبو عبد الله أحمد بن محمد بن ساكن الزنجاني.

وموسى بن عبد الحميد بن عصام بهمذان.

وإبراهيم بن محمد بن عبيد الشَّهْرَزُورِيُّ بِحُلْوَانَ.

وأبو الحسن العطار القَزْوِينِيُّ.

وأبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري.

ومحمد بن هارون الرُّويَانِيُّ.

وأحمد بن محمد المَرْوَزِيُّ.

وأبو عمرو سعيد بن عمرو الْبَرْذَعِيُّ الحافظ.

ثناء العلماء عليه:

كان رحمه الله فقيهًا حاذقًا، ثقة في الحديث، وتفقه به خلْق.

قال الإمام الطَّحَاوِيَّ: لَا يَقُومُ أَحَدٌ بِكِتَابِ الْمُزَنِيِّ؛ فَقَدْ صَارَ بِكْرًا لَا يَفْتَضُّ.

وقال أبو سعيد بن يونس: «ثقة»، كان يلزم الرباط.

وقال ابن أبي حاتم: سمعت من المزني وهو «صدوق».

إمامته في الفقه:

كان الإمام المزني رحمه الله تعالى زاهدًا، عالمًا، مناظرًا، محجاجًا، غواصًا على المعاني الدقيقة، وهو إمام الشافعيين، وكان إمامًا في المذهب الشافعي، وكان أعلم الناس، وأعرفهم بطرق الشافعي، وفتاويه، وما ينقله عنه، وقد امتلأت البلاد بمختصره في الفقه، وشَرَحَهَ عدة من الكبار، بحيث يقال: «كانت البكر يكون في جهازها نسخة بمختصر المزني».

قال الإمام الشافعي: المزني ناصر مذهبي.

وقال أبو إسحاق الشِّيرازي الفقيه: فأما الشافعي رحمه الله فقد انتقل فقهه إلى أصحابه، فمنهم: أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق المزني.

قوّته في المناظرة:

كان الإمام المزني رحمه الله قوي الحجة في المناظرة، حتى قال فيه الشافعي: لو ناظر الشيطان لغلبه. لما معه من الحجة والذكاء والفطنة.

ولما ولي القاضي بكار بن قتيبة القضاء بمصر وجاءها من بغداد، وكان حنفي المذهب، توقع الاجتماع بالمزني مدة، فلم يتفق له، فاجتمعا يومًا في صلاة جنازة، فقال القاضي بكار لأحد أصحابه: سَلِ المزني شيئًا حتى أسمع كلامه.

فقال له ذلك الشخص: يا أبا إبراهيم، قد جاء في الأحاديث تحريم النبيذ وجاء تحليله أيضًا، فلم قدمتم التحريم على التحليل.

فقال المزني: لم يَذْهب أحدٌ من العلماء إلى أن النبيذ كان حرامًا في الجاهلية ثم حُلِّلَ، ووقع الاتفاق على أنه كان حلالًا؛ فهذا يعضد صحة الأحاديث بالتحريم، فاستحسن ذلك منه، وهذا من الأدلة القاطعة.

عبادته وورعه وزهده:

وأما عن عبادته رحمه الله، فكان رحمه الله في غاية الورع، وبلغ من احتياطه أنه كان يشرب في جميع فصول السنة من كوز نحاس، فقيل له في ذلك، فقال: بلغني أنهم يستعملون السرجين في الكيزان، والنار لا تطهرها.

وكان من الزهد على طريقة صعبة شديدة، وكان مجاب الدعوة.

قال عمرو بن عثمان المكي: ما رأيتُ أحدًا من المتعبدين في كثرة من لقيتُ منهم أشد اجتهادًا من المزني، ولا أدوم على العبادة منه، وما رأيتُ أحدًا أشد تعظيمًا للعلم وأهله منه، وكان من أشد الناس تضييقًا على نفسه في الورع، وأوسعه في ذلك على الناس، وكان يقول: أنا خلق من أخلاق الشافعي.

ولم يَلِ قضاء، وكان قانعًا، شريف النفس.

وكان إذا فاتته صلاة في الجماعة صلاها خمسًا وعشرين مرة، ويُغَسِّل

الموتى تعبدًا واحتسابًا، ويقول: أفعله ليرق قلبي؛ فصار بي عادة. وهو الَّذِي غسَّل الشافعي رحمه الله، وكان إذا فرغ من مسألة وأودعها مختصره قام إلى المحراب وصلى ركعتين شكرًا لله تعالى.

عقيدته:

كان الإمام المزني رحمه الله على عقيدة السلف الصالح عقيدة أهل السنة والجماعة، عقيدة أهل الحديث والآثر، وهذا واضح في كتابه هذا - شرح السنة - فقد وضع فيه معتقد أهل السنة، والرد على مخالفيه من الفرق الضالة التي تنتسب إلى الإسلام.

قال عمرو بن تميم المكي: سمعت محمد بن إسماعيل الترمذي قال: سمعت المزني يقول: لا يصح لأحد توحيد حتى يعلم أن الله -تعالى- على العرش بصفاته.

قلت له: مثل أي شيء؟

قال: سميع، بصير، عليم.

وقال سعيد بن عمرو البرذعي الحافظ: لما رجعتُ إلى مصر وأردتُ الخروج إلى خراسان، أقمتُ ثانيًا عند أبي زرعة الحافظ، فعرضتُ عليه كتاب المزني، فكلما قرأتُ عليه مما خالف الشافعي جعل أبو زرعة يبتسم، ويقول: لم يعمل صاحبك شيئًا في اختياره لنفسه، لا يمكنه الانفصال فيما ادعى، قلت: هل سمعتَ منه شيئًا؟ قال: لا، وما جالستُه إلا يومين،

وبلغني عنه أنه تكلم في لفظي بالقرآن مخلوق؟ فلما خرج عبد الرحمن إليه، أمرتُه أن يسأله عن ذلك، فبكى، وقال: معاذ الله.

وقال إبراهيم بن أبي داود البُرُلُّسي المصري، يقول: كنا عند نعيم بن حماد جلوسًا.

فقال نعيمٌ للمزني: ما تقول في القرآن؟

فقال: أقول: إنه كلام الله.

فقال: غير مخلوق؟

فقال: غير مخلوق.

قال: وتقول: إن الله يرى يوم القيامة؟

فقال: نعم.

قال: فلما افترق الناس قام إليه المزني فقال: يا أبا عبد الله شهرتني على رءوس الناس.

فقال: إن الناس قد أكثروا فيك فأردت أن أبرئك.

هذا، وقد نقل الأئمة في مصنفاتهم أقوالًا من كلامه على أهل البدع، كالقدرية، والجهمية، وغيرهم، وأنه كان شديدًا عليهم، وهذا يتضح جليًّا في كتابه هذا.

خدمته ونصرته للمذهب الشافعي:

قد نقلتُ لك قول الإمام الشافعي في المزني أنه قال: المزني ناصر

مذهبي.

وقال أبو إسحاق الشِّيرازي الفقيه: فأما الشافعي -رحمه الله- فقد انتقل فقهه إلى أصحابه، فمنهم: أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق المزني.

مصنفاته:

صنّف الإمام المزني مصنفات كثيرة مما تدل على سعة فقهه وعلمه وتبحره في الفقه رحمه الله تعالى؛ فمن مصنفاته:

١- الجامع الكبير.

٢- والجامع الصغير.

٣- ومختصره «مختصر المزني».

٤- والمنثور.

٥- والمسائل المعتبرة.

٦- والترغيب في العلم.

٧- وكتاب الوثائق والعقارب؛ وسمي بذلك لصعوبته.

٨- وشرح السنة – وهو كتابنا هذا – وغيرها من المؤلفات.

وفاته:

وتُوفي رحمه الله لستٍ بقين من شهر رمضان سنة أربع وستين ومائتين بمصر، ودفن بالقرب من تربة الإمام الشافعي رحمهما الله تعالى،

بالقرافة الصغرى بسفح المقطم، رحمه الله تعالى[1].

---

(١) **مصادر الترجمة**: انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٩٢- ٤٩٧)، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٢/ ١٩٢)، وتاريخ الإسلام (٢٠/ ٦٥- ٦٨)، وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (١/ ٣٠٧)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب (٣/ ٢٧٨- ٢٨٠)، وتاريخ ابن يونس المصري (١/ ٤٤)، والإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي (١/ ٤٢٩)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٨٥)، ووفيات الأعيان (١/ ٢١٧- ٢١٩)، والوافي بالوفيات (٩/ ١٤٢- ١٤٣)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢/ ٩٣-٩٥)، وطبقات الشافعيين (ص: ١٢٢)، وتوضيح المشتبه (٨/ ١٢٩)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١/ ٥٨)، ومغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار (١/ ٦٨-٦٩)، وطبقات الشافعية للإسنوي (١/ ٢٨).

النسخ المعتمدة، وعملنا في الكتاب

ذكرنا فيما سبق أننا اعتمدنا على النسخة المصورة من الجامعة الإسلامية تحت رقم (**٦٩١** مجموع)، وهي بخط نسخ واضح، وعملنا في هذا الكتاب كالآتي:

١- قمنا بنسخ النسخة الخطية، وقابلناها على المنسوخ.

٢- ثم قابلنا المنسوخ على معتقد المزني الذي ذكره ابن القيم في كتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية»، وسميتُها «ج».

٣- ثم قابلناها على طبعة الشيخ جمال عزون المطبوعة.

٤- ثم قابلنا الجزء الذي ذكره الذهبي في كتابيه «العلو»، و«العرش».

٥- قمنا بعمل فهارس للآيات، والأحاديث، والآثار السلفية، والفوائد، والموضوعات.

٦- قمنا بعمل ترجمة لرواة النسخة.

صور النسخ الخطية

صورة اللوحة الأولى من المخطوط

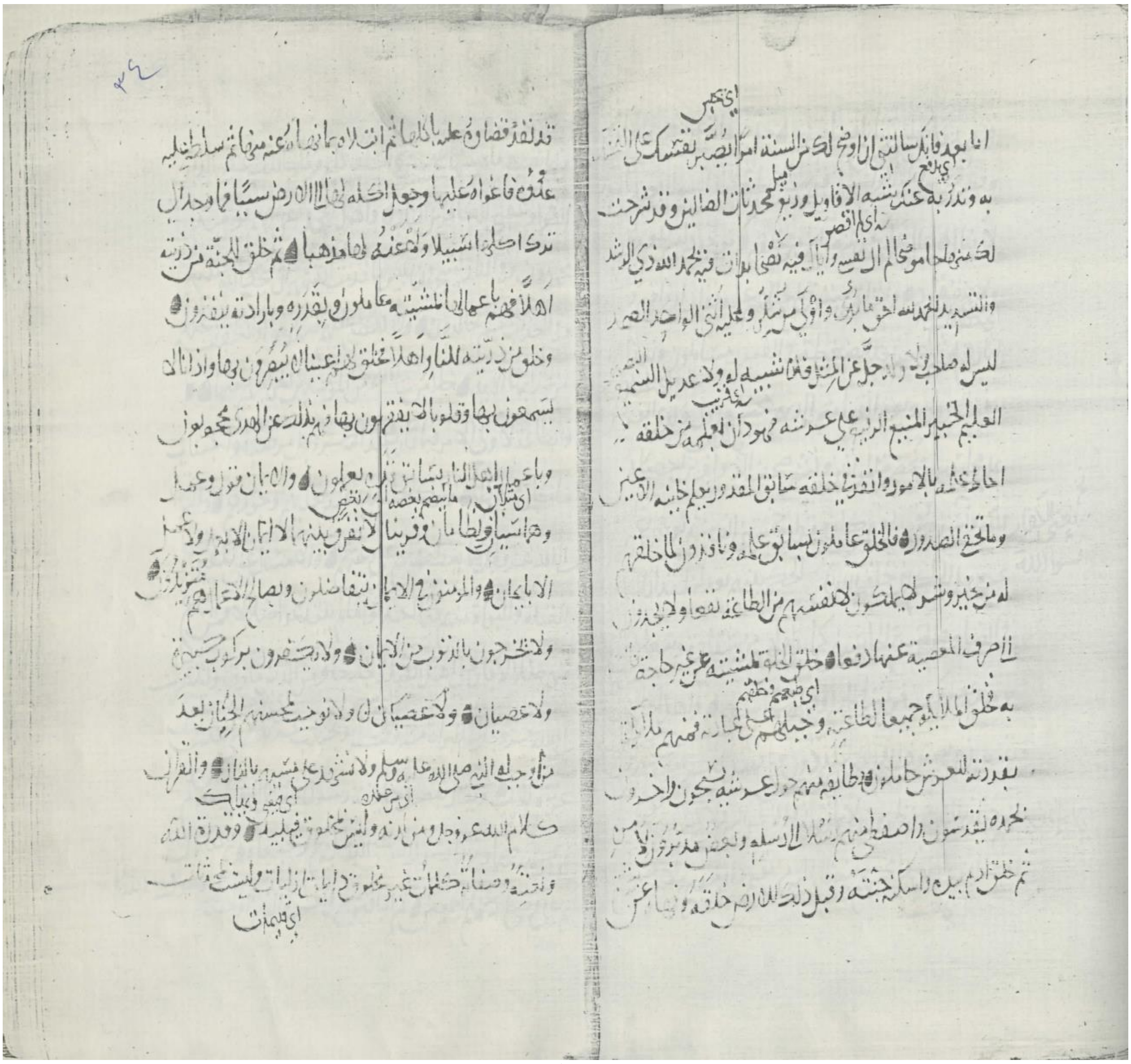

صورة اللوحة الثانية من المخطوط

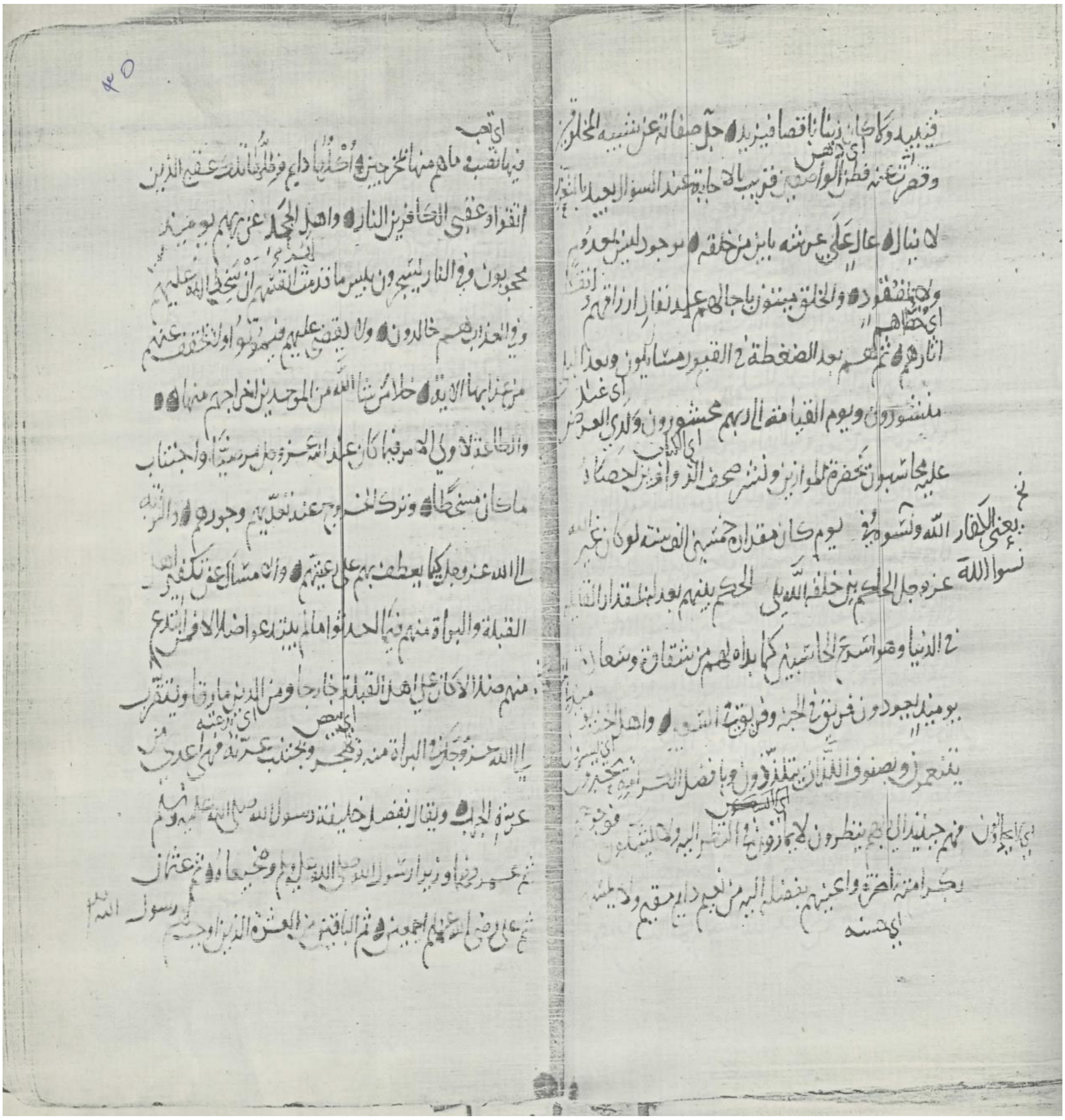

فيبيد ولا كان ربنا ناقصا فيزيد، جلت صفاته عن شبه المخلوقين
وقصرت عنه فطن الواصفين، قريب بالاجابة عند السؤال بعيد بالتعزز
لا ينال، عال على عرشه بائن من خلقه، موجود وليس بمعدوم
ولا بمفقود، والخلق ميتون بآجالهم عند نفاد أرزاقهم
وانقطاع آثارهم، ثم هم بعد الضغطة في القبور مسائلون، وبعد البلى
منشورون، ويوم القيامة إلى ربهم محشورون، ولدى العرض
عليه محاسبون، بحضرة الموازين ونشر صحف الدواوين، أحصاه
الله ونسوه، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، لو كان غير
الله عز وجل الحاكم بين خلقه لكن الله يلي الحكم بينهم بعدله بمقدار القائلة
في الدنيا، وهو أسرع الحاسبين، كما بدأه لهم من شقاوة وسعادة
يومئذ يعودون، فريق في الجنة وفريق في السعير، وأهل الجنة يومئذ
يتنعمون، وبصنوف اللذات يتلذذون، وبأفضل الكرامة يحبرون،
فهم حينئذ إلى ربهم ينظرون، لا يمارون في النظر إليه ولا يشكون، فوجوههم
بكرامته ناضرة، وأعينهم بفضله إليه ناظرة، في نعيم دائم مقيم، و

فيها نصب، وما هم منها بمخرجين، أكلها دائم وظلها، تلك عقبى الذين
اتقوا وعقبى الكافرين النار، وأهل الجحد عن ربهم يومئذ
محجوبون، وفي النار يسجرون، لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم
وفي العذاب هم خالدون، لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم
من عذابها الآية، خلا من شاء الله من الموحدين إخراجهم منها،
والطاعة لأولي الأمر فيما كان عند الله عز وجل مرضيا، واجتناب
ما كان مسخطا، وترك الخروج عند تعديهم وجورهم، والتوبة
إلى الله عز وجل كيما يعطف بهم على رعيتهم، والإمساك عن تكفير أهل
القبلة، والبراءة منهم فيما أحدثوا ما لم يبتدعوا ضلالا، فمن ابتدع
منهم ضلالا كان على أهل القبلة خارجا ومن الدين مارقا، ويتقرب
إلى الله عز وجل بالبراءة منه ويهجر ويحتقر وتجتنب غدته فهي أعدى من
غدة الجرب، ويقال بفضل خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر
ثم عمر فهما وزيرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجيعاه، ثم عثمان
ثم علي رضي الله عنهم أجمعين، ثم الباقين من العشرة الذين أوجب لهم رسول الله

صورة اللوحة الثالثة من المخطوط

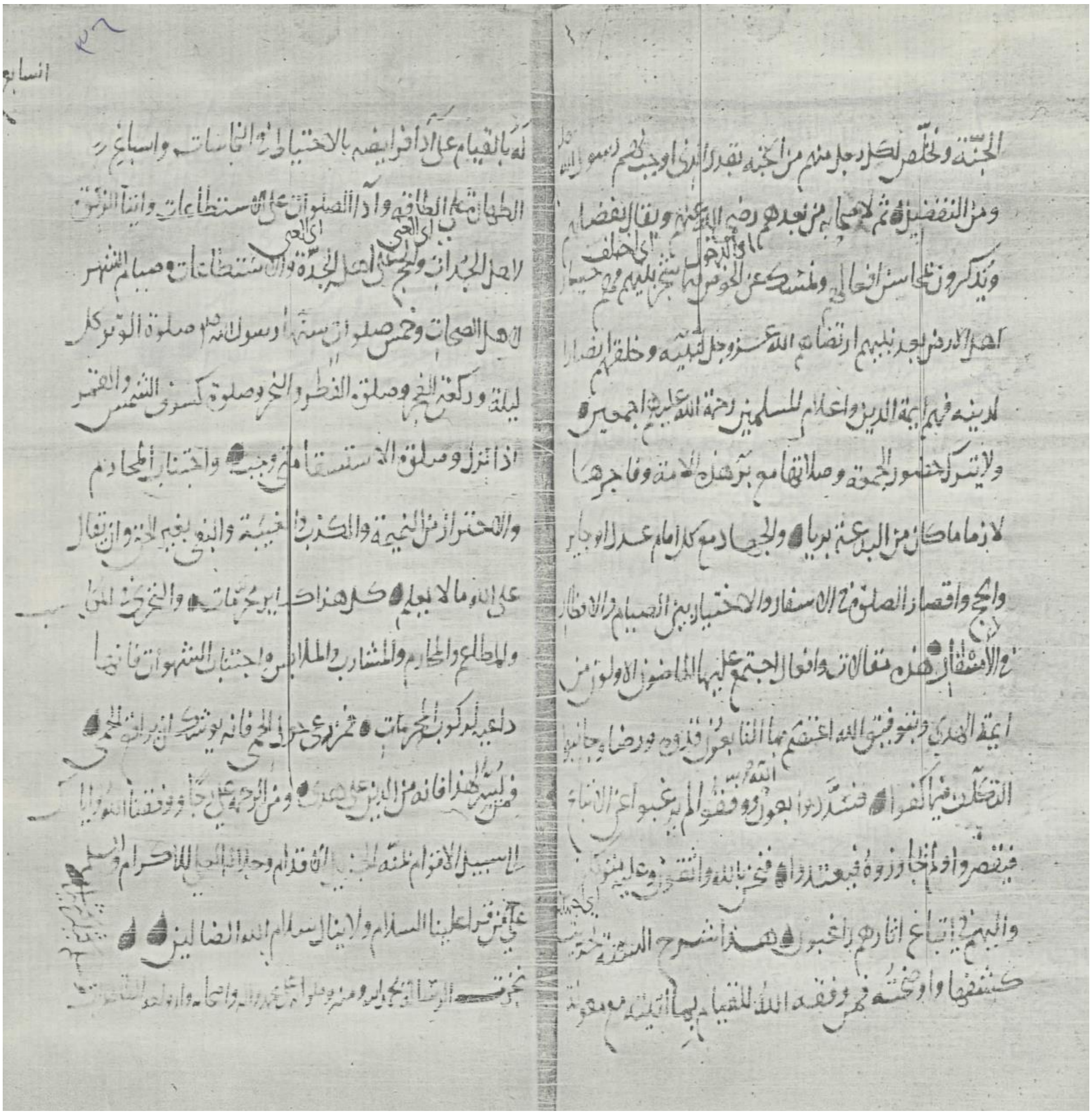

الجنة ونخلص لكل رجل منهم من الجنة بقدر الذي اوجب لهم رسول الله
ومن التفضيل ثم لاصحابه من بعدهم رضي الله عنهم ويقال بفضلهم
ويذكرون بمحاسن افعالهم ونمسك عن الخوض فيما شجر بينهم فهم خيار
اهل الارض بعد نبيهم ارتضاهم الله عز وجل لنبيه وخلقهم انصارا
لدينه فهم ايمة الدين واعلام المسلمين رحمة الله عليهم اجمعين
ولا نترك حضور الجمعة وصلاتها مع بر هذه الامة وفاجرها
لازما ما كان من البدعة بريا والجهاد مع كل امام عدل او جاير
والحج واقصار الصلوة في الاسفار والاختيار بين الصيام والافطار
في الاسفار هذه مقالات وافعال اجتمع عليها الماضون الاولون من
ايمة الهدى وبتوفيق الله اعتصم بها التابعون قدوة ورضا وجانبوا
التكلف فيما كفوا فسددوا بعون الله ووفقوا لم يرغبوا عن الاتباع
فيقصروا ولم يجاوزوه فيعتدوا فنحن بالله واثقون وعليه متوكلون
واليه في اتباع اثارهم راغبون فهذا شرح السنة تحريت
كشفها واوضحتها فمن وفقه الله للقيام بما ابنته مع معونة

له بالقيام على اداء فرايضه بالاحتياط في النجاسات واسباغ
الطهارة على الطاقة واداء الصلوات على الاستطاعات وايتاء الزكوة
لاهل الجدات والحج على اهل الجدة والاستطاعات وصيام الشهر
لاهل الصحات وخمس صلوات سنها رسول الله صلوة الوتر كل
ليلة وركعتا الفجر وصلوة الفطر والنحر وصلوة كسوف الشمس والقمر
اذا نزل وصلوة الاستسقاء متى وجب واجتناب المحارم
والاحتراز من النميمة والكذب والغيبة والبغي بغير الحق وان يقال
على الله ما لا يعلم كل هذا كباير محرمات والتحري في المكاسب
والمطاعم والمحارم والمشارب والملابس واجتناب الشهوات فانها
داعية لركوب المحرمات فمن رعى حول الحمى فانه يوشك ان يواقع الحمى
فمن يسر لهذا فانه من الدين على هدى ومن الرحمة على رجاء ووفقنا الله واياكم
الى السبيل الاقوم بمنه الجزيل الاقدم وجلاله العالي الاكرام والسلام
على من قرا علينا السلام ولا ينال سلام الله الضالين
تمت الرسالة بحمد الله [illegible]

صورة اللوحة الرابعة من المخطوط

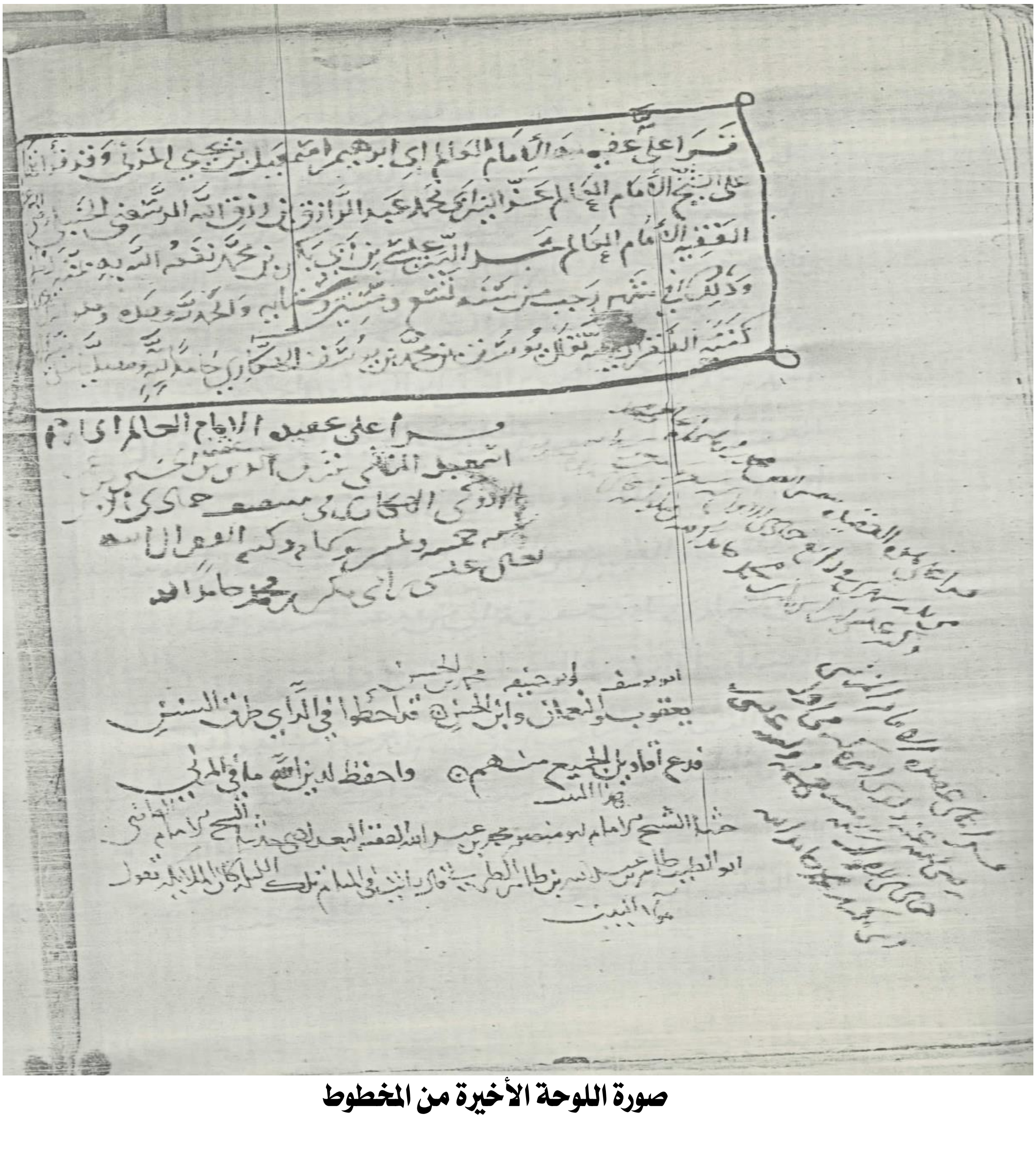

صورة اللوحة الأخيرة من المخطوط

بداية الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخبرنَا الْفَقِيه الإِمَام شمس الدّين أَبُو الْعِزّ يُوسُف بن عمر بن أبي نصر الهَكَّاري[(١)] فِي شهر صفر سنة سِتّ عشرَة وسِتمِائَة، قَالَ: حَدثنَا الشَّيْخ الإِمَام الْحَافِظ الثِّقَة بَقِيَّة السَّلف أَبُو إِسْحَاق إِبْرَاهِيم بن عُثْمَان بن عِيسَى بن دِرْبَاس الماَرَانِيّ[(٢)] من لَفظه بالموصل فِي تَاسِع عشر من جُمَادَى الأولى سنة إِحْدَى عشرَة وسِتمِائَة، قَالَ: أخبرنَا الشَّيْخ الصَّالح الْعَالم أَبُو عبد الله مُحَمَّد

---

(١) الهَكَّارِيّةُ: بالفتح، وتشديد الكاف، وراء، وياء نسبة: بلدة وناحية وقرى فوق الموصل في بلد جزيرة ابن عمر يسكنها أكراد يقال لهم الهكارية.

انظر: معجم البلدان (٥/ ٤٠٨).

ويوسف بن عمر هذا لم أقف على ترجمته، وهو ناسخ الجزء المجموع، كما ذكره الشيخ جمال عزون.

(٢) هو: جلال الدين، أبو إسحاق المصري، إبراهيم بن عثمان بن عيسى بن درباس الماراني الفقيه الشافعي المحدث (المتوفى ٦٢٢هـ).

سمع الكثير، وكتب الكثير، ورحل في الآفاق، وكان له شعر حسن، وولد سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، وأجاز لَهُ السِّلَفيّ، وتَفَقَّه على مذهب الشّافعيّ، ثمّ أحبَّ الحديثَ، وتوفي وهو يطلب بين الهند واليمن في سنة ثنتين وعشرين وست مائة، وكان أبوه من كبار الشافعية، وعمه قاضي قضاة الديار المصرية.

انظر: طبقات الشافعيين لابن كثير (ص: ٨٠٨)، تاريخ الإسلام (١٣/ ٦٩٩).

بن [حَمَدِ][١] بن حامد بن مُفَرج بن غياث الأرتاحي[٢] بقراءتي عليه بفسطاط مصر، قَالَ: أخبرنَا الشَّيْخ الْمسند الْعَالم أَبُو الْحسن عليٌّ بن الْحُسَيْن بن عمر الْموصِلِي الْفراء[٣] فِيمَا أذن فِيهِ لي.

---

[١] في الأصل [أحمد] وهو خطأ، والتصويب من كتب التراجم، وستأتي.

[٢] هو: محمد بن حمد بن حامد بن مفرج بن غياث، الشيخ الصالح أبو عبد الله ابن الأجل الصالح أبي الثناء الأنصاري الأرتاحي، ثم المصري الأدمي الحنبلي. (المتوفى: ٦٠١ هـ).

قال الحافظ المنذري: كان ذكر ما يدل على أن مولده سنة سبع وخمسمائة تخميناً. أجاز له أبو الحسن عليّ بن الحسين الفراء في سنة ثمان عشرة وخمسمائة، فحدث بها مدة طويلة، وكتب عنه جماعة من الحفاظ، وهو أول شيخ سمعتُ منه الحديث بإفادة والدي، ونعتُّه بالشيخ الأجل الصالح أَبِي عَبْد الله محمد ابن الشيخ الأجل الصالح أَبِي الثناء حمد، وأجاز لي في سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، وهو من بيت القرآن، والحديث، والصلاح، وَهُوَ من بَيْت الْقُرْآن والحَدِيث والصلاح. حدث من بيته غَيْر واحد وأقرأ. وَرَوَى عنه ابن خليل في معجمه، ونعته بالإمام.

توفي فِي العشرين من شعبان سنة إحدى وستمائة بمصر. ودفن من الغد بتربتهم، بسفح جبل المقطم رحمه اللَّه.

انظر: ذيل طبقات الحنابلة (**٣/ ٦٧**)، وتاريخ الإسلام (**١٣/ ٤٧**).

[٣] هو: عليّ بْن الحُسَيْن بْن عمر، أبو الحسن ابن الفرّاء المَوْصِليّ، ثمّ المُصْرِيّ. (المتوفى: **٥١٩** هـ).

(ح)

قَالَ الشَّيْخ إِبْرَاهِيمُ بن عُثْمَان[1]:

وَأخْبرنَا الشَّيْخ الإِمَام الْفَقِيه الْحَافِظ أَبُو طَاهِر أَحْمد بن مُحَمَّد بن أَحْمد بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم بن سِلفة الْأَصْبَهَانِيّ السِّلَفِي[2] فِي كِتَابه إِلينَا [٣٣/أ]

روى عَنْهُ: السِّلَفيّ، وقال: مِن ثقات الرُّواة، وأكثر شيوخنا بمصر سماعًا، وأصوله أُصول أهل الصّدْق، وقد انتخبتُ مِن أجزائه مائة جزء، وقال لي: وُلِدتّ في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة في أوّل يوم منها، وتُوُفّي في ربيع الآخر، وتوفي سنة تسع عشرة وخمسمائة.

انظر: تاريخ الإسلام (١١/ ٣٠٢)، وذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد (٢/ ١٩٠)، والثقات ممن لم يقع في الكتب الستة (٧/ ١٩٩).

[1] أي: ابن درباس الماراني.

[2] هو: الإمام العلامة المحدث الحافظ المفتي، شيخ الإسلام شرف المعمرين، أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد الأصبهاني (المتوفى: ٥٧٦ هـ)، ويلقب جده أحمد بسِلَفَة، وهو الغليظ الشفة.

ولد الحافظ أبو طاهر سنة خمس وسبعين وأربعمائة أو قبلها بسنة. كان إمامًا مقرءًا، محمودًا، ومحدثًا، حافظًا، جهبذًا، وفقيهًا متقنًا، ونحويًا ماهرًا، ولغويًّا محققًا، ثقةً فيما ينقله، حجةً، ثبتًا، انتهى إليه علو الإسناد في البلاد، سمع الحديث الكثير، ورحل في طلبه إلى الآفاق، وجالس في الفقه الكيا الهراسي صاحب كتاب «أحكام

من الْإِسْكَنْدَرِيَّة فِي ربيع الآخر سنة أَربع وَسبعين وَخَمْسمِائة، قَالَ: أخبرنَا الشريف أَبُو مُحَمَّد عبد الْملك بن الْحسن بن بِتِنَّة الْأَنْصَارِيِّ[1] بِمَكَّة بِقِرَاءَتِي عليه فِي سنة تسع وَتِسْعين وَأَرْبَعمِائَة، قَالَا: أخبرنَا أبو عبد الله الْحُسَيْن بْن

القرآن»، وأخذ الأدب عن أبي زكريا يحيى بن عليٍّ التبريزي، وبقي في الرحلة ثمانية عشر عامًا، يكتب الحديث والفقه والأدب، ثم استوطن الإسكندرية إلى أن مات.

وقال الحافظ عبد القادر الرهاوي: وكان له عند ملوك مصر الجاه، والكلمة النافذة مع مخالفةٍ لهم في المذهب. وتوفي سنة ست وسبعين وخمسمائة.

انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٥ - ٣٩)، والكامل في التاريخ (١١/ ١٩١)، ووفيات الأعيان (١/ ١٠٥)، وتذكرة الحفاظ (٤/ ١٢٩٨)، وميزان الاعتدال (١/ ١٥٥)، والوافي بالوفيات (٧/ ٣٥١)، والبداية والنهاية (١٢/ ٣٢٨)، ولسان الميزان (١/ ٢٩٩).

[1] هو: عَبْد الملك بْن الحَسَن بْن بِتِنَّة، أبو مُحَمَّد الأنصاريُّ. شيخ صالح، مجاور بمكّة، سمع منه أبو طاهر السِّلفي، وأبو بَكْر السمعاني، وغيرهما بمكة.

ذكره السِّلفي في «معجم السَّفر»، وأنّه حجّ سبْعًا وسبعين حجّة، وزار النَّبِيّ ﷺ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مرّة، وله في كلِّ سنة مائة عُمْرة في رجب، وشعبان، ورمضان، وعشر ذي الحجّة.

وبتنَّة: بكسر الباء والتَّاء، ثمّ تشديد النُّون، ورأيتها مرة بفتحها.

انظر: تاريخ الإسلام (١٠/ ٨٤٤).

عليٍّ النسوي الْفَقِيه[1] قدم علينا مَكَّة، أخبرني أَبُو مُحَمَّد إِسْمَاعِيل بن رَجَاء بْن سعيد الْعَسْقَلَانِي بعسقلان[2]، أَخْبرنِي أَبُو الْحُسَيْن مُحَمَّد بن أَحْمد بن عبد

---

[1] هو: أبو عبد الله الحسين بن عليٍّ النَّسوي الفقيه. حدث بدمشق سنة أربعين وأربعمائة، وبمعرة النعمان سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة، وتوفي في سنة أربع وأربعين وأربعمائة، أو بعدها.

انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (١٤/ ٢٨٣)، بغية الطلب في تاريخ حلب (٦/ ٢٧٢٣).

[2] هو: إسماعيل بن رجاء بن سعيد بن عبيد الله أبو محمد العسقلاني الأديب المقرئ الفقيه (المتوفى: ٤٢٣ هـ). حدث عن: أبي الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي.

قدم صَيدًا -من أعمال دمشق-، وقرأ بها القرآن على أبي الفضل محمد بن إبراهيم الدينوري المقرئ، وعلي بن أبي علي الأصبهاني بدمشق، وعلي أبي الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي بعسقلان.

قال أبو نصر بن طلاَّب: قال كان إسماعيل بن رجاء العسقلاني قدم صيدًا -وأنا بها- وهو طالب لقراءة القرآن، وكان أديبًا على الشيخ أبي الفضل محمد بن إبراهيم الدينوري، يعلو إسناده، فاجتمعت معه دفعات للمجاورة والمؤانسة.

توفي سنة ثلاث وعشرين وأربع مائة بالرملة في رمضان.

انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٨/ ٤٠٣)، وتاريخ الإسلام (٩/ ٣٨٧).

الرَّحْمَن الْمَلْطِي[١]، وَأَبُو أَحْمد مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الرَّحِيم القيسراني[٢]، قَالَا: أخبرنَا أَحْمد بن بكر اليازُورِي[٣]، قَالَ: حَدثنِي الْحسن بن عَلِيٍّ

---

[١] هو: مُحَمَّد بن أَحْمد بن عبد الرَّحْمَن أَبُو الْحُسَيْن الملطي الْفَقِيه الْمُقْرِئ، الفقيه الشافعي، (المتوفى: ٣٧٧ هـ) نزيل عسقلان.

قال الداني: أخذ القراءة عَرْضًا عَنْ أُبَيٍّ بكر بن مجاهد، وأبي بكر ابن الأنباري، وجماعة، مشهورٌ بالثِّقة والإتقان.

قال الداني: وسمعت إسماعيل بن رجاء يقول: كان أبو الحُسين كثير العلم كثيرَ التصنيف في الفقه، وكان يتفقه للشافعي، وكان يقول الشعر ويُسِرُّه، ويعجب به.

روى عنه: أبو محمد إسماعيل بن رجاء العسقلاني.

انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٥١/ ٧١)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣/ ٧٧)، وتاريخ الإسلام (٨/ ٤٤٤).

[٢] هو: محمد بْن محمد بْن عبد الرَّحيم بْن محمد، أبو أحمد القَيْسَراني. (المتوفى: ٣٨٠ هـ)، وقيل (توفي سنة: ٣٨٧ هـ).

انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٥/ ١٨٣)، وتاريخ الإسلام (٨/ ٤٨٥).

[٣] هو: أحمد بن محمد بن بكر بن الرملي أبو بكر القاضي اليازروي الفقيه.

قال أسود بن الحسن البرذعي: أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن الرملي -قاضي دمشق- قال: دخلت العراق فكتبتُ كتب أهل العراق، وكتبتُ كتب أهل الحجاز، فمن كثرة اختلافهما لم أدر بأيهما آخذ، فعبرت من باب الطاق وأنا أريد الكرخ وقطيعة الربيع، فحضر صلاة المغرب، فدخلتُ المسجد، فلمَّا أن قلتُ: "الله أكبر"

تفكرتُ في قول أهل العراق: «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة»، وفي قول أهل الحجاز: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب»، قال: فمن كثرة اختلافهما تركتُ الجماعة، وخرجتُ، فأصابني غمٌّ، وبت بغمٍّ، فلما كان في جوف الليل، قمتُ، وتوضأتُ، وصليتُ ركعتين، وقلتُ: "اللهم اهدني إلى ما تحب وترضا"، ثم أويتُ إلى فراشي، فرأيتُ النبي ﷺ فيما يرى النائم، دخل من باب بني شيبة، فأسند ظهره إلى الكعبة، ورأيتُ الشافعي، وأحمدَ بن حنبل، على يمين النبي ﷺ يبتسم إليهما، ورأيتُ بشر المرِّيسي على يسار النبي ﷺ مكلح الوجه، فقلتُ يا رسول الله: من كثرة اختلاف هذين الرجلين لم أدر بأيهما آخذ، فأومأ إلى الشافعي، وأحمد بن حنبل، قال: «أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة»، ثم أومأ إلى بشر المريسي، وقال: «فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين»، قال أبو بكر: والله لقد رأيتُ هذه الرؤيا، وتصدقت من الغد بألف دينار، وعلمتُ أن الحق مع الشيخين؛ لقول النبي ﷺ: «الإيمان يمان، والحكمة يمانية»، ولقوله ﷺ: «تعلموا من قريش، ولا تعلموها»، فوجدنا الشافعي قرشيًّا مطلبيًّا، فحق على أهل الإسلام أن يتبعوه في مقالته، وبالله التوفيق.

انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٥/ ٢٢٦- ٢٢٩)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (٥/ ٤٢٥).

اليازوري[1] الْفَقِيه[2]، حَدثنِي عليُّ بن عبد الله الْحُلْوانِي[3]، قَالَ: كنت بطَرَابُلْس الْمغرب، فَذكرتُ أَنا وَأَصْحَابٌ لنا السُّنة إِلى أَن ذكرنَا

---

[1] يازُورُ: بالزاي، والواو ساكنة ثم راء: بليدة بسواحل الرملة، قرية من أعمال فلسطين بالشام. تقع في ظاهر يافا الشرقي، وعلى مسيرة نحو ستة كيلو مترات. انظر: معجم البلدان (٥/ ٤٢٥).

[2] هو: أبو محمد الحسن بن عليّ بن عبد الرحمن اليازوري من يَازُور، ثم سكن الرملة، وولي الحكم فيها، وكان ذا همة ممدّحًا، وكان أبوه من أهل يازور، ومن ذوي اليسار، وقاضيًا فيها، ونشأ ولده هذا، فتفقه، وتأدَّب، وجلس مع الشهود، واشتهر بالصدق والعفة والمعرفة بالأمور، فصار مقبول القول عند القضاة، فلما مات خلفه ابنه الحسن اليازوري، ثم ولي القضاء في الرملة، فأخذ يكرم العلماء ويحسن إليهم ويجالسهم، وكما ولي عمارة المسجد الأقصى في القدس عام (٤١٧ هـ)، ثم انتقل على خدمة أم الخليفة المستنصر بالله الفاطمي (ثامن الخلفاء الفاطميين، تولى الخلافة من عام ٤٢٧ حتى ٤٨٧هـ) في مصر، فعمل في ديوانها سنة ٤٣٩ هـ. وكان اليازوري جيد السياسة، حسن الأخلاق كثير التجمل، إلى أن قتل سنة (٤٥٠هـ).

انظر: رفع الإصر عن قضاة مصر (ص: ١٢٩- ١٣٥)، والأعلام للزركلي (٢/ ٢٠٢).

[3] لم أقف له على ترجمة.

الْمُزنِيّ [رَحمَه الله] (1).

فَقَالَ بعض أَصْحَابنَا: بَلغنِي أَنه يتَكَلَّم فِي الْقُرْآن وَيقف عِنْده.

وَذكر آخر أَنه يَقُولُه (2) **إِلَى أَن اجْتمع مَعنا قوم أُخَر، فغمَّ النَّاسُ ذَلِك غمًّا شَدِيدًا، فكتبنا إِلَيْهِ كتابًا نُرِيد أَن نستعلم مِنْهُ يكْتب** (3) **إِلينا شرح السّنة فِي الْقَدَرِ، والإِرْجَاءِ، وَالْقُرْآن، والبعث والنشور، والموازين، وَفِي النَّظر؛ فكتب** (4)**:**

---

(1) ما بين المعكوفين ليس في الأصل، والمثبت من «العرش»، و«العلو» للذهبي، والمطبوع.

(2) قال في هامش الأصل: «أي: لا يتوقف».

(3) هكذا في الأصل، وفي «العلو» للذهبي (٢/ ١١٤٢)، و«العرش» له (٢/ ٣٢٦)، والمطبوع: [فكتب].

(4) في «العلو»، و«العرش»: [فكتب إلينا].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عصمنا الله وَإِيَّاكُم بالتقوى، ووفقنا وَإِيَّاكُم لموافقة الْهدى، [٣٣/ب]

أما بعدُ:

فَإِنَّك سَأَلتنِي أَن أُوَضِّحَ لَك من السُّنة أمرًا يُصَبِّرُ(١) نفسك على التَّمَسُّك بِهِ، وتدرأ بِهِ(٢) عَنْك شُبه الْأَقَاوِيل، وزيغ(٣) محدثات الضَّالين، وَقد شرحتُ لَك منهاجًا موضحًا، لم آلُ نَفسِي(٤) وَإِيَّاك فِيهِ نصحًا، بدأت فِيهِ بِحَمْد الله ذِي الرشد والتسديد.

الْحَمد لله أَحَق ما بُدِئَ(٥)، وَأولى من شُكِر، وعليه أُثني، الْوَاحِد الصَّمد لَيْسَ لَهُ صَاحِبٌ(٦) وَلَا ولد، جلَّ عَن الْمِثل(٧)، فَلاَ شَبيه لَهُ وَلَا

---

(١) هكذا في الأصل، وفي المطبوع: [تُصبر] ولعله الصواب، وفي (ج): [تبصر].

(٢) قال في هامش الأصل «تدرأ به»: أي: تدفع.

(٣) قال في هامش الأصل «زيغ»: ميل.

(٤) قال قال في هامش الأصل «آل نفسي»: أي لم أقصر.

(٥) هكذا في الأصل، و(ج)، وفي المطبوع: [من ذكر].

(٦) هكذا في الأصل، وفي (ج) والمطبوع، والذهبي في «العلو»، و«العرش»: [صاحبة].

(٧) هكذا في الأصل و(ج)، وفي المطبوع: [المثيل].

عديل، السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، العليمُ الْخَبِيرُ، المنيعُ الرفيعُ.

- الشرح-

قوله: «**بسم الله الرحمن الرحيم**» بدأ بالبسملة على ما جرى عليه السلف الصالح من البدء بباسم الله العظيم الرحمن الرحيم وحمده، والحديث الوارد فيها لا يصح مرفوعًا.

قوله: «**عصمنا الله وإياكم بالتقوى، ووفقنا وإياكم لموافقة الهدى**» هكذا دعا لنفسه أولًا، ثم لغيره لاسيما المُطالع في العلم وطالبه، ومن السنة أن يبدأ الإنسان بالدعاء لنفسه ثم لغيره، أو يدعو له ولغيره عمومًا؛ كأن يقول: «اللهم اهدنا، وعافنا، واغفر لنا، وارحمنا...» ونحو ذلك.

والعصمة من الله وحده لا شريك له، والعصمة بتقوى الله التي هي: أن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر، وأن يُطاع فلا يُعصى، كما صحَّ عن ابن مسعود رضي الله عنه[1]، وهي موجبة إلى أن نعبد الله كأننا نراه، فإن لم نكن نراه فهو يرانا.

والتوفيق والسداد من الله وحده لا شريك له.

والهدى: بفتح الهاء، وسكون الدال، وبضم الهاء، وفتح الدال.

---

[1] أخرجه عبد الرزاق في التفسير (٤٤١)، وأبو داود في الزهد (١٤٥)، وغيرهما.

والهدي: هدى محمد ﷺ، واجب اتباعه وامتثاله، والتمسك به والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة؛ ذلك: لأن موافقة الهدى، أحد شرطي قبول العمل، وهما الإخلاص لله، واتباع رسول الله ﷺ، كما أُثر عن القاضي عياض، وغيره.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾(١).

وقوله: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾(٢).

وقوله : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾(٣).

وقوله: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾(٤).

وقوله: ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾(٥).

---

(١) [البينة: ٥].

(٢) [الحشر: ٧].

(٣) [التغابن: ١٢].

(٤) [الأحزاب: ٧١].

(٥) [الأحزاب: ٣٦].

وقوله ﷺ: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم»[1].

وقوله ﷺ: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[2].

قوله :«**أمَّا بعد**» بتشديد الميم، وهي للتقسيم والترتيب، بخلاف «أَمَا» بالتخفيف فهي للتنبيه.

قوله: «**فإنك سألتني**» يُبين أن الأصول التي ذكرها رحمه الله، هي إجابة عن سؤال سُئِلَهُ، رغبةً في توضيح المنهاج القويم في الدين الحنيف الذي يجب اتِّباعه، ونظيره في قوله ﷺ لسفيان بن عبد الله الثقفي لما سأله عن قول مفيد يلتزمه، ولا يسأل عنه أحدًا غير رسول الله ﷺ، قال ﷺ: «قل آمنت بالله ثم استقم»[3].

وفى الحديث الصحيح بطرقه عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطًّا، ثم قال: «هذا سبيل الله»، ثم خط خطوطًا عن

---

[1] أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[2] «حسن»، وتقدم (ص: ٣٣).

[3] أخرجه مسلم (٣٨).

يمينه وعن شماله، ثم قال: «هذه سُبُل متفرقةٌ»، على كل سبيل منها شيطانٌ يدعو إليه، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

قوله: «**من السُّنة أمرًا تصبر نَفسك على التَّمَسُّك بِهِ وتدرأ بِهِ عَنْك شبه الْأَقَاوِيل وزيغ محدثات الضَّالّين**»: فما من أصل ذكره إلا وعليه دليل من القرآن وصحيح السنة، وعليه جماعة الأمة كما سيظهر لك، فالمتمسك بها متمسك بالكتاب والسنة، وما عليه الجماعة من سلف الأمة الأخيار الصالحين المصلحين رحمهم الله، وعندئذ يستطيع أن يُخَرِّج عليها شبه الأقاويل، وزيغ محدثات الضالين؛ إذْ كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، والزائغ المحدِث الضال هو الذي سلك تلك السبل المتفرقة التي على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، وقد نهى النبي ﷺ عنها وحذر منها؛ لأنها تحول بينه وبين سبيل التقوى الذي دعاه المصنف ابتداءً.

قوله: «**وَقد شرحت لَك منهاجًا موضحًا**»: والمنهاج: هو الطريق الواضح المستقيم، فلا اعوجاج فيه، ولا دخن.

---

[1] «صحيح بطرقه وشواهده»، وتقدم (ص: ٢٦).

وتسميته أصوله هذه مع اختصارها شرحًا، يُفيد بأن الشرح قد يطول، وقد يُختصر، وكلام الكبار فصيح بليغ، مع اختصاره يُشرح مطولًا، كما هو ظاهر بين يديك.

قوله: «**لم آلُ نَفسِي وَإِيَّاكَ فِيهِ نصحًا**»: لم آلُ نفسي: أي: لم أُقَصِّرَ، نحسن الظنَّ فيه أنه أخلص -نحسبه كذلك-، وصدق، ونصح، فنفعنا الله بأصوله وشرحه رحمه الله.

ونحن على طريقته -إن شاء الله-، نعتقد وندعو ونُعَلِّمُه كما أخذنا، أسأل الله أن يغفر لي ولمشايخي ويرحمني وإياهم.

قوله: «**بدأت فِيهِ بِحَمْد الله ذِي الرشد والتسديد**»: الرشد: من رَشَد رُشْدًا، اهتدى، فهو راشدٌ، يقال: رَشِد أمره: رَشِد فيه ووفق له، وأرشده هداه ودلَّه، فالله وحده صاحب الهداية والتوفيق[1].

والتسديد: من سدد، يقال: سدد الله فلانًا، قوَّمه ووفقه للسداد، والسداد: الاستقامة والقصد والصواب من القول والفعل[2].

قوله: «**الحمد لله أحق ما بُدئ**»: ذكر.

وقوله: «**وأولى من شكر ...**»: أفرد الله تعالى بالحمد وهو: الثناء بالجميل المطلق، حمده حمدًا: أثنى عليه بخير[1].

---

[1] انظر: المعجم الوجيز (ص: **٢٦٧**).

[2] انظر: المعجم الوجيز (ص: **٣٠٦**).

وقدسه بالشكر وهو: عرفان النعمة، وإظهارها، والثناء بها، شكر شكرًا: ذكر نعمته وأثنى عليه[٢].

وقوله: «**أُثني**»: على الله تعالى.

وقوله: «**الواحد**»: الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد.

وقوله: «**جلَّ عن المِثل**»: جلَّ جلالًا وجلالةً، عظُمَ فهو جلٌّ وجليلٌ[٣].

قوله: «**فلا شبيه له ولا عديل، السميع البصير، العليم الخبير، المنيع الرفيع، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**»: قاعدة جليلة: في إثبات الأسماء والصفات على حقيقتها من غير كيفية نعلمها، فكل اسم يحمل صفة وليس العكس، وهي توقيفية، نثبت ما أثبته الله لنفسه وننفي ما نفاه، ونسكت عما سكت عنه، وكذا نثبت ما أثبته الرسول ﷺ لربه، وننفي ما نفاه، ونسكت عما سكت عنه، فلا تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل، نعوذ بالله من شبه الأقاويل وزيغ الضالين، نسأله الرشد والتسديد، إنه نعم المولى ونعم النصير.

---

(١) انظر: المعجم الوجيز (ص: ١٧٠).

(٢) انظر: المعجم الوجيز (ص:٣٤٨).

(٣) انظر: المعجم الوجيز (ص: ١١٢).

قوله: «**عديل**»: قال الجوهري: العديل الذي يُعادلك في الوزن والقدر.

قال ابن بِرِّيٍّ: لم يشترط الجوهري في العديل أن يكون إنسانًا مثله.

وفرَّق سيبويه بين العَدِيلِ والعِدْلِ، فقال: العَدِيلُ مَا عَادَلَكَ من الناس، والعِدْل لا يكون إلا للمتاع خاصة، فَبَيَّنَ أَنَّ عَدِيلَ الإنسان لا يكون إلا إنسانًا مثله، وأن العِدْلَ لا يكون إلا للمتاع خاصة.

وأجاز غيره أن يُقال عندي عِدْلُ غلامك، أي: مثله، وعَدْلُه، بالفتح لا غير، قيمته، وفي حديث قارئ القرآن، وصاحب الصدقة: «فقال ليست لهما بعدل»؛ هو المثل.

قال ابن الأثير: هو بالفتح، ما عادله من جنسه، وبالكسر ما ليس من جنسه، وقيل بالعكس؛ وقول الأعلم:

مَتى مَا تَلْقَني ومَعي سِلاحِي تُلاقِ المَوْتَ لَيْس لَهُ عَدِيلُ[1].

قوله: «**السميع البصير**»: السميع على وزن فعيل، من أبنية المبالغة.

قال الخطابي: السميع: بمعنى السامع، إلا أنه أبلغ في الصفة، وبناء فعيل: بناء المبالغة؛ كقولهم: عليم: من عالم، وقدير: من قادر، وهو الذي

---

[1] انظر: لسان العرب (١١/ ٤٣٢).

يسمع السر والنجوى سواء عنده الجهر، والخفوت، والنطق، والسكوت...[١].

قال ابن القيم في نونيته:

وهو السميع يسمع ويرى كل ما ... في الكون من سر ومن إعلان

ولكل صوت منه سمع حاضر ... فالسر والإعلان مستويان

والسمع منه واسع الأصوات لا ... يخفى عليه بعيدها والداني[٢].

ومن أثر الإيمان باسمه السميع، إثبات صفة السمع له سبحانه وتعالى كما وصف الله عز وجل نفسه.

البصير: كالسميع من أبنية المبالغة.

قال الخطابي: البصير: هو المبصر...، ويقال: البصير: العالم بخفيات الأمور[٣].

قال ابن القيم:

وهو البصير يرى دبيب النملة السـ ... ـوداء تحت الصخرو الصَّوَّان

ويرى مجاري القوت في أعضائها ... ويرى نياط عروقها بعيان

ويرى خيانات العيون بلحظها ... ويرى كذاك تقلب الأجفان[١].

---

[١] انظر: شأن الدعاء (١/ ٥٩).

[٢] انظر: القصيدة النونية (ص: ٢٠٣).

[٣] انظر: شأن الدعاء (١/ ٦٠، ٦١).

ومن أثر الإيمان باسمه البصير، إثبات صفة البصر له سبحانه وتعالى، كما وصف به نفسه سبحانه.

وهذا هو المراد من مسألتنا.

والبصير له معنى آخر، وهو أنه ذو البصيرة بالأشياء الخبير بها، كما سبق عن الخطابي في قوله: ويُقال.

وصرَّح به ابن كثير، والألوسي في تفسير قوله: ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾[٢].

قوله: «**العليم الخبير**»: كسابقه على بناء فَعِيل للمبالغة.

قال الخطابي: العليم: هو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾[٣].

وجاء على بناء فَعِيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم، ولذلك قال سبحانه: ﴿ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴾[٤].[٥]

---

[١] انظر: القصيدة النونية (ص: ٢٠٤).

[٢] [آل عمران: ٢٠].

[٣] [هود: ٥].

[٤] [يوسف: ٧٦].

[٥] انظر: شأن الدعاء (١/ ٥٧).

قال ابن القيم:

وهو العليم أحاط علمًا بالذي في الكون من سر ومن إعلان

وبكل شيء علمه سبحانه فهو المحيط وليس ذا نسيان

وكذاك يعلم ما يكون غدا وما قد كان والموجود في ذا الآن

وكذاك أمر لم يكن لو كان كيف يكون ذا إمكان[١].

ومن أثر الإيمان باسمه العليم: إثبات صفة العلم التام الكامل الشامل له وحده سبحانه وتعالى.

وقوله: «**الخبير**»: كسابقه على بناء فعيل للمبالغة.

قال الخطابي: الخبير: هو العالم بكنه الشيء، المطلع على حقيقته؛ كقوله تعالى: ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾[٢]...، وعلم الله سبحانه سواء فيما غمض من الأشياء وفيما لطف، وفيما تجلى به منه وظهر...[٣].

ومن أثر الإيمان باسمه الخبير: إثبات أن الله هو الخبير العالم ببواطن الأمور وخفياتها المنفرد بذلك.

قوله: «**المنيع الرفيع**»:

---

(١) انظر: القصيدة النونية (ص: ٢٠٤).

(٢) [الفرقان: ٥٩].

(٣) انظر: شأن الدعاء (١/ ٦٣).

المنيع: قال ابن الأعرابي: رجل منوع: يمنع غيره، ورجل منيع يمنع نفسه والمانع من صفات الله تعالى له معنيان، أحدهما ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت»[(1)]، فكأنه عز وجل يعطي من استحق العطاء، ويمنع من لم يستحق إلا المنع.

الثاني: أنه تبارك وتعالى يمنع أهل دينه أي: يحوطهم وينصرهم، ومن هذا يقال: فلان في منعة، أي: في قوم يمنعونه ويحمونه[(2)].

والرفيع: رفُعَ يَرفُع، رَفاعةً، فهو رفيع[(3)]، فهي صفة تدل على الثبوت من رَفُع، في صاحب المقام الرفيع.

وفي الآية: ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَـٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ ﴾[(4)].

قال ابن كثير: يقول تعالى مُخبرًا عن عظمته وكبريائه وارتفاع عرشه العظيم العالي على جميع مخلوقاته كالسقف لها كما قال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[(5)]. [(1)]

---

(1) أخرجه البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٥٩٣) من حديث المغيرة بن شعبة.

(2) انظر: تهذيب اللغة (٣/ ١٤).

(3) انظر: لسان العرب (٨/ ١٣٠).

(4) [غافر: ١٥].

(5) [المعارج: ٣ – ٤].

وقال الشوكاني (ت: **١٢٥٠**هـ): أي هو الذي يريكم آياته، وهو رفيع الدرجات ...، وذلك يقتضي علو شأنه وعظم سلطانه[٢].

وقال القرطبي: رفيع السموات السَّبْعِ[٣].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (**١٢/ ١٧٩**).

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني (**٤/ ٥٥٦**).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (**١٥/ ٢٩٩**).

[المسألة الأولى: العُلُوّ][(١)].

[عَالٍ][(٢)] على عَرْشه، فهُوَ[(٣)] دَانٍ بِعِلْمِهِ من خلقه، أحَاط علمه بالأمور، وأنفذ في خلقه سَابق المُقْدُور ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾[(٤)].

ـ الشرح ـ

العلو عند أهل اللغة التي نزل عليهم القرآن بمعنى: عَلاَ، وارتفع، وصَعِدَ، واستقر.

وقول المصنف «عال» يفسرها بعلا، فهو من تفسير الشيء بنفسه.

وفي اصطلاح السلف الصالح أهل السنة والجماعة: هو ما وصف الله به نفسه، وهو فوق سماواته، مستوٍ على عرشه، بائنٌ من خلقه، وأجمعوا على ذلك بما أثبته القرآن كلام الله حقيقةً، وسنة رسوله ﷺ الصحيحة،

---

(١) التبويبات ليست من الأصل، وإنما وضعتُها إظهارًا للمسائل، وسبرها، وتنسيقها.

(٢) ما بين المعكوفين ليس في الأصل، ومثبت من (ج)، والمطبوع، وكذلك في العلو للذهبي (٢/ ١١٤٣).

(٣) هكذا في الأصل، و«العلو»، «والعرش»، وفي (ج) والمطبوع: [وهو].

(٤) [غافر: ١٩].

وعلى ذلك الصحابة ومن تبعهم: الاستواء غير مجهول (معلوم)، والكيف غير معقول (مجهول)، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعةٌ، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول ﷺ البلاغ، وعلينا التصديق، وهو قول ربيعة، ومالك، وهو قول أهل السنة قاطبةً[١].

وصح عن ابن عباس موقوفًا: «الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَالْعَرْشُ لَا يُقَدِّرُ قَدْرَهُ إِلَّا اللَّهُ»[٢].

الأدلة من القرآن:

---

[١] انظر: العلو: (٢/ ٩٥٤).

[٢] «صحيح بشواهده»، أخرجه عبد الرزاق في التفسير (٣٠٣٠)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١٠٢٠، ١٠٢١)، وغيرهما من طريق سفيان الثوري، عن عمار الدهني، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا.

وإسناده حسن؛ لأجل عمار بن معاوية الدهني «صدوق».

وله شاهد من حديث أبي موسى رضي الله عنه:

أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٥٨٨، ١٠٢٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٥٩) من طريق محمد بن جُحَادة، عن سلمة بن كُهَيل، عن عمارة بن عمير، عن أبي موسى، قال: «الكرسي موضع القدمين، وله أطيط كأطيط الرحل».

وإسناده صحيح.

قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ١٥٦ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن صَلَبُوهُ وَلَٰكِن صَلَبُوهُ وَلَٰكِن ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ ﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ فَإِذَا هِيَ فَإِذَا هِيَ مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ

---

(١) [طه: ٥].

(٢) [الرعد: ٢].

(٣) [فاطر: ١٠].

(٤) [آل عمران: ٥٥].

(٥) [النساء: ١٥٦ – ١٥٨].

نَذِيرِ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ سِتَّةِ أَيَّامٍ سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ سِتَّةِ أَيَّامٍ سِتَّةِ أَيَّامٍ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ

---

(١) [الملك: ١٦ – ١٧].

(٢) [الأعراف: ٥٤].

(٣) [يونس: ٣].

(٤) [الفرقان: ٥٨ – ٥٩].

(٥) [السجدة: ٤].

﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[(١)].

أما السنة:

١- حديث معاوية بن الحكم السلمى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:.. وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَعَظَّمَ ذَلِكَ على، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلاَ أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: «ائْتِنِي بِهَا» فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»[(٢)].

٢- حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله قال في خطبة يوم عرفة: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلى النَّاسِ «اللهُمَّ اشْهَدْ، اللهُمَّ اشْهَدْ» ثَلاَثَ مَرَّاتٍ[(٣)].

٣- حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: «كَيْفَ تَرَكْتُمْ

---

(١) [الحديد: ٤].

(٢) أخرجه مسلم (**٥٣٧**).

(٣) أخرجه مسلم (**١٢١٨**).

عِبَادِي؟»، فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»(١).

قال ابن خزيمة (ت: ٣١١هـ) تعليقًا على هذا الحديث: وفي الخبر ما بان وثبت وصح أن الله عز وجل في السماء، وأن الملائكة تصعد إليه من الدنيا، لا كما زعمت الجهمية المعطلة أن الله في الدنيا كهو في السماء، ولو كان كما زعمت لتقدمت الملائكة إلى الله في الدنيا، أو نزلت إلى أسفل الأرضين إلى خالقهم على الجهمية لعائن الله المتتابعة(٢).

قال الذهبي: قِفْ مَعَ نُصُوص الْقُرْآن وَالسّنَن ثمَّ انْظُر مَا قَالَه الصَّحَابَة والتابعون وأئمة التَّفْسِير فِي هَذِه الْآيَات - وقد ذكر جملة من الآيات في الفرقان، وفصلت، والبقرة، والسجدة، وفاطر، وآل عمران، والنساء، والنحل، والملك، والمعارج، وغافر، - وَمَا حكوه من مَذَاهِب السّلف، فإمَّا أَن تنطق بِعلم، وَإِمَّا أَن تسكت بحلم، ودع المراء والجدال، فَإِن المراء فِي الْقُرْآن كفر(٣).

●المعطلةُ الجهمية: أنكروا - وعلى رأسهم الجهم بن صفوان - أن يكون الله في السماء دون الأرض، وأن يكون هناك كرسي، أو عرش.

●الحلولية: قالوا إن الله بذاته في كل مكان، به قال كثير من الجهمية

(١) أخرجه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢).

(٢) انظر: التوحيد لابن خزيمة (٢/ ٨٩٣).

(٣) انظر: العلو للعلى الغفار للذهبي (١/ ٢٤٧).

كذلك، وجماعة من المتكلمين المعتزلة، وقالوا: إن الله عين وجود المخلوقات، وهذا القول الباطل لابن عربي الطائي (ت **٦٣٨**هـ)[١]، يقول فيه العز ابن عبد السلام (ت: **٦٦٠**هـ): شيخ سوء كذاب.

ويقول الذهبي عن كتابه «الفصوص»: فإن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر[٢].

قلت: وهو شيخ الصوفية، وإمامهم المقدس.

●ما معنى التفويض؟

في القرآن: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[٣].

فوض إليه الأمر: إذا صيره إليه، وجعله حاكمًا فيه.

والمقصود بالتفويض: ردُّ ما غاب عنا وما يعجز العقل عن إدراكه إلى الله عز وجل، فكل ما يعجز العقل عن معرفته أو الإحاطة به؛ فإنه يفوضه إلى الشارع الحكيم.

وهنا نقول: ردُ العلم بالصفات إلى علم الله بها إما معنىً أو كيفية، وهو على هذا نوعان:

إحداهما: تفويض العلم بحقيقة الصفات وماهيتها إلى الله عز وجل، وهذا أصلٌ من أصول السلف الصالح، فهم يفوضون الكيفية دون

---

[١] انظر: فصوص الحكم له.

[٢] انظر: سير أعلام النبلاء (**٢٣/ ٤٨**).

[٣] [غافر: **٤٤**].

المعنى، ألا تراهم أجمعوا على أن الاستواء معلوم والكيف غير معلوم، وإن لم يجر على اصطلاحهم تسميته تفويضًا، وهو قد شاع بعدُ من باب رد الفعل مع الفرق.

الآخر: تفويض العلم بمعاني الصفات لله، - وهو المبتدع في الشرع – أي تفويض المعنى والكيفية، فيقال: الله أعلم بمراده، وهو الذي عليه الأشاعرة، وغيرهم، والمشهور عن المعتزلة أنهم نفاة كالجهمية.

فهذا إبراهيم اللَّقاني صاحب جوهرة التوحيد يقول:

وكل نص أوهم التشبيها أوِّله أو فوضه ورُمْ تنزيهًا.

فمن الثوابت عند أهل الكلام، إذا عارضهم نصٌّ شرعي ولم يقدروا على تأويله وصرفه عن معناه الحق، فوضوا معناه إلى الله تعالى، وقالوا: إن معناه لا يعلمه إلا الله، مع اعتقادهم أن ما يُفهم من ظاهر النص غير مراد.

واعلم أن الاشتغال بالتأويل عندهم مستحب لكل نص أَوْهَمَ التشبيه، كما نص عليه الرازي وغيره.

كَذَبَ أهلُ التفويض الباطل على أهل السنة في قولهم: «أَمِرُّوها بلا كيف، أَمِرُّوها كما جاءت بلا كيف»، فتلاعبوا بها وحولوها على غير مرادهم رحمهم الله، فظنوا أنها تعني التفويض المعطِّل للصفة التي أثبتها الله لنفسه، مع أن السياق ظاهرٌ لمن يفهم، فقولهم: «أَمِرُّوها كما جاءت»: أي على ظاهرها وحقيقتها إثباتًا لها، من غير تشبيه، ولا تعطيل، ولا

تأويل، فالصفة معلومة للنص عليها، وكيفيتها وحقيقتها مسكوت عنه؛ لعدم إدراك العقل البشري لها، ولذا فكلمتهم سواء على الإيمان بها من غير لِمَ، ولا كيف؟ على قاعدة قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]، فنفى الشبيه والنظير، وأثبت ما وصف به نفسه سبحانه وتعالى من صفة السمع والبصر وغير ذلك من الصفات.

ولذا قال ابن تيمية -غُصَّة الفرق الضالة المبتدعة-: قولهم رضي الله عنهم: «أمروها كما جاءت» ردٌّ على المعطلة، وقولهم: «بلا كيف» ردٌّ على الممثلة[2].

ويقول: المقصود إبقاء دلالتها على ما هي عليه، فإنها جاءت دالة على معان[3].

• صفة الاستواء عند أهل الكلام من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم.

أن المراد بالاستواء: الاستيلاء والاقتدار[4]، وهذا ردَّه أبو الحسن الأشعري والسجزي وغيرهما، وأنه لم يقله أحد من السلف، وأن أول من

---

(1) [الشورى: ١١].

(2) انظر: الفتوى الحموية الكبرى (ص: ٣٠١).

(3) المصدر السابق (ص: ٣٠٧).

(4) انظر: الإرث للجويني، والاقتصاد للغزالي، وعزاه البيهقي في الاعتقاد لأكثر الأشاعرة.

قال به المعتزلة والجهمية، وهو غير معروف في اللغة وقد رَدَّهُ أبو عبيد القاسم بن سلام.

وإثبات العلو – باتفاق أهل السنة – يقابله إثبات النزول عندهم كذلك من غير تشبيه، ولا تأويل، ولا تعطيل، قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾[3].

ومن الأحاديث المتواترة حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتعالى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يَقُولُ: ...»[4].

وأشهر من خالف في هذه المسألة الأشاعرة بناء على أصلهم في نفي قيام الصفات الاختيارية كما سبق في الاستواء.

---

[1] [الشعراء: ١٩٣].

[2] [النساء: ١١٣].

[3] [البقرة: ٢٨٥].

[4] أخرجه البخاري (١١٤٥، ٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨).

وكذا يقابله إثبات معية الله وقربه، مع كمال علوه على عرشه؛ فهم متفقون كذلك بأن الله على عرشه، مع خلقه بعلمه وإحاطته.

والمعية تنقسم إلى قسمين:

١- معيةٌ عامة (معية علم وإحاطة): وهي الشاملةُ لجميع الخلق قاطبةً، لا يتخلف عنها أحدٌ البتة، ودليلها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[١].

قال الإمام أحمد: «يفتح الخبر بعلمه، ويختم الخبر بعلمه»، ولهذا قال الأئمة: وهو معهم بعلمه[٢].

ومثله قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾[٤].

فمقتضى هذه المعية: العلم والإحاطة والسمع والبصر ونفوذ

---

[١] [المجادلة: ٧].

[٢] انظر: الرد على الجهمية لأحمد (١/ ١٤٥)، ومجموع الفتاوى (١١/ ٢٤٩)، ومنهاج السنة (٨ / ٢٧٢).

[٣] [الحديد: ٤].

[٤] [النساء: ١٠٨].

القدرة.

٢- معية خاصة (معية نصر وتأييد): وهذه ليست شاملة لجميع الخلق، بل تخص نوعًا منهم مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[١]، فهذا تخصيص لهما دون فرعون وقومه، فهو سبحانه مع موسى وهارون، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾[٢]، وغيره كثير.

ومقتضى هذه المعية: النصر والتأييد والإعانة والتسديد والتوفيق والهداية.

وكلمة: «**مع**» لا يلزم منها المخالطة والمماسة والمحاذاة، قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾[٣]، وغيرها.

وقد نقل أئمة السنة والجماعة الإجماع في أن المراد في هذه الآيات: علمه، وهو على عرشه استوى، بائنٌ من خلقه، كما قال المصنف المزني

---

[١] [طه: ٤٦].

[٢] [النحل: ١٢٨].

[٣] [الكهف: ٢٨].

رحمه الله تعالى[١].

فرع: في قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾[٢].

الذي عليه أهل السنة والجماعة قرب ذوات الملائكة، وأضاف ذلك إلى نفسه بصيغة ضمير الجمع على عادة العظماء في إضافة أفعال عبيدها إليها؛ فيقول الملك نحن قتلناهم وهزمناهم، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾[٣]، وجبريل هو الذي يقرأه على رسول الله ﷺ[٤].

---

[١] انظر: «الرد على الجهمية للدارمي»، و«الشريعة للآجري».

[٢] [الواقعة: ٨٣ – ٨٥].

[٣] [القيامة: ١٨].

[٤] وإليك أيها القارئ الكريم بعض المصنفات في صفة العلو والعرش:

العرش لمحمد بن عثمان بن أبي شيبة ت ٢٩٧هـ.

العلو لابن قدامة المقدسي ت ٦٢٠هـ.

العلو للإمام الذهبي ت ٧٤٨هـ.

المصنفات المفقودة: «فضائل العرش» لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢١٠هـ)، و «العظمة» لأبي بكر محمد بن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، و «العرش والكرسي» ليحيى بن حسام بن القاسم (ت: ٢٩٨هـ)، و«العظمة» لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر (ت: ٣١٨هـ)، و«العرش» لأحمد بن سلمان النجاد (ت: ٣٤٨هـ)

[المسألة الثانية: الإيمان بالقضاء والقدر]

فالخلق عاملون بسابق علمه، ونافذون لما خلقهمْ لَهُ من خيرٍ وَشر، لَا يملكُونَ لأَنْفُسِهِمْ من الطَّاعَة نفعًا، وَلَا يَجدونَ إِلى صرف الْمَعْصِيَة عَنْهَا دفعًا.

ـ الشرح ـ

أولًا: الإيمان بهذا الأصل، من أصول الإيمان التي لا يتم إيمان العبد إلا بها.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾(١).

وقوله: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾(٢).

وقوله: ﴿ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾(٣).

وقوله: ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾(٤).

و«العرش» لأبي عبيد أحمد بن محمد الهروي (ت: ٤٠١هـ)، و «العظمة» لأحمد بن موسى بن مردويه (ت: ٤١٠هـ).

(١) [القمر: ٤٩].

(٢) [الفرقان: ٢].

(٣) [الأنفال: ٤٢].

(٤) [الأعلى: ٢ – ٣].

وفي حديث جبريل الطويل من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال ﷺ: «أَنْ تُؤْمِنَ باللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١).

وعند مسلم بإسناده عن طاووس قال: «أَدْرَكْتُ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَقُولُونَ كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، قَالَ: وَسَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ، أَوِ الْكَيْسُ وَالْعَجْزُ»(٢).

الكيْسُ ضد العجْز.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ يُخَاصِمُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْقَدَرِ، فَنَزَلَتْ: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾(٣)»(٤).

والقدر يدل على القدرة، وعلى المقدور الكائن بالعلم(٥).

والقادر اسم فاعل من قدر يقدر، والمقتدر مفتعل من اقتدر، وهو

(١) أخرجه مسلم (٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٥).

(٣) [القمر: ٤٨ – ٤٩].

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٥٦).

(٥) انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٧٧) نقلاً عن الراغب الأصفهاني.

أبلغ من «**قدير**» ومنه قوله تعالى: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[١].

وسئل أحمد بن حنبل عن القدر فقال: القدر قدرة الله[٢].

وقال النووي: تظاهرت الأدلة القطعيات من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى[٣].

وقال ابن حجر: مذهب السلف قاطبة أن الأمور كلها بتقدير الله تعالى كما قال: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾[٤]. [٥]

وقال أبو المظَّفر السمعاني (ت ٤٨٩هـ): سبيل المعرفة في هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس والعقل؛ فمن عدل عن التوقيف فيه ضل وتاه في بحار الحيرة، ولم يبلغ شفاء العين، ولا ما يطمئن به القلب؛ لأن القدر سر من أسرار الله تعالى اختص العليم الخبير به وضرب دونه الأستار، وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من

---

[١] [القمر: ٥٥].

[٢] انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٣٠٨).

[٣] انظر: المنهاج شرح مسلم بن الحجاج (٢/ ١٥٥).

[٤] [الحجر: ٢١].

[٥] انظر: فتح الباري (١١/ ٤٧٨).

الحكمة، فلم يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب[1].

وقال الطحاوي (ت ٣٢١هـ): وأصل القدر سر لله تعالى في خلقه، لم يُطْلِع ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرًا وفكرًا ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى في كتابه: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾[2]، فمن سأل: لِمَ فعل؟ فقد ردَّ حكم الكتاب، ومن ردَّ حكم الكتاب كان من الكافرين[3].

وقال الآجري (ت: ٣٦٠هـ): لا يحسن بالمسلمين التنقير والبحث في القدر؛ لأن القدر سرٌ من أسرار الله عز وجل، بل الإيمان بما جرت به المقادير من خير أو شر، واجب على العباد أن يؤمنوا به، ثم لا يأمن العبد أن يبحث عن القدر، فَيُكَذِّب بمقادير الله الجارية على العباد، فيضل عن طريق الحق[4].

قال أحمد بن حنبل: من السنة اللازمة: ...، الإيمان بالقدر خيره

---

[1] انظر: فتح الباري (١١/ ٤٧٧).

[2] [الأنبياء: ٢٣].

[3] انظر: الطحاوية (صـ: ٢٤٩).

[4] انظر: الشريعة (١/ ١٤٩).

وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها، لا يقال: لم؟ ولا كيف؟ إنما هو التصديق بها والإيمان بها، ومن لم يعرف تفسير الحديث، ولم يبلغ عقله، فقد كُفِيَ ذلك، وأحكم له، فعليه الإيمان به، والتسليم له، مثل حديث: «الصادق المصدوق» يعنى: حديث ابن مسعود مرفوعًا: «إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه ...»، ومثل ما كان مثله في القدر(١).

نخلص مما سبق بثلاث قواعد مهمة:

الأولى: وجوب الإيمان بالقدر.

الثانية: الاعتماد في معرفة القدر وحدوده وأبعاده على النقل من الكتاب وصحيح السنة، وترك الاعتماد في ذلك على نظر العقول ومحض القياس.

الثالثة: ترك التعمق في البحث في القدر، فبعض جوانبه لا يمكن للعقل البشرى أن يستوعبها، والبعض الآخر قد يستوعبها بصعوبة بالغة.

فإن قيل: أليس في هذا حَجْرٌ على العقل البشرى؟

أجيب: بأن هذا ليس بحجرٍ على العقل، بل هو صيانة لهذا العقل من أن تتبدد قواه ومعالمه في غير المجال الذي يحسن التفكير فيه؛ لأن البحث في كيفية العلم والكتابة والمشيئة والخلق وهى أركان القدر – بحث في أمرٍ محجوب علمه عن البشر، وهو غيبٌ محضٌ يجب الإيمان به على الوجه

(١) انظر: أصول السنة (ص: ١٧ – ١٩).

الذي بلغنا عن الله ورسوله ﷺ، وعن الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم، ولا يجوز السؤال عن كنهه، ومن خاض في ذلك فقد أضر بنفسه وبغيره، لا سيما من تبعه وقلَّده، وقد وقعوا جميعًا في وَهْدَة الضلال، وهذا ما وقع فيه القدرية من وجهين: أفرطوا في إثبات القدر فهم الجبرية، ونفيه فهم الجهمية.

وقد حذَّر النبي ﷺ أمته من أن تسلك هذا المسلك، وتضرب في هذه البيداء. فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَنَازَعُ فِي الْقَدَرِ، فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَكَأَنَّمَا فُقِئَ على وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ، ثُمَّ أَقْبَلَ علينا فَقَالَ: «أَبِهَذَا أُمِرْتُمْ؟ أَبِهَذَا أُرْسِلْتُ إليكُمْ؟ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ لَمَّا تَنَازَعُوا فِي هَذَا الْأَمْرِ، إِنِّي عَزَمْتُ عليكُمْ أَلَّا تَنَازَعُوا فِيهِ»(١).

وبهذا قد استجاب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين لعزيمة نبيهم وتوجيهه، فلم يُعرف عن واحدٍ منهم أنه نازع في القدر في حياته أو بعد وفاته، وهذا الذي وقع منهم في حياته وهو مرتبط بمصدر التلقي (الوحي) ليظهر الآتي:

١- الإيمان المطلق بغير قيد بالغيب.

٢- تحريم التدخل بالعقل المجرد في ذلك.

---

(١) «حسن لغيره»، أخرجه الترمذي (٢١٣٣)، وغيره.

٣- أن العقل إذا أفرط في خيالاته وجب الرجوع به إلى أَزِمَّةِ الشرع.

٤- التفريق بين إعمال العقل في النقل (مشروع)، وتحكيمه في النقل وتقديمه عليه (غير مشروع)، وانظر في كلام الإمام أحمد السابق نقله.

وكذا من وجه نراه في اعتراض أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه على رجوع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالناس عن دخول الشام عندما انتشر فيها الطاعون، وقال لعمر رضي الله عنه يا أمير المؤمنين: «أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ؟ نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ»[١].

ونأخذ من هذا: أن العمل والأخذ بالأسباب واجب شرعي لا ينافي القدر ولا يناقضه، وإن شئت فقل: هو من القدر، ألا ترى قوله صلى الله عليه وسلم: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»[٢].

٥- ضرورة الجمع بين الآيات والأخبار الواردة في المسألة لكشف الحكم الوارد وحكمته؛ فإن لم تظهر لنا الحكمة، فنحن على أصل التسليم، رأينا ذلك في بعض روايات حديث أبي هريرة رضي الله عنه السابق ذكرها، ومن حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما «ما لكم تضربون القرآن بعضه بعضًا ...»[٣].

---

[١] أخرجه البخاري (٥٧٢٩)، ومسلم (٢٢١٩).

[٢] أخرجه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧).

[٣] «حسن»، أخرجه أحمد (٢/ ١٧٨)، وابن ماجه (٨٥).

وهذا أصل مهم عند أهل السنة والجماعة، كما نصَّ عليه الشافعي، وأحمد، وابن المديني، وغيرهم، خلافًا لِلْمُنْشَقِّين عنهم بتحكيم العقل في النقل، والأخذ بآية وترك غيرها، أو الأخذ بطرف آية وترك عجزها، فضلوا وأضلوا، استفد هذا فإنه مهم جدًا.

التعريف بالقضاء والقدر:

القضاء في اللغة: الفصل والحكم، وأصله القطع والفصل، يقال: قضى يقضى قضاء فهو قاض، إذا حكم وفصل، وقضاء الشيء إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه، فيكون بمعنى الخلق، وبنحوه عند غير لُغوي(١).

وفي الاصطلاح: هو العلم السابق الذي حكم الله به في الأزل.

والقدر في اللغة: القضاء والحكم ومبلغ الشيء.

وفي الاصطلاح: ما سبق به العلم، وجرى به القلم، مما هو كائن إلى الأبد، وأنه عز وجل قدَّر مقادير الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته، وعليه فالقدر يشمل ثلاثة أمور:

الأول: علم الله الأزلي الذي حكم فيه بوجود ما شاء أن يوجده، وقد كتب كل ذلك في اللوح المحفوظ بكلماته.

الثاني: إرادته، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

الثالث: إيجاد ما قدر الله إيجاده على النحو الذي سبق علمه وجرى به القلم، وعليه يكون التلازم بين القضاء والقدر من حيث هما بمعنًى من وجه، والتغاير بينهما من وجه، كيف ذلك؟

---

(١) انظر: النهاية لابن الأثير (٤/ ٧٨).

١- القضاء: هو العلم السابق الذي حكم الله به في الأزل.

والقدر: هو وقوع الخلق على وزن الأمر المقضي السابق.

وبصورة أخرى: القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل.

والقدر: هو جزيئات ذلك الحكم وتفاصيله.

٢- على عكس ما سبق، القدر هو الحكم السابق، والقضاء هو الخلق، قال تعالى: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾(١) أي خلقهنَّ.

وبناءً على هذا، يكون القضاء أخص من القدر؛ لأنه الفصل بين التقديرين، فالقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع، قال تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾(٣).

وعليه يكون التلازم بين القضاء والقدر، لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والأخر بمنزلة البناء،

---

(١) [فصلت: ١٢].

(٢) [البقرة: ١١٧].

(٣) [مريم: ٧١].

وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه[(١)].

● أركان الإيمان بالقدر: أربعة أركان:

الأول: الإيمان بعلم الله الشامل المحيط، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾[(٢)].

وقال: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾[(٣)].

وقال: ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[(٤)].

وقال: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾[(٥)].

وقال في الكفار الذين لا يطيقون سماع الهدى: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ

---

(١) انظر إن شئت: المفردات للأصبهاني (٤٠٦)، وجامع الأصول لابن الأثير (١٠/ ١٠٤)، والقاموس المحيط للفيروابادي، وفتح الباري (١/ ١١٨، ٤٧٧)، ولوامع الأنوار البهية شرح العقيدة السفارينية للسفاريني(١/ ٣٤٥ - ٣٤٨).

(٢) [الحشر: ٢٢].

(٣) [الطلاق: ١٢].

(٤) [سبأ: ٣].

(٥) [النجم: ٣٢].

خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾[١].

وفي الصحيحين من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَوْلاَدِ المُشْرِكِينَ، فَقَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»[٢].

قال ابن تيمية – رحمه الله – «الله أعلم بما كانوا عاملين»: أي يعلم من يؤمن منهم ومن يكفر لو بَلَغُوا، ثم إنه جاء في حديثٍ إسناده مقارب عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا كان يوم القيامة؛ فإن الله يمتحنهم، ويبعث إليهم رسولًا في عرصة القيامة فمن أجابه أدخله الجنة، ومن عصاه أدخله النار»[٣].

فهنالك يظهر فيهم ما علمه الله سبحانه، ويجزيهم على ما ظهر من العلم، وهو إيمانهم وكفرهم، لا على مجرد العلم[٤].

وهو أقرب الأقوال، ويؤيده الحديث الصحيح أيضًا الذي رواه أبو هريرة، وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم مرفوعًا في شأنهم: «الله أعلم بما كانوا عاملين

---

[١] [الأنفال: ٢٣].

[٢] أخرجه البخاري (١٣٨٣، ٦٥٧٩)، ومسلم (٢٦٦٠)، والنسائي (٤/ ٥٨، ٥٩)، والآجري في الشريعة (٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤) من حديث ابن عباس.

[٣] لم أقف عليه.

[٤] انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٤٦).

(يعملون)، [إذْ خلقهم][(١)].

وكذا حديث عائشة، وسألها عبد الله بن أبي قيس «ثقة مخضرم» عن ذراري المشركين؟

فقالت: قال رسول الله ﷺ: هم مع آبائهم، فقلت: يا رسول الله بلا عمل، قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»[(٢)].

وقول آخر: أنهم في الجنة؛ لحديث سمرة بن جُنْدُب رضي الله عنه مرفوعًا ...، وفيه: «وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة»، قال: فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ: «وأولاد المشركين ...»[(٣)].

ووجهه: أن رؤيا الأنبياء حق، واختاره النووي[(٤)].

وقول آخر: أنهم تبع لأبائهم؛ لظاهر جزء من النص السابق.

وآخر: أنهم تحت المشيئة!!.

[(١)] أخرجه البخاري (١٣٨٤، ٦٥٩٨، ٦٥٩٩)، ومسلم (٢٥٦٩)، والنسائي (٤/ ٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[(٢)] إسناده حسن، أخرجه أحمد (٦/ ١٨٧)، والآجري (٤٠٥)، واللفظ له، وابن بطة في الإبانة (٢/ ١٨٧- ٢١٢)، وغيرهم.

[(٣)] أخرجه البخاري (٧٠٤٧).

[(٤)] انظر: المنهاج شرح مسلم بن الحجاج (١٦/ ٢٠٨).

وآخر: أنهم في النار!!.

وآخر: أنهم في برزخ بين الجنة والنار!!.

وآخر: أنهم خدم أهل الجنة!!.

وآخر: أنهم يصيرون ترابًا!!!.

وآخر: التوقف والإمساك!![1].

وبالنظر إنه يستحيل إيجاده الأشياء مع الجهل؛ لأن إيجاده الأشياء بإرادته، والإرادة تستلزم تصور المراد، وتصور المراد هو العلم بالمراد فكان الإيجاد مستلزمًا للإرادة، والإرادة مستلزمة للعلم، فالإيجاد مستلزم للعلم[2].

الثاني: الإيمان بكتابة الله في اللوح المحفوظ لكل ما هو كائن إلى يوم القيامة.

اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه مقادير الخلائق سماه القرآن بالكتاب وبإمام مبين، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ﴾[3].

---

[1] انظر: مجموع الفتاوي (٤/ ٢٤٦، ٢٤٧)، وطريق الهجرتين لابن القيم (ص: ٣٦٤- ٣٦٩)، والمنهاج للنووي (١٦/ ٢٠٨، وما بعدها).

[2] انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ١٤٨).

[3] [الحج: ٧٠].

وقال: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾(١).

وبأم الكتاب، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾(٢).

وبالكتاب المسطور، قال تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ١ وَكِتَٰبٖ مَّسْطُورٖ ٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوْحٖ مَّحْفُوظٍۭ﴾(٤).

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ على الْمَاءِ»(٥).

الثالث: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته التامة، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن

(١) [يس: ١٢].

(٢) [الزخرف: ٤].

(٣) [الطور: ١ – ٣].

(٤) [البروج: ٢١ – ٢٢].

(٥) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

فَيَكُونُ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾(٢).

وقال: ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾(٤).

فما شاء الله تعالى كونه فهو كائن بقدرته لا محالة، وما لم يشأ الله تعالى إياه لا يكن، ليس لعدم قدرته عليه، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾(٥).

وقال: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾(٦)، وغير ذلك.

الرابع: خلقه تبارك وتعالى لكل موجود، لا شريك له في خلقه، قال

---

(١) [يس: ٨٢].

(٢) [التكوير: ٢٩].

(٣) [الأنعام: ٣٩].

(٤) [الأنعام: ١١٢].

(٥) [البقرة: ٢٥٣].

(٦) [يونس: ٩٩].

تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾[١].

وقال: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[٢].

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ ﴾[٣].

وقال: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾[٤].

وقال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾[٥].

فيها أن الله خالق كل شيء، فهو الخالق وما سواه مربوب مخلوق، ولا يخرج العباد وأفعالهم عن غيرها من المخلوقات، فعلم ما هم فاعلون، وكل ذلك في اللوح المحفوظ مدون مكتوب، ومَضَى قَدَرُه تعالى فيهم.

---

(١) [الزمر: ٦٢].

(٢) [الحجر: ٨٦].

(٣) [النساء: ١].

(٤) [الأنعام: ١].

(٥) [الأنبياء: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[١].

وقال: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴾[٢].

وقال: ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[٣].

وقال: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[٤].

ومن حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جَاءَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ بَيِّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الْآنَ، فِيمَا الْعَمَلُ اليوْمَ؟ أَفِيمَا جفَّتْ بِهِ الْأَقْلامُ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ، أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ»، قَالَ: فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ»[٥].

---

[١] [الصافات: ٩٦].

[٢] [القمر: ٥٢].

[٣] [فاطر: ١١].

[٤] [النحل: ١٢٥].

[٥] أخرجه مسلم (٢٦٤٨).

وفي سياق: «كُلٌّ عَامِلٍ مُيَسَّرٌ لِعَمَلِهِ»[١].

وفي الباب من حديث عمران رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢]، ومن حديث عليٍّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣]، وغير ذلك.

نخلص مما سبق، أن الذي خلق وأخبرنا بكل ما ذكرتُ هو الله عز وجل، وهو الذي أخبرنا بوجوب العمل، والأخذ بالأسباب، وكل ميسر لما خلق له، والله لا يضل إلا من سلك سبل الضلالة، ولا يهدى إلا من سلك سبل الهداية، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾[٦].

فلا مجال بعدُ لتحكيم العقل هنا، وإلا فقد نصب المحكِّم عقله ندًّا

---

[١] أخرجه مسلم (٨).

[٢] أخرجه البخاري (٦٥٩٦، ٧٥٥١)، ومسلم (٢٦٤٩).

[٣] أخرجه البخاري (٧٥٥٢)، ومسلم (٢٦٤٧).

[٤] [مريم: ٧٥].

[٥] [مريم: ٧٦].

[٦] [الصف: ٥].

لله تبارك وتعالى، وهو القائل: ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾[1].

ومزيد بيان لضرورة ووجوب الاستسلام لحكم الجبار من غير تعمق بالعقل المجرد الهادم للبنيان، والمضيع للثوابت والأحوال.

---

[1] [الأنبياء: ٢٣].

مسألة في ليلة القدر والتقدير اليومي:

سبق ذكر أن الله قدر مقادير عباده قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وقد دلَّ الكتاب والسنة على أن هناك تقديران: تقديرٌ حولي، وآخر يومي.

فأما الحولي: ففي ليلة القدر، ففيها يُكتب من أم الكتاب ما يكون في السنة من موت وحياة، ورزق ومطر، وما يقوم به العباد من أعمال، ونحو ذلك.

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾[1]، نستطيع أن نقول جزء من كل.

وأما التقدير اليومي: فهو سوق المقادير إلى المواقيت التي قُدِّرت لها فيما سبق، قال الله: ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾[2].

وجملة أقوال المفسرين في الآية: أن الله تعالى من شأنه في كل يوم أن يحيى ويميت، ويخلق ويرزق، ويعز قومًا ويذل قومًا، ويشفي مريضًا، ويفك عانيًا، ويفرج مكروبًا، ويجيب داعيًا، ويُعطى سائلاً، ويغفر ذنبًا، إلا ما يحصى من أفعاله في خلقه.

---

[1] [الدخان: ٣ – ٥].

[2] [الرحمن: ٢٩].

وهذا له ارتباط وثيق بأمره سبحانه، والدعاء في قوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[1].

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «يَنْزِلُ اللهُ إلى السَّماءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ»[2].

مسألة: في كتابة ما قُدِّرَ للإنسان وهو جنين في رحم أمه.

وفيها: حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ المشهور قال حدثنا الصادق المصدوق: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا...، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ»[3].

---

[1] [البقرة: ١٨٦].

[2] أخرجه البخاري (٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨) واللفظ له.

[3] أخرجه البخاري (٣٢٠٨) واللفظ له، ومسلم (٢٦٤٣).

مسألة في الدعاء والقدر:

حاصل هذه المسألة على خمسة أقوال:

القول الأول: إن الدعاء لا معنى له ولا يُدعى الله تعالى، وهذا القول له ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول: قول المتفلسفة وغالية الصوفية: إن الدعاء لا معنى له، ولا فائدة منه؛ لأن المشيئة الإلهية إذا اقتضت فلا بد أن يحصل، وإلا فلا.

واستدلوا بظاهر بعض الأدلة السابق ذكرها في القضاء والقدر.

منها: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[١].

وقوله: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[٢].

وبحديث عليٍّ مرفوعًا: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا قَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ أَوْ مِنَ الجَنَّةِ»[٣]، وغير ذلك.

وتَعَقُّب هذا القول يتبع القول الثاني إن شاء الله.

الاتجاه الثاني: قول أَرِسْطُو وأتباعه، إن الله لا يُدعى؛ لأنه لا يفعل

---

[١] [القمر: ٤٩].

[٢] [الحديد: ٢٢]

[٣] أخرجه البخاري (٦٦٠٥)، ومسلم (٢٦٤٧).

شيئًا، ولا يعلم شيئًا، ولا يريد شيئًا، ولا يخلق شيئًا، فعلى أي شيء يشكر ويحمد ويعبد؟! إلخ

الاتجاه الثالث: قول ابن عربي، وابن الفارض – من مشاهير الصوفية وغلاتهم – وأتباعهم أنه يستحيل من العبد أن يدعو الله؛ لأن الداعي هو الله المدعو [يعنى الحلول والاتحاد] فكيف يدعو نفسه[١].

والحاصل أن هذين الاتجاهين لا يستحقان المناقشة كما هو ظاهر، ففي حكايتهما بهذا المطلع يغنى عن الرد عليهما لوضوح بطلانهما، ولبطلان عقيدتهم[٢].

القول الثاني: قول طائفة من الصوفية أيضًا: إن الدعاء لا يجلب به منفعة، ولا يُدفع به مضرة، وإنما هو عبادة محضة تعبدية، غير معقول المعنى، كرمي الجمار، وغير ذلك.

والمراد بالدعاء:

١- تنزيه الجوارح الظاهرة بالدعاء؛ لأنه ضرب من الخدمة.

---

[١] انظر: فصوص الحكم لابن عربي (١/ ١٨٣)، وديوان ابن الفارض (ص: ٤٢).

[٢] وانظر إن شئت: شأن الدعاء للخطابي، شرح الطحاوية، الاعتصام للشاطبي، ومجموع الفتاوى (٨/ ١٣٨- ١٩٥)، ومنهاج السنة (٥/ ٣١٢)، واقتضاء الصراط المستقيم ، وقاعدة التوسل، وإغاثة اللهفان، ومدارج السالكين.

٢- أن يدعو ائتمارًا لما أمر الله به.

وطائفة منهم قالوا: إن الدعاء من حظ العامة، وأن مقامات الخاصة [الخواص] ترك الدعاء والتوكل نظرًا للقدر.

ومنهم من يجعل الدعاء بعدم المؤاخذة على الخطأ والنسيان، مثل: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[١]، ولا يجوز الدعاء بهذا إلا تلاوة لا دعاءً؛ لأن الدعاء به يتضمن الشك في وقوعه، والشك في وقوع ذلك شك في خير الله.

ومنهم من جوَّز الدعاء بالآية إن أراد بالخطأ العمد، وبما لا يُطاق، وهذه بعض أقوالهم عندما طُلب منه أن يدعو: أخشى أني إن دعوت أن يقال لي: إن سألتنا ما لك عندنا فقد اتهمتنا، وإن سألت ما ليس لك عندنا، فقد سألت الثناء علينا.

وقال آخر: من عرف الله أمسك عن رفع حوائجه إليه لما علم أنه العالم بأحواله.

وقال جماعة للجنيد: أين نطلب الرزق؟ فقال: إن علمتم في أي موضع هو، فاطلبوه منه، قالوا: فنسأل الله تعالى ذلك، فقال: إن علمتم أنه ينساكم فَذَكِّرُوه، فقالوا: ندخل البيت فنتوكل، فقال: التجربة شك، قالوا: فما الحيلة؟ فقال: ترك الحيلة.

---

[١] [البقرة: ٢٨٦].

وقال آخر منهم: طلبك منه اتهام.

وقال بعضهم: الفقير هو الذي لا يكون له إلى الله حاجة.

وغير ذلك كثير عند القوم، وكلها قريبة في شناعتها ومخالفتها، ومع ذلك قد يؤولونها على قاعدتهم الباطلة الطاعنة في الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة الأخيار من الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

الظاهر للعامة، والباطن للخاصة أو الخواص، يعنون أنفسهم!!.

وإليك تلخيص شبه هذا القول، والإطاحة بها:

الشبهة الأولي: الاستدلال بعموم الآيات الدالة على علم الله تعالى – وهي كثيرة وأن السؤال مع العلم والقدرة لا حاجة إليه.

فهذا الطوسي عبد الله بن عليٍّ السَّرَّاج (ت ٣٧٨هـ) صاحب كتاب «اللمع» – صوفي مشهور – عند ذكر أصول طريقتهم عن بعضهم، قال: أصلنا السكوت، والاكتفاء بعلم الله عز وجل.

وتعلقوا تعلقًا شديدًا بها في الشبهة الثانية الآتية.

قال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ): وهذا سدٌّ لباب السؤال والدعاء، وهو جهل بالعلم[١].

وهذا خلل واضح في طريقة الاستدلال، وهو من باب الشبهات لا من باب الاستدلالات؛ ذلك: لأنه يتعارض مع ما في الباب من الآيات

---

[١] انظر: تلبيس إبليس (ص: ٢٩٨).

والأحاديث الثابتة عمن لا ينطق عن الهوى، ومن ذلك:

قوله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ العَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، قَالَ: «أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾[١] الآية[٢].

والمقصود أن القدر يتضمن الغاية وسببها، ولم يتضمن الغاية بلا سبب، ويؤكد هذا، ما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً، إِلَّا قَدْ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ»[٣].

ومن حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا: «إِنَّ اللهَ حَيْثُ خَلَقَ الدَّاءَ، خَلَقَ الدَّوَاءَ، فَتَدَاوَوْا»[٤].

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «ما أنزل الله داءً إلا وأنزل له

---

[١] [الليل: ٥ – ٦].

[٢] أخرجه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧) من حديث عليٍّ رضي الله عنه.

[٣] «حسن»، أخرجه أحمد (١/ ٣٧٧)، وغيره.

[٤] «حسن»، أخرجه أحمد (٣/ ١٥٦)، وغيره.

شفاءً»(١).

وفي الباب عن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وغيره.

فيه الأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي جعلها الله مقتضيات لمسبباتها قدرًا وشرعًا(٢).

ويستأنس بحديث أَبِي خُزَامَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرَأَيْتَ دَوَاءً نَتَدَاوَى بِهِ، وَرُقًى نَسْتَرْقِي بِهَا، وَتُقًى نَتَّقِيهَا، أَتَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتعالى شَيْئًا؟ قَالَ: «إِنَّهَا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتعالى»(٣).

فتبين من هذا أنه يُرد قدر الله بقدر الله، إما دفعًا لما انعقد سببه ولمّا يقع، وإما رفعًا لما وجد، وأن الأسباب التي تدفع بها المكاره هي من قدر الله، ليس القدر مجرد رفع المكروه بلا سبب.

إذن يُرد القدر بالقدر كما سبق في حديث عمر بن الخطاب مع أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما: «نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ».

وكذا نقول: إن العبد لا يدري ماذا قدر الله له، هل علّق نيل مرغوبه، أو دفع مضارة، أو رفع مصائبه على دعائه أم لا؟

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٨)

(٢) انظر: زاد المعاد لابن القيم (٤/ ١٥).

(٣) «ضعيف»، أخرجه أحمد (٣/ ٤٢١)، وابن ماجه (٣٤٣٧)، والترمذي (٢١٤٨)، والحاكم (١/ ٣٢)، وغيرهم.

وعليه، فيلزم الاجتهاد في طلب رجاء رحمة الله، والخوف من الله، واستجلاب الخير، واستدفاع الشر، بما جعله الله سببًا لذلك، وهو الدعاء، من غير لِمَ، ولا كيف؟ وهنا معنى العبودية.

ومن هنا نفهم لماذا أمرنا الله تعالى بالعمل والاجتهاد في الطلب؛ فالأخذ بالأسباب مطلب شرعي واجب، فالذي أخبرنا بالقدر وأحكامه، هو الذي ألزمنا بالعمل والأخذ بالأسباب، فلا نقول: لِمَ؟ ولا كيف؟ كما سبق ذكره عن عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما؛ فهم قدوتنا حجة خلف رسول الله ﷺ في العقيدة والعبادة والمعاملة والآداب ... إلخ

هذا، وقد فطر الله عز وجل عباده على الحرص على الأسباب التي بها مرام معاشهم ومصالحهم الدنيوية، بل فطر سائر الحيوانات على الحرص على المنافع، وهداها لمصالحها المعاشية بما يحفظها، ألا ترى أنه سبحانه هدى الذكر للأنثى، وهدى الرضيع إلى التقام ثدي أمه عند الخروج من بطن أمه، والأم تميزه عن غيره، وهداه إلى المرعى النافع دون الضار، وهداه إلى مسكنه يؤسسه ويقيم فيه، وهداه إلى الدفاع عن نفسه وولده ... إلخ

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[1].

---

[1] [طه: ٥٠].

وقال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ إِلَّآ أُمَمٌ إِلَّآ أُمَمٌ فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[1].

ثم إن المسلم مأمور بأن يفعل، وأنْ لا يفعل.

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ باللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[2].

وهذا النص ظاهر لا يحتاج إلى كثير تعليق.

فعلى أي شيء يُخَرَّج دفع العدو بقتاله؟ ودفع الحر والبرد ونحو ذلك؟

فهذا دفع قدر انعقدت أسبابه - ولمَّا يقع - بأسباب أخرى من القدر مقابلةً فيمتنع وقوعه.

وعلى أي شيء يخرج دفع المرض بالتداوي، ودفع الإساءة بالإحسان، فهذا دفع القدر الذي قد وقع واستقر بقدر آخر يرفعه ويزيله، وبذلك نفهم دفع الذنب الذي وقع بالتوبة.

---

(١) [الأنعام: ٣٨].

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

وعلى كل حال؛ فهذه الشبهة مخالفة للكتاب والسنة، وإجماع السلف الصالح أهل السنة والجماعة وأئمة الدين، ومخالفة لصريح صحيح المعقول.

وكذا فيها إبطال للحِكَمِ الربانية، والعلل الإلهية، حيث رتب الله عز وجل المسببات على الأسباب والمعلولات على العلل، وربط بعضها ببعض على نظام دقيق خارج عن نطاق العقل البشرى، يكفل ببقاء الكون ونظامه، ولذا قال تعالى: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾[1].

وقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2]، فمن أعرض عن استعمال ما خلق الله، وما أمر به ونهى عنه، فقد رفض أمر الشرع، وعطَّل حكمته سبحانه وتعالى.

وكذا فيها ردٌّ لجميع الشرائع وإبطال لجميع أحكام الكتب، وتبكيت للأنبياء كلهم فيما جاءوا به؛ لأنه إذا قال في القرآن: ﴿ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ قال قائل: لماذا إن كنتُ سعيدًا فمصيري إلى السعادة، وإن كنتُ شقيًا فمصيري إلى الشقاوة، فما تنفعني إقامة الصلاة؟ وما يفضي إلى رد الكتب وتجهيل الرسل محال باطل.

---

(1) [الأنبياء: ٢٣].

(2) [النور: ١٩].

وكذا فيها إلغاء للأسباب، وهو نقص في العقل، وقدح في الشرع، وبرهان ذلك في قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام لمَّا قيل له: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾[1] خرج يترقب ... فهذا أخذٌ بالأسباب، ولمَّا جاع واحتاج إلى عفة نفسه أجَّر نفسه ثمان سنين.

وكذا في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[2]، فهذا إنكار من الله عز وجل على من ظن أن وجود الأسباب كعدمها، وأنه لا فرق بين ما أمر الله به وأوجبه ورضيه، وبين ما نهى عنه وأبغضه.

ثم إن القائلين بهذا القول الأحمق السخيف لهم أن يقولوا:

١- بعدم الأخذ بالأسباب التي توصله إلى منافعه الدنيوية؛ فيلزم أن يترك الأكل والشراب، ويقول: إن قضى لي الشبع والرِّي فلا بد أن يصل إلي سواء أكلتُ أو شربتُ أو تركتُ.

وعليه أن لا يلبس إذا برد، ولا يتزوج، وأن لا يأتي أهله إذا أراد الولد، وأن لا يتداوى إذا مرض، وأن يلقى الكفار بدون سلاح، وإذا أراد

---

[1] [القصص: ٢٠].

[2] [الجاثية: ٢١].

الحج أن لا يسافر ولا يتحرك بل يجلس في بيته، وإذا أراد أن يتحصل على الزرع فعليه أن لا يحرث ولا يزرع، كل ذلك فيه من الشرع دليل.

٢- أن لا يطالب بشيء إذا أفسدوا عليه أمواله، أو قتلوا أولاده أو ضربوه أو سبوه، أو اعتدوا على عرضه وحرمته، وعليه أن لا ينتصر من الظالم، وفي هذا كله مخالفة لسنة الله الكونية والشرعية.

٣- أن لا يقول بجهاد الكفار وقتالهم، ولا بإقامة الحدود، ولا يُنكر أي منكر وقع في الأرض، ولا أي فساد في المجتمع، وفي هذا كله مخالفة صريحة لقول الله ورسوله ﷺ.

٤- أن يقول: لا حاجة بنا إلى الطاعة والإيمان؛ لأن ما قضاه الله من الثواب والعقاب لا بد.

وما يدري هذا القائل الأخرق الأحمق أن الله قد رتب مصالح الدنيا والأخرة على الأسباب بناء على ما سبق به القضاء لا بغيره.

والحاصل أن الاحتجاج بالقضاء والقدر فيما ذكروه - أصحاب هذا القول - ليس حجة مقبولة، بل هي شبهة شيطانية سخيفة خرماء؛ فإن القدر يؤمن به ولا يحتج به -أي: في المصائب-؛ فإن المحتج به فاسد العقل والدين، ولا بد أن يتناقض، ولا يستطيع أحدٌ أن يلتزم بما يترتب عليه من المفاسد الشنيعة؛ فلهذا كان الاحتجاج بالقدر باطلاً بطلانًا

ضروريًا مستقرًا في الفطر والعقول السليمة[١].

الشبهة الثانية: الاستدلال بما رُويَ من أن إبراهيم الخليل عليه السلام عندما أُلقي في النار قال: "حسبي من سؤالي علمه بحالي".

والرد على هذه الشبهة من ثلاثة وجوه:

الأول: هذا الأثر ذكره البغوي في تفسيره[٢] بصيغة التمريض وهي تدل على ضعف ما بعدها غالبًا، قال: ورُويَ عن كعب الأحبار... فذكره هكذا بدون إسناد، ولا أعلم له إسنادًا موصولًا، وكعب الأحبار هو: كعب بن ماتع الحميري «ثقة مخضرم» مات في آخر خلافة عثمان رضي الله عنه، وقد زاد على المائة، وهو مشهور برواية الإسرائيليات.

ثم رأيتُ ابن تيمية قال: ليس له إسناد معروف، وهو باطل[٣].

وذكر الكناني (ت: ٩٦٢هـ) عنه –أي: ابن تيمية–: أنه موضوع[٤].

---

[١] وانظر إن شئت: شأن الدعاء للخطابي، وتلبيس إبليس وفتاوى العز بن عبدالسلام، ، ومجموع الفتاوى (٢/ ٣٢٣)، (٨/ ١٦٩)، (١٠/ ٢٨)، والتدمرية، ومنهاج السنة (٣/ ٢٣، ٥٥- ٥٧، ٦٥، ٦٦، ٨١، ٨٤)، (٥/ ٣٦٢ – ٣٦٦)، وزاد المعاد (٤/ ١٥، ١٦)، وشفاء العليل لابن القيم، ومدارج السالكين، وإغاثة اللهفان، والآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ٢٨٦).

[٢] انظر: معالم التنزيل (٣/ ٢٥٠)

[٣] انظر: قاعدة في التوسل (ص: ٣٧).

[٤] انظر: تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة (١/ ٢٥٠).

الثاني: إن الثابت في صحيح البخاري: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السَّلاَمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[١].

[٢]

وعنده قال: حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي حَصِينٍ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «كَانَ آخِرَ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ»[٣].

وقد أخذ نبينُا بالأسباب، وعلَّمنا كثيرًا من الأدعية المأثورة الصحيحة، ومن بعده الصحابة، وعلى رأسهم الخلفاء.

الثالث: أنه يناقض ما نص عليه القرآن في قصة إبراهيم عليه السلام من دعواته وابتهالاته ولجوئه إلى الله تعالى في الشدائد، مثل ما قال في دعائه عند فراق زوجته وولده: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ

---

[١] [آل عمران: ١٧٣].

[٢] أخرجه البخاري (٤٥٦٣).

[٣] أخرجه البخاري (٤٥٦٤).

عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾(١).

فائدة: الفرق بين الدليل والشبهة؟

الدليل: هو الاستدلال بالنص الصحيح في محله.

والشبهة: هي الاستدلال بالنص الصحيح في غير محله، والاستدلال بالنص غير الصحيح في محله، وهذا منها، فانتبه.

الشبهة الثالثة: إن سؤال الله تعالى فيه سوء أدب واتهام للرب بعدم إعطائه للعبد ما يستحقه، وإن ترك الدعاء من مقامات الخواص.

وردُّه باختصار: أن هذا القول يلزم منه أن الأنبياء أساؤوا الأدب مع الله عز وجل وأنهم اتهموه، وهذا القرآن بين أيدينا قد أخبرنا عن جماعة أنبيائه، وكلهم كانوا بين الخوف والرجاء، فسألوه سبحانه، ودعوه، واستغاثوه، ولذا قال تعالى تسليةً لنبيه: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ هَٰذِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢) وكيف حال نبينا؟ فليخبرونا إن استطاعوا؟ وأنا أعلم بالقوم، فقد يقولون: القرآن له ظاهر وباطن، أما الظاهر فلكم، وأما الباطن فلنا، وهذا كلام الباطنية علموه أو جهلوه، وحكمهم معروف عند أهل السنة والجماعة قاطبة.

---

(١) [إبراهيم: ٣٧].

(٢) [هود: ١٢٠].

القول الثالث: أن الدعاء يرد القدر ويغيره من قضاء إلى قضاء.

وقد قال به الشوكاني وانتصر له في رسالتين: «إجابة الدعاء لا ينافي القضاء»، «تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصه من الدلائل»(١).

وحجة هذا القول، ظواهر النصوص التالية:

١- حديث سلمان الفارسي، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يَرُدُّ القَضَاءَ إلاَّ الدُّعَاءُ، وَلاَ يَزِيدُ فِي العُمْرِ إلاَّ البِرُّ»(٢).

٢- حديث ثوبان مرفوعًا: «لَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ، وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ»(٣).

---

(١) وانظر إن شئت: «شأن الدعاء للخطابي».

(٢) «ضعيف»، أخرجه الترمذي (٢١٢٩)، والطبراني في الدعاء (٣٠) وفي الكبير له (٦/ ٣٠٨) ومن طريق المزي في تهذيب الكمال (٢٣/ ٢٦٨) من طريق أبي مودود، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان به.

«وإسناده ضعيف»؛ لضعف أبي مودود، واسمه فضة.

(٣) «ضعيف»، ابن أبي شيبة (٣٠٤٨٧)، وأخرجه أحمد (٥/ ٢٧٧)، والحاكم (١/ ٤٩٣) من طريق عبد الله بن أبي الجعد، وهو «مجهول الحال».

وأخرجه الطبراني في الدعاء (٣١) من طريق أبي الأشعث الصنعاني شراحيل بن آده «ثقة»؛ ولكن قال ابن الجوزي: روايته عن ثوبان منقطعة، بينهما أبو أسماء الرحبي. وانظر: تهذيب التهذيب (٤/ ٣١٩)، وإكمال تهذيب الكمال (٦/ ٢٢٧).

٣- حديث عائشة مرفوعًا: «لَا يُغْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَالدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، وَإِنَّ الدُّعَاءَ وَالْبَلَاءَ لَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[١].

٤- حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «لَنْ يَنْفَعَ حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَلَكِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعليكُمْ بِالدُّعَاءِ عِبَادَ اللهِ»[٢].

٥- حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: «إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعليكُمْ عِبَادَ اللهِ بِالدُّعَاءِ»[٣].

وعليه؛ فإسناده ضعيف كسابقه.

[١] «ضعيف»، أخرجه البزار (٢١٦٥ - كشف الأستار)، والطبراني في الدعاء (٣٣)، والحاكم (١/ ٤٩٢) من طريق زكريا بن منظور الأنصاري، ثنا عطاف الشامي، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة.

وإسناده ضعيف؛ لضعف زكريا بن يحيى بن منظور، ولجهالة شيخه.

[٢] «ضعيف»، أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٤)، والطبراني في الدعاء (٣٢) من طريق إسماعيل بن عياش، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين، عن شهر بن حوشب، عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به.

وإسناده ضعيف؛ لأجل شهر بن حوشب كثير الأوهام، ولم يسمع من معاذ.

وإسماعيل بن عياش روايته عن غير الشاميين ضعيفة، وهذا منها.

[٣] «ضعيف»، أخرجه الترمذي (٣٥٤٨)، والحاكم (١/ ٤٩٣) من طريق يزيد بن هارون، أنبا عبد الرحمن بن أبي بكر، عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر.

وإسناده ضعيف؛ لضعف عبد الرحمن بن أبي بكر التيمي.

٦- حديث عليِّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ، وَيُوَسَّعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُدْفَعَ عَنْهُ مِيتَةُ السُّوءِ، فَلْيَتَّقِ اللهَ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»(١).

٧- حديث عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: «... فَحَرِّزُوا(٢) أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَادْفَعُوا عَنْكُمْ طَوَارِقَ الْبَلَاءِ بِالدُّعَاءِ؛ فَإِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، مَا نَزَلَ يَكْشِفُهُ وَمَا لَمْ يَنْزِلْ يَحْبِسُهُ»(٣).

---

(١) «حسن»، أخرجه أحمد (١/ ١٤٣)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (٢٧٠)، وابن عَدي (٥/ ٢٩٥)، والحاكم (٤/ ١٦٠) من طريق معمر، عن أبي إسحاق السبيعي.

وأخرجه البزار (٦٩٣) من طريق حبيب بن أبي ثابت.

كلاهما (أبو إسحاق، وحبيب) عن عاصم بن ضمرة، عن عليٍّ به. وإسناده حسن.

(٢) حرزوا أنفسكم: احفظوها. انظر: أساس البلاغة (١/ ١٨١).

(٣) «ضعيف»، أخرجه ابن أبي حاتم في العلل (٢/ ٦١٥)، والطبراني في الدعاء (٣٤) من طريق هشام بن عمار، ثنا عراك بن خالد بن يزيد، ثني أبي، قال: سمعتُ إبراهيم بن أبي عبلة يحدث، عن عبادة فذكره.

إسناده ضعيف؛ لأجل هشام بن عمار «صدوق لما كبر صار يتلقن»، (خرَّج له البخاري تعليقًا ومتابعة).

قال أبو حاتم: هذا حديث منكر، وإبراهيم لم يدرك عبادة، وعراك منكر الحديث.

٨- حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوَسِّعَ اللهُ عليه فِي رِزْقِهِ، وَيَنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَه»[١].

٩- حديث الحسن بن عليٍّ قال: علمني رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلمات أقولهن في قنوت الوتر: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ...، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ»[٢].

---

[١] أخرجه البخاري (٢٠٦٧، ٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧)، وأبو داود (١٩٩٠)، وابن حبان (٤٣٨، ٤٣٩) وغيرهم من طريق الزهري عن أنس به.

وأخرجه أحمد (٣/ ٢٢٩) من طريق ميمون بن سياه عنه، ولفظه: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ، وَأَنْ يُزَادَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، [فَلْيَبَرَّ وَالِدَيْهِ]، وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ».

وميمون «صدوق يخطئ»، ولكنه متابع، إلا في قوله: «فليبر والديه».

وأخرجه الطبراني في الدعاء (٢٩) من طريق إسرائيل بن يونس، عن أبي إسحاق السبيعي، عن يزيد بن أبي مريم، عن أنس مرفوعًا: «ادعوا؛ فإن الدعاء يرد القدر».

وإسرائيل بن يونس ابن أبي إسحاق روى عن جده بعد الاختلاط، وجده يدلس وعنعن، وسياقه غير محفوظ عن أنس من طريق الثقات.

[٢] «صحيح»، أخرجه أحمد (١/ ١٩٩)، وابن الجارود (٢٧٢)، وابن خزيمة (١٠٩٥)، والطبراني (٢٧١٢) من طريق وكيع، ثنا يونس بن أبي إسحاق.

والبيهقي (٢/ ٢٠٩) من طريق العلاء بن صالح.

كلاهما (يونس، والعلاء) عن يزيد بن أبي مريم.

والطبراني (٢٧١٣) من طريق الربيع بن ركين، عن أبي يزيد الزراد.

١٠- حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: «تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي أَهْلِهِ، مَثْرَاةٌ فِي مَالِهِ، مَنْسَأَةٌ فِي أَثَرِهِ»(١).

١١- ومن حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ البَلاَءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ»(٢).

كلاهما (يزيد، والزراد) عن أبي الحوراء، عن الحسن بن عليٍّ به. وإسناده صحيح.

(١) «حسن بهذا السياق»، أخرجه أحمد (٢/ ٣٧٤)، والترمذي (١٩٧٩)، والحاكم (٤/ ١٦١) من طريق ابن المبارك، عن عبد الملك بن عيسى الثقفي، عن يزيد مولى المنبعث عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ به.

وإسناده حسن؛ لأجل يزيد مولى المنبعث، صدوق.

وأخرجه البخاري (٥٩٨٥)، وأبو يعلى (٦٦٢٠)، والخرائطي في المكارم (٢٧٣) والبيهقي في الشعب (٧٩٤٥) من طريق سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: «من سره أن ينسأ له في أثَره، وُيبْسَطَ له في رِزْقِه، فَلْيَصِلْ رَحِمه».

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٤٧)، ومسلم (٢٧٠٧).

والتحقيق: أن الحديث «صحيح بطرقه وشواهده»، من طريق: سلمان، وعائشة، وثوبان، وجابر، وابن عمر، وعبادة «حسن لغيره»، وبنحوه من حديث عليٍّ «حسن»، ومن حديث أنس «صحيح»، وحديث أبي هريرة «حسن»، «وصحيح من وجه آخر».

وبالنظر إلى هذه النصوص، نرى أنها لا تتعارض مع النصوص الأخرى التي سبق ذكرها، وما تأتي في القول الخامس، وهو ما عليه جمهور علماء السلف أهل السنة والجماعة.

والمقصود أن القضاء يُرد بالدعاء، والكل من قضاء الله وقدره، ولا يخرج شيء من قدر الله تعالى، فالله الذي قدر البلاء، هو الذي قدر دفعه ورفعه بالدعاء؛ فهو سبب لا يخرج عن قضاء الله وقدره؛ فالقضاء والقدر شامل للجميع، وسبق بيان ذلك.

إذن الدعاء لا يرد القضاء بمعنى أنه لا يأتي بقضاء جديد لم يُسبق، وبهذا يُجمع بين هذه النصوص، وما تأتي في القول الخامس إن شاء الله.

القول الرابع: الدعاء يكون مشروعًا نافعًا في بعض الأشياء دون بعض، ولهذا لا يجيب المعتدين في الدعاء؛ ومن جملة عدم مشروعيته – عنده – بطول العمر أو البقاء، وهذا قول ابن أبي العز الحنفي: إن الدعاء لا تأثير له في زيادة العمر بخلاف صلة الرحم[١].

وهذا يعنى: أنه تمسُّكٌ بظاهر النصوص الواردة في القول الثالث، وحُكيَ عن أحمد بن حنبل أنه كان يكره أن يدعى له بطول العمر، ويقول: هذا أمر فرغ منه.

واستدل بحديث ابن مسعود، عن أم حبيبة زوج النبي ﷺ قالت:

---

[١] انظر: شرح الطحاوية (ص: ١٤٤).

اللهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ سَأَلْتِ اللهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخِّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ، وَلَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ، كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ»[١].

وكذا بحديث جابر في شكاية أهل قباء الحُمَّى إلى النبي ﷺ، قال لهم: «إِنْ شِئْتُمْ أَنْ أَدْعُوَ اللهَ لَكُمْ فَيَكْشِفَهَا عَنْكُمْ، وَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَكُونَ لَكُمْ طَهُورًا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَ تَفْعَلُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالُوا: فَدَعْهَا[٢].

---

[١] أخرجه مسلم (٢٦٦٣)، وأحمد (١/ ٣٩٠)، وغيرهما.

[٢] «حسن بهذا السياق»، أخرجه أحمد (٣/ ٣١٦) عن أبي معاوية الضرير محمد بن خازم.

وأبو يعلى (١٨٩٢)، وابن حبان (٢٩٣٥)، والحاكم (١/ ٤٣٦) من طريق جرير بن عبد الحميد.

وعبد بن حميد (١٠٢٣) من طريق سفيان الثوري.

وأبو يعلى (٢٣١٩) من طريق يعلى بن عبيد.

أربعتهم (أبو معاوية، وسفيان، وجرير، ويعلى) عن الأعمش، عن أبي سفيان طلحة بن نافع، عن جابر به. وإسناده حسن.

وله شاهد بنحوه، من حيث الأصل من حديث: عائشة عند البخاري (١٨٨٩) أن النبي ﷺ دعا للمدينة ... وفيه: «وصحِّحْها لنا، وانقل حُمَّاها إلى الجحفة ...».

وكذا قولهم بأن النبي ﷺ، قال للأنصار: أو تصبرون؟

فلم يقبل طلبهم بالدعاء لهم برفع الحمى.

والرد على هذا القول من وجوه:

الأول: إن القول بالتفريق لا دليل عليه، والتعليل بأنه أمر قد فُرِغ منه، غير مقبول، بدليل أن كل الأشياء تخضع لهذا التعليل؛ فالكل مقدر قد فرغ منه، ويؤكد ذلك، دعاؤه لأنس بن مالك بطول العمر وكثرة ماله وولده[1].

قال ابن حجر: فقال بعض الشُّرَّاح مطابقة الحديث للترجمة أن الدعاء بكثرة الولد يستلزم حصول طول العمر، وَتُعُقِّبَ بأنه لا ملازمة

وشاهد آخر من حديث: سلمان الفارسي عند الطبراني (٦١١٣) بإسناد فيه ضعف لأجل هشام بن لاحق، قَالَ البُخارِيّ هِشَام بْن لاحق أَبُو عُثْمَان المدائني أنكر شبابة أحاديثه، وَهو مضطرب الأحاديث عنده مناكير. انظر: الكامل لابن عدي (٨/ ٤١٢).

[1] أخرجه البخاري (١٩٨٢، ٦٣٧٨، ٦٣٨٠)، ومسلم (٦٦٠، ٢٤٨١)، وفي الأدب المفرد (٨٨، ٦٥٣)، وابن سعد في الطبقات (٧/ ١٩) وغيرهم من طرق عن أنس.

وقد بوَّب البخاري في الدعوات باب: «دعوة النبي ﷺ لخادمه بطول العمر وبكثرة ماله»، ثم ساق حديث أنس من طريق: شعبة، عن قتادة، عنه، وفيه: «اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته».

بينهما إلا بنوع من المجاز بأن يراد أن كثرة الولد في العادة تستدعي بقاء ذكر الولد ما بقي أولاده؛ فكأنه حي.

والأولى في الجواب: أنه أشار كعادته إلى ما ورد في بعض طرقه، فأخرج في «الأدب المفرد» من وجه آخر عن أنس، قال: قالت أم سليم وهي أم أنس: خُوَيِدِمُك، ألَّا تدعو له، فقال: «اللهم أكثر ماله وولده، وأطل حياته، واغفر له»، فأما كثرة ولد أنس وماله، فوقع عند «مسلم» في آخر هذا الحديث من طريق: إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنسٍ، قال أنسٌ: «فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادُّون على نحو المائة اليوم»[1].

وسبق عنده[2] قول أنس: أخبرتني ابنتي أُمَيْنة أنه دُفن من صلبي إلى يوم مقدم الحجاج للبصرة مائة وعشرون...، وأما طول عمر أنس: فقد ثبت في «الصحيح» أنه كان في الهجرة ابن تسع سنين، وكانت وفاته سنة إحدى وتسعين فيما قيل، وقيل: سنة ثلاث، وله مائة وثلاث سنين، قاله خليفة بن الخياط، وهو المعتمد[3].

وقال ابن حجر: ووقع «لمسلم» في رواية الجعد عن أنس: «فدعا لي

---

(1) انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/ ١٤٤، ١٤٥).

(2) أي البخاري برقم (١٩٨٢).

(3) انظر: التاريخ (١/ ٣٠٦).

بثلاث دعوات، قد رأيتُ منها اثنتين في الدنيا وأنا أرجو الثالثة في الآخرة»، ولم يُبيِّنها، وهي المغفرة كما بينها سنان بن ربيعة بزيادة، وذلك فيما رواه ابن سعد[١] «بإسناد صحيح» عنه، عن أنس مرفوعًا: «اللهم أكثر ماله وولده، وأطل عمره، واغفر ذنبه»[٢].

وقد أخرج البخاري، ومسلم: عن سعد بن أبي وقاص قصة طويلة، ... وفيها أنه دعا على الرجل الذي قال فيه: «فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ:...»[٣].

وأما ما حُكيَ عن أحمد، فيرده ما ذكره عبد الله بن أحمد في «السنة» له[٤] في مسألة القرآن كلام الله غير مخلوق...

قال أحمد: ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب الله عز وجل أو في حديث عن النبي ﷺ أو عن أصحابه أو عن التابعين، وأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود، وإني أسأل الله عز وجل أن يطيل بقاء أمير المؤمنين -يعنى المتوكل بالله- وأن يثبته، وأن يمده بمعونة إنه على كل شيء قدير... آخر الرسالة.

---

[١] انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ١٩).

[٢] انظر: فتح الباري (٤/ ٢٢٩) في شرح الحديث رقم (١٩٨٢).

[٣] أخرجه البخاري (٧١٨٩)، ومسلم (١٣٧٦).

[٤] انظر: السنة لعبد الله بن أحمد (١٠٨).

وقال الذهبي: بعد أن نقل هذه الرسالة، قلت: رواة هذه الرسالة عن أحمد أئمة أثبات، أشهد بالله أنه أملاها على ولده، وأما غيرها من الرسائل المنسوبة إليه كرسالة «الاصطخري»، ففيها نظرٌ، والله أعلم[1].

وأما حديث أم حبيبة، فيجاب عنه بأنه ﷺ علم بالوحي بأنه لا يزاد في أعمار هؤلاء الذين دعت لهم أم حبيبة، أو يقال: إنه رأى حرصها الشديد على ذلك فمنعها، أو أنه ﷺ أرشدها إلى الأفضل، وهو طلب الأمر الأخروي من الاستعاذة من النار، أو عذاب القبر دون النفع الدنيوي من التمتع بهؤلاء الذين ذكرتهم بقرينة ما في السياق: «كان خيرًا وأفضل».

ومن المعلوم أن اسم التفضيل يدل على المشاركة والزيادة، فأصل الخيرية والفضل ثابت لما دعت به، وعليه فلا يستدل به على التفريق.

وأما ما جاء في حديث جابر السابق ذكره الدال بظاهره على عدم قبوله طلب الدعاء لهم برفع الحمى، فيجاب عنه: بأنه سؤال كشف وتعليم، فأوحى الله إليه أنه لا يكشف عنهم في ذلك الوحدة، وآخر الدعاء، ويحتمل أنه رأى بهم جزعًا وقلة صبر فأمرهم به.

ويؤكد على هذا دعاؤه برفع الحمى عن المدينة عند قدومه إليها، وإصابة أبي بكر وبلال بالحمى فقال: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إلينَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ،

---

(1) انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٨٧).

أَوْ أَشَدَّ وَصَحِّحْهَا وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ»[1].

وأما التفريق بين صلة الرحم وبين الدعاء، بأن الأول يزيد في العمر دون الثاني، فلا يُسلم له، لأن كليهما سببان متماثلان ثابتان بالنص القولي والفعلي، فلا يجوز التفريق إلا بنص، ولا يجوز الاعتماد على نص في المسألة دون النظر إلى الآخر؛ فإن كان ظاهرهما التعارض جمع بينهما.

وبالعقل السليم نقول: إما أن نمنع تأثيرهما معًا في المسببات، أو نجيز تأثيرهما معًا كباقي الأسباب الشرعية، فأيهما نعتمد، وقد ثبت النص بهما؟!.

وأما قولهم: بأن الله لا يجيب المعتدين في الدعاء؛ فهذا لا يستقيم من حيث أصل المسألة، وتنزيل الاعتداء في الدعاء على أصل الدعاء المشروع لا يستقيم ولا يُسلَّم له، كما هو ظاهر لا يخفى، وقياسٌ ليس في محله لنفي الفارق، ولذا قلت: الدعاء المشروع فخرج غيره.

القول الخامس: أن الدعاء سبب من الأسباب، وأن له تأثيرًا في المطلوب المسؤول كسائر الأسباب المقدرة والمشروعة، فالدعاء مثل سائر الأسباب؛ كالتوكل والصدقة، ونحو ذلك؛ سبب لجلب المنافع، ودفع المضار، ثم إن الدعاء مع كونه سببًا، داخل في القضاء، ولا يخرج عنه؛ فإن

---

[1] أخرجه البخاري (١٨٨٩)، ومسلم (١٣٧٦).

الدعاء من جملة ما سبق به القضاء؛ لأن الله أحاط بكل شيء علمًا، وقدر كل شيء تقديرًا، ولا يمكن أن يخرج شيء عن قضائه، ولذا فالدعاء داخل في القضاء؛ فإذا قدر الدعاء - وأنه سبب لشيء ما - فلا بد أن يدعو الرجل، وأن يتسبب ذلك فيما جعله الله سببًا، فالدعاء سبب لجلب النفع، كما أنه سبب لدفع البلاء.

ولهذا أمر الله تعالى رسوله ﷺ عند انعقاد أسباب الشر بما يدفع موجبها بمشيئة الله وقدرته من الصلاة، والدعاء، والذكر، والاستغفار، والتوبة، والإحسان بالصدقة، ونحو ذلك.

فإن هذه الأعمال الصالحة التي أمر الله بها ورسوله ﷺ، تعارض الشر الذي انعقد سببه بعلم الله وقدرته وإرادته، وهنا نوجه تلك النصوص التي سبق سردها في القول الرابع على خلاف ما أخذ به ذاك القول جريًا على الظاهر، من غير جمع مع غيرها في الباب، وهذا كما لو جاء عدو؛ فإنه يدفع بالدعاء والجهاد، دليل ذلك قوله ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ»[1].

---

[1] أخرجه البخاري (٢٨٩٦) وبوَّب له باب: «من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب».

وعند النسائي في الصغرى (٦/ ٣٧): «إنما نصر الله هذه الأمة بضعفتهم بدعواتهم وصلاتهم وإخلاصهم».

وإذا هجم البرد يدفع باتخاذ الدفء، وإذا هجم المرض يدفع باتخاذ الدواء، فكذلك الأعمال الصالحة والدعاء.

والمقصود: أن من جملة القضاء ردُّ البلاء بالدعاء، فالدعاء داخل تحت القضاء وليس خارجًا عنه، فالدعاء سبب لرد البلاء، واستجلاب الرحمة، كما أن التُّرس يدفع السهم فيتدافعان، فكذلك الدعاء والبلاء.

واحذر من الفهم الأعور أن من شرط الاعتراف بالقضاء والقدر أن لا يحمل السلاح، وأن لا يدفع البرد، والمرض ... إلخ، قال تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾[1]، فالله تعالى هو الذي قدر الأمر، وقدر سببه.

وهذا القول هو الذي عليه جمهور أهل السنة والجماعة.

وهاك البيان من القرآن، وصحيح السنة:

١- قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2].

وجه الاستدلال بها: أن الله تعالى قد علق فيه الإجابة بالدعاء تعليق المسبب بالسبب؛ فلو كانت الاستجابة تقع بدون سبب الدعاء لكان تعليق الإجابة بالدعاء لا فائدة فيه فيكون عبثًا، وهذه الصيغة تدل على الشرط والجزاء، وهما متلازمان، فلو كان وجود الدعاء وعدمه سواء لزمه أنه لا

---

[1] [النساء: ١٠٢].

[2] [غافر: ٦٠].

فائدة في اشتراطه في وقوع الإجابة، فيكون عبثًا.

فيها: الوعد بالإجابة عند وجود الدعاء، فلو كان وجوده وعدمه سواء، لزم أنه لا حاجة إلى هذا الوعد الذي هو من الله الذي لا يخلف الميعاد.

٢- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[١].

وجه الاستدلال بها: أنها نزلت بسبب السؤال عن الدعاء، فلو كان غير نافع لما أرشد إلى ذلك.

وقد رتب السياق الإجابة على الدعاء بـ «إذا» الشرطية، والتي تدل على التحقيق ولها جواب مقدر، والجواب يترتب على الشرط وجودًا وعدمًا.

فيها: وعد صريح بإجابة الدعاء، والله لا يخلف الميعاد، فلو لم يكن له أثر لكان من العبث الوعد به، حاشا كلام الله من ذلك.

٣- قال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾[٢].

فهذه الآية صريحة الدلالة على أن دعاء المضطر هو السبب في إجابة

---

[١] [البقرة: ١٨٦].

[٢] [النمل: ٦٢].

سؤاله وكشف السوء عنه.

٤- وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾(١).

فيها: النهى عن الحسد وتمنى زوال نعمة الغير، وأمر بسؤاله من فضله؛ فدل على أنه بسبب السؤال يُعطي مثل ما أعطى بذلك الذي فضله، وربما يعطي أكثر.

فلو كان الدعاء لا أثر له في إعطاء السائل ما تمناه وسأله، للزم أن يكون عبثًا، وحاشا كلام الله من ذلك.

هذا وقد وردت آيات كثيرة جدًّا، ذكر الله فيها ما وقع لأنبيائه وأوليائه وعباده الصالحين من المحن والبلايا والشدائد، فاستغاثوا بربهم، وتضرعوا له، وابتهلوا إليه؛ فاستجاب الله لهم وكشف عنهم، ومن ذلك:

١- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴾(٢).

وقال: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمْ

(١) [النساء: **٣٢**].

(٢) [الصافات: **٧٥**].

كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[(١)].

٢- وقال: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[(٢)].

٣- وقال: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[(٣)].

٤- وقال: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[(٤)].

فهذه آيات واضحات كوضوح الشمس في رابعة النهار على أن الاستغاثة والدعاء والنداء هي السبب في الاستجابة.

والمقصود من هذا المختصر، بيان أنه صريح في ترتيب الجزاء بالخير والشر والأحكام الكونية على الأسباب.

---

(١) [الأنبياء: ٧٦ – ٧٧].

(٢) [الأنبياء: ٨٣].

(٣) [الأنفال: ٩].

(٤) [الأنبياء: ٨٧ – ٨٨].

وكذا في السنة كثير، ما يدل على فعله ﷺ للدعاء، وقوله ﷺ في الترغيب فيه، ومن ذلك:

١- حديث أنس قال: «بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ يَوْمَ الجُمُعَةِ، إِذْ قَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلَكَ الكُرَاعُ، وَهَلَكَ الشَّاءُ [هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ]، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَسْقِيَنَا، فَمَدَّ يَدَيْهِ وَدَعَا ...»[(١)].

٢- حديث أبي هريرة - المشهور بحديث النزول - مشهور مستفيض متواتر - قال رسول الله: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتعالى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»[(٢)].

ومن جملة ما يستدل به، دلالة الفطرة: إذا وقع الإنسان في شدة وضيق، تحركت فطرته ومشاعره، واتجه إلى الله يدعوه لكشف ضره؛ فالذي يحركها هو الله الذي قدر فهدى، واقرأ معي في يونس: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (**٩٣٢**)، ومسلم (**٨٩٧**).

(٢) أخرجه البخاري (**١١٤٥**)، ومسلم (**٧٥٨**).

(٣) [يونس: **١٢**].

وفي الزمر: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾(١).

وفي فصلت: ﴿ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ﴾(٢).

وفي النحل: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴾(٣).

وفي الإسراء: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾(٤)، ... إلخ(٥).

---

(١) [الزمر: ٨].

(٢) [فصلت: ٥١].

(٣) [النحل: ٥٣].

(٤) [الإسراء: ٦٧].

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ١٩٣: ١٩٦)، واقتضاء الصراط المستقيم، ومنهاج السنة (٣/ ٢١٣، ٥/ ٣٦٢)، وزاد المعاد (٣/ ٤٨١)، وشفاء العليل (١/ ٢٨)، والجواب الكافي (١/ ٢٢٨)، والفروع لابن مفلح (٦/ ١٧٨).

[المسألة الثالثة: المَلَائِكَة]

خلق الْخلق بمشيئته عَن[1] غير حَاجَةٍ كَانَت بِهِ، فخلق[2] الْمَلاَئِكَة جَمِيعًا لطاعته، وجبلهم[3] على عِبَادَته، فَمنهمْ مَلاَئِكَةٌ بقدرته للعرش حاملون، وَطَائِفَة مِنْهُم حول عَرْشه يُسبحون، وَآخَرُونَ بِحَمْدِهِ يُقدِّسون، وَاصْطفي مِنْهُم رسلاً إِلَى رسله، وَبَعْض مدبرون لأَمره.

ـ الشرح ـ

الملائكة خلق كالإنس والجن، وهو خلق كريم، كله طهر وصفاء ونقاء، يعبدون الله حق العبادة، ويقومون بتنفيذ ما يأمرهم به، ولا يعصون الله أبدًا.

الإيمان بالملائكة أصل من أصول الإيمان: قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾[4].

الملائكة خلقت من نور، وكفى:

---

(1) هكذا في الأصل، والمطبوع، وفي (ج): [من].

(2) في المطبوع [وخلق].

(3) قال في هامش الأصل «أي طبعهم وخلقهم».

(4) [البقرة: ٢٨٥].

قال ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»[1].

وبهذا نبتعد عن أي تكهنات من خيالات العقل المجرد فيما لا يفيد، ولا طائل من ورائه إلا الجنون؛ ذلك: لأنه مسكوت عنه، والمسكوت عنه لم نكلف بالبحث عنه.

س: متى خلقت الملائكة؟

ج/ لم يخبرنا اللهُ بذلك نصًّا، ولكننا نأخذ بالمفهوم من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2]، أنهم خلقوا قبل آدم، وبقرينة أمرهم بالسجود له، قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[3]، وهنا نقف ولا نتجاوز الحد.

الملائكة خلقٌ عظيمُ الخلقةِ:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[4].

---

[1] أخرجه مسلم (٢٩٩٦) من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

[2] [البقرة: ٣٠].

[3] [الحجر: ٢٩].

[4] [التحريم: ٦].

•ومن السنة:

١- عن مَسْرُوقٍ، قَالَ: كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ، ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي، وَلَا تُعْجِلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾[1]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[2]؟ فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عليها غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»[3].

٢- وعند «مسلم» أيضًا عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: فَأَيْنَ قَوْلُهُ؟ ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾[4] قَالَتْ: «إِنَّمَا ذَاكَ جِبْرِيلُ ﷺ كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرِّجَالِ، وَإِنَّهُ

---

[1] [التكوير: ٢٣].

[2] [النجم: ١٣].

[3] أخرجه مسلم (١٧٧).

[4] [النجم: ٨ – ١٠].

أَتَاهُ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ فَسَدَّ أُفُقَ السَّمَاءِ»[١].

٣- وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: «رَأَى محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِبْرِيلَ، لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ»[٢].

٤- وفي حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ»[٣].

الملائكة خلق ذو منظر حسن، لهم أجنحة مثنى وثلاث ورباع وأكثر، متفاوتون في الخلق والمقدار.

١- قال تعالى: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴾[٤]، ذو مرةٍ: ذو منظر حسن. قاله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقتادة، وغيرهما[٥].

وبذلك جرت فطرت الإنسان بوصف كل جميل حسن المنظر بالمَلك، كما جرت فطرهم بوصف كل قبيح ومنظر سيء بالشيطان، وقرينة ذلك في سورة يوسف، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ

---

[١] أخرجه مسلم (١٧٧).

[٢] أخرجه البخاري (٤٨٥٦، ٤٨٥٧).

[٣] أخرجه أبو داود (٤٧٢٧) بإسناد حسن.

[٤] [النجم: ٥ - ٦].

[٥] انظر: تفسير البغوي (٧/ ٤٠٠).

﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾(١).

٢- قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢).

وسبق في حديث البخاري عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – ستمائة جناح.

٣- قال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾(٣).

فيها: أن لهم عند ربهم مقامات متفاوتة معلومة.

وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾(٤).

فيها: أن جبريل له مكانة ومنزلة عالية رفيعة عند الله تبارك وتعالى.

وعن رفاعة بن رافع قال: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ، قَالَ: «مِنْ أَفْضَلِ المُسْلِمِينَ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا»، قَالَ: «وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ المَلَائِكَةِ»(٥).

---

(١) [يوسف: ٣١].

(٢) [فاطر: ١].

(٣) [الصافات: ١٦٤ – ١٦٦].

(٤) [التكوير: ١٩ – ٢٠].

(٥) أخرجه البخاري (٣٩٩٢).

فيه: فضيلة الملائكة الذين شهدوا بدرًا.

الملائكة خلقٌ كثير لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم وهو الله القائل: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[1]، لا يأكلون ولا يشربون، ولا يوصفون بالذكورة والأنوثة، ولا يتناكحون، وهم لعبادة ربهم وطاعته قائمون، لا يملون ولا يتعبون.

ومن حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا»[2].

وفي الصحيحين[3] من حديث أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما (في حديث المعراج الطويل) وفيه: «... ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرُ مَا عليهمْ ...»، وفي سياق[4] من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الإسراء والمعراج: وفيه: «... فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ

---

(1) [المدثر: ٣١].

(2) أخرجه مسلم (٧٠٩٣).

(3) أخرجه البخاري (٣٢٠٧، ٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٤) واللفظ له.

(4) أخرجه مسلم (١٦٢).

يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إليهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى».

ومنهم الموكل بالنطفة، وبكتابة الأعمال، وبحفظ الإنسان، ومتابعة مجالس الذكر، وغير ذلك، والأخبار فيها صحيحة.

الملائكة يقومون بعبادة الله وطاعته وتنفيذ أوامره، بلا كلل ولا ملل.

قال تعالى: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾[1]، أي: لا يضعفون.

وقال: ﴿ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴾[2]، لا يملون.

س: هل ينامون أولا ينامون؟

ج: الله أعلم، هذا أولًا، وإذا قلنا بظاهر النص، يمكن القول بأنهم لا ينامون، كما هو ظاهر من السياقات ودلالتها؛ ولكن لا نجزم بذلك؛ لأنه غيبٌ، فلا نتكلم فيه إلا بما ورد صحيحًا، ولا يجوز فيه الاستنباط بالعقل المجرد؛ وذلك لأن السيوطي استدل بما ذكرتُ على أنهم لا ينامون، ونقل مثله عن الفخر الرازي[3].

(١) [الأنبياء: ٢٠].

(٢) [فصلت: ٣٨].

(٣) انظر الحبائك في أخبار الملائك (ص: ٢٦٤).

الملائكة ينزلون إلى الأرض بأمر الله؛ لتنفيذ مهمات نيطت بهم، ووكلت إليهم.

قال تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾[1].

وقال: ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾[2].

وأُحَذِّرُ من السؤال بـ لمَ؟ وكيف؟

الملائكة لا يأكلون ولا يشربون.

قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ﴾[3].

وقال: ﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾[4].

---

(1) [مريم: ٦٤].

(2) [القدر: ٣ – ٤].

(3) [الذاريات: ٢٤ – ٢٨].

(4) [هود: ٧٠].

الملائكة لا يوصفون بالذكورة والأنوثة.

قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[(١)].

وقال: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾[(٢)].

وهذا؛ وقد نقل السيوطي عن الفخر الرازي: أن العلماء اتفقوا على أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون[(٣)].

للملائكة أسماء، ونحن لا نعرف من أسمائهم إلا ما ورد به النص، وهم قليل.

١-٢ جبريل، وميكائيل عليهما السلام:

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا

---

(١) [الصافات: ١٤٩ – ١٥٤].

(٢) [الزخرف: ١٩].

(٣) انظر: الحبائك في أخبار الملائك (ص: ٢٦٤).

لِلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴾[١].

وجبريل هو الروح الأمين في قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴾[٢].

٣- إسرافيل عليه السلام، وهو الموكل بالنفخ في الصور.

ففي حديث عائشة مرفوعًا: «اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ...»[٣].

٤- مالك عليه السلام، خازن النار.

قال تعالى: ﴿ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾[٤].

٥- رضوان عليه السلام، خازن الجنة[٥].

وعند «مسلم» من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ

---

[١] [البقرة: ٩٧ – ٩٨].

[٢] [الشعراء: ١٩٣ – ١٩٤].

[٣] أخرجه مسلم (٧٧٠).

[٤] [الزخرف: ٧٧].

[٥] ورد في أحاديث لا تخلو من ضعف، ومنها الضعيف جدًا، ومنها الموضوع.

أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»[١].

٦-٧: منكر، ونكير عليهما السلام، في شأن عذاب القبر.

٨-٩: هاروت، وماروت، قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[٢]، يكتفي بمعرفة أمرهما بما دلت عليه الآية، بعيدًا عن تلك الأساطير التي نسجت حولهما في كتب التاريخ وبعض التفاسير، ولا يصح في ذلك شيء.

١٠- ملك الموت: لا يعرف له اسم من وجهٍ صحيح لا مرفوعًا ولا موقوفًا، وما اشتهر به على الألسنة بأنه «عزرائيل»، غير مقبول[٣].

١١- رقيب، وعتيد، قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[٤].

وهما وصفان للملكين الذين يسجلان أعمال العباد، والمراد أنهما

---

[١] صحيح مسلم (١٩٧).

[٢] [البقرة: ١٠٢].

[٣] انظره في كتابي: «الدرر الناضرة في الفتاوى المعاصرة» (ص: ٣٤) حاشية.

[٤] [ق: ١٨].

حاضران شاهدان لا يغيبان عن العبد، وليس المراد أنهما اسمان للملكين على الصحيح.

س: هل الملائكة يموتون؟

ج: أولًا: الله أعلم.

ثانيًا: قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾(١).

وقال: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾(٢).

وقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾(٣).

فظاهر هذه الآيات يرشد بأنهم يموتون كالإنس والجن، وكفى، والله أعلم.

س: هل يتشكلون بغير خلقتهم؟

ج: لقد أعطى الله الملائكة القدرة على أن يتشكلوا بغير أشكالهم:

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا

---

(١) [الزمر: ٦٨].

(٢) [غافر: ١٦].

(٣) [القصص: ٨٨].

﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾(1).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ٧٦ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ٧٧ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓ...﴾(2).

بدت لهم الملائكة في صورة شباب حسان الوجوه امتحانًا واختبارًا، حتى قامت عليهم الحجة، وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر(3).

وفي الصحيح من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه المشهور قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ علينا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عليه أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ...»(4).

---

(1) [مريم ١٦ – ١٩].

(2) [هود: ٧٦ – ٧٨].

(3) وانظر: تفسير الطبري، وابن كثير، وغيرهما.

(4) أخرجه مسلم (٨).

وكذا من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِي، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ...»[1].

---

(1) أخرجه البخاري (٤٧٧٧) واللفظ له، ومسلم (٩).

وفي سياق لمسلم (١٠): ... فجاء رجلٌ فجلس عند ركبتيه، فقال: ... فذكره.

وأخرجه مسلم (١٦٧)، والترمذي (٣٦٤٩) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «عُرِضَ على الأنبياءُ ... ورأيتُ جبريل عليه السلام، فإذا أقربُ من رأيتُ شبهًا دحيةُ (ابن خليفة) الكلبي». صحابي جليل مات في خلافة معاوية، روى له أبوداود].

[المسألة الرابعة: آدم عليه السَّلَام]

ثُمَّ خَلَقَ آدم بِيَدِهِ، وَأَسْكَنَهُ جنته، وَقبل ذَلِك للأَرْض خلقه، وَنَهَاهُ عَن شَجَرَةٍ [٣٤/أ] قد نَفَذَ قَضَاؤُهُ عليه بأكلها، ثمَّ ابتلاه بِمَا نَهَاهُ عَنهُ مِنْهَا، ثمَّ سلَّط عليه عدوَّهُ فأغواه عليها، وَجعل أكله لَهَا[١] إِلَى الأَرْض سَببًا؛ فَمَا وجد إِلَى ترك أكلهَا سَبِيلاً، وَلَا عَنهُ لَهَا مذهبًا.

ـ الشرح ـ

أولًا: قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٢].

أي: في كونه خلقه -أي: عيسى- من غير أب كآدم، بل أمر آدم أغرب؛ فإنه كان لا أب له، ولا أم له؛ لأن الله خلقه من تراب، فكيف تتخذون عيسى إلهًا، وأنتم تقرُّون أن آدم بشر مخلوق؟، فكذلك عيسى، بل هو أولى، ثم قال له: كن فيكون، أي: كن بشرًا فكان بشرًا.

بهذا يجب أن يعتقد المسلم، لا كما أُمليَ عليه من الكفرة الفجرة، أن أصل الإنسان قرد، كما كذب «داروين» في وجهة نظره الخرفة، ثم خرج علينا اليوم خَرِفٌ آخر أبطل نظرية «داروين»، وزعم أن أصل الإنسان

---

(١) زاد في (ج): [إلى الهبوط].

(٢) [آل عمران: ٥٩].

إنسان؛ فإن قصد كما قصد سالفه وهذا هو الأقرب؛ فهو باطل وهذيان آخر، لنص كلام الله تعالى الفرد الصمد الذي خلق «داروين» وهذا الآخر.

وإن قصد أن أصلنا من أبوين؛ فهو ما نص عليه القرآن في غير موضع.

قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾[(١)].

وقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَ ﴾[(٣)].

---

(١) [الأعراف: ٢٧].

(٢) [مريم: ٥٨].

(٣) [يس: ٦٠].

٭ مسألة في ذكر قصة آدم من خلال ذكر الآيات فقط:

قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1].

فيها:

١- النهي عن القرب من المحظور.

٢- سدٌّ للذريعة، وقطع للوسيلة؛ ولذلك خلق الله في الإنسان قدرة واختيارًا للانقياد أو للإعراض.

٣- نهاهما عن القرب من المحظور - الشجرة - لما يترتب على ذلك من الظلم لأنفسهما بارتكاب المخالفة، أو المعصية.

وقال تعالى: ﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا

---

[1] [البقرة: ٣٥- ٣٧].

بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ... ﴾[1].

فيها:

١- أن الشيطان عدو الإنسان، جعل له المحظور مرغوبًا، وهذا من سبله في الإغواء.

٢- ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ تُساوي قوله الآخر، ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾.

٣- من سبله تزيين الباطل في صورة حق، وترغيبه فيه، ويُقْسِم على ذلك أنه من الناصحين؛ ليقع بفريسته في وَهْدَةِ الذنب وألمه، ثم يظهر كذبه وضلاله بعدما تسبب في هبوطهما من الرتبة العلية -رتبة الطاعة والكرامة- إلى الرتبة الدنية -رتبة المعصية والإهانة-، وذلك بما خدعهما من اليمين الكاذبة؛ وهذا هو سبيل شياطين الجن والإنس في طريق الإغراء والإضلال، ولذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[2].

---

[1] [الأعراف ١٩- ٢٢].

[2] [فاطر: ٦].

وقال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٢ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾(١).

فيها:

١- عتاب من الله تعالى لهما وتوبيخ، حيث خالفا أمر الله، فأكلا من الشجرة المحظورة بعينها، ولم يحذرا ما حذرهما منه، وهو ظاهر العداوة لا يخفيها.

٢- اعترف آدم وزوجته بالذنب، وأنهما ظلما أنفسهما مما وقع منهما من المخالفة، ونرجع إلى سورة البقرة حيث قال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ١١٧ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ١١٩ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ١٢٠ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ

(١) [الأعراف ٢٢- ٢٣].

(٢) [البقرة: ٣٧].

وَهَدَىٰ ﴾[1].

فيها:

١- أن الشيطان سمى الشجرة المحظورة بشجرة الخلد، أي: التي من أكل منها لم يمت أبدًا، وكذلك المُلك الذي لا يزول ولا ينقص، وكان ذلك كذبًا من إبليس؛ ليستدرجهما إلى معصية الله، فأوقعهما في المحظور؛ فأكلا منها.

٢- اعترفَا بالذنب وظلم النفس فور الإلمام بالذنب، وطلبَا المغفرة من الله والرحمة، فاستجاب الله دعوتهما وتوبتهما.

والمقصود:

١- أن الله خلق فسوَّى وقدَّر فهدى.

٢- أن الله خلق طرق الخير ودعا إليها، وخلق طرق الشر وحذر منها؛ ليُظهر إرادة الإنسان وقدرته واختياره، فهو بين «افعل ولا تفعل»، وقد شرَّع الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فالذي قدَّر وقضى بشيء لا يعمله المخلوق هو الذي حذَّر من الشر، ورغَّب في الخير، وهذا سر الله في خلقه، فلا تقول: لم؟ ولا كيف؟

كما سبق ذكر ذلك عن جماعة من السلف الصالح أهل السنة والجماعة في مطلع المسألة الثانية القضاء والقدر.

---

[1] [طه ١١٧- ١٢٢].

وبالنظر إلى ما ذكرتُ من الآيات، ومسألة القضاء والقدر، يظهر لنا كلام الإمام المزني رحمة الله، وفي مطلع كلامه مسألة مهمة قال: «**ثم خلق آدم بيده** ...».

فيه: إثبات اليد لله تعالى على حقيقتها من غير تشبيه ولا تعطيل، وليست بمعنى القدرة كما تقول المعتزلة والأشاعرة وغيرهما ممن ضلوا عن سبيل الحق أهل السنة والجماعة.

مسألة في المحاجة بين موسى وآدم عليهما السلام.

سبب ذلك، الإشكال المتوهم في الحديث الوارد في المسألة من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو حديث صحيح متفق عليه، والحديث ورد من ستة طرق صحيحة.

قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «احْتَجَّ (حَاجَّ) (تحاج) (التقى) آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ (أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ) الَّذِي (أَغْوَيْتَ النَّاسَ وَأَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ) أَخْرَجَتْكَ (أَخْرَجْتَ النَّاسَ مِنَ الجَنَّةِ بِذَنْبِكَ وَأَشْقَيْتَهُمْ) خَطِيئَتُكَ مِنَ الجَنَّةِ، (آنْتَ الَّذِي أَشْقَيْتَ النَّاسَ وَأَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الجَنَّةِ؟).

فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي (أَنْتَ الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ) اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالاَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ، (وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ التَّوْرَاةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَوَجَدْتَهَا كُتِبَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي)، (وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ) ثُمَّ تَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ (كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي - أَوْ قَدَّرَهُ...) قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ (بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟)».

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى مَرَّتَيْنِ، (ثلاثًا)»[1].

---

[1] أخرجه البخاري (٣٤٠٩، ٧٥١٥)، ومسلم (٢٦٥٢) من طريق حميد بن عبد الرحمن.

وأخرجه البخاري (٤٧٣٧)، ومسلم (٢٦٥٢) من طريق محمد بن سيرين.

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ عِنْدَ رَبِّهِمَا، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، قَالَ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلاَئِكَتَهُ، وَأَسْكَنَكَ فِي جَنَّتِهِ، ثُمَّ أَهْبَطْتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَى الْأَرْضِ، فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ وَأَعْطَاكَ الْأَلْوَاحَ فِيهَا تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا، فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ.

قَالَ مُوسَى: بِأَرْبَعِينَ عَامًا.

قَالَ آدَمُ: فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَفَتَلُومُنِي عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلاً كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟».

وأخرجه البخاري (٤٧٣٨) ومسلم (٢٦٥٢) من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن.

وأخرجه البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢) «تعليقًا» من طريق طاوس.

وأخرجه البخاري (٦٦١٤) تعليقًا، ومسلم (٢٦٥٢) من طريق عبد الرحمن بن هرمز الأعرج.

وأخرجه مسلم (٢٦٥٢) من طريق همام بن منبه.

ستتهم (حميد، وابن سيرين، وطاوس، والأعرج، وهمام) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ به.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى»[1].

هذا هو الحديث بألفاظه، والتي أحدثت إشكالات عند بعض الناظرين فيها من أهل السنة والجماعة، ومن الفرق الضالة كالمعتزلة، والجهمية، والقدرية، والجبرية.

وهاك البيان من وجهين:

الوجه الأول: يجوز الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي وهم المعتزلة القدرية، والجهمية الجبرية، ومن نحا نحوهم من الصوفية وغيرهم، جعلوا هذا الحديث عمدة لهم في رفع الملام عن العصاة المخالفين لأمر الله ورسوله ﷺ.

ومن المعتزلة القدرية الغلاة كالجبائي وغيره، ردُّوا هذا الخبر وأنكروه وكذبوه، لمخالفة أصلهم الذي أصَّلوه، وهو نفي القدر السابق.

فرع: القدرية فرقة ضالة عن أصول معتقد أهل السنة والجماعة،

---

(1) أخرجه مسلم (٢٦٥٢) من طريق يزيد بين هرمز، وعبد الرحمن الأعرج قالا: سمعنا أبا هريرة قال: فذكره.

وجاء من طريق همام بن منبه عند أحمد (٢/ ٣١٤) ومن طريق أبي صالح عند الترمذي (٢٢١٧)، ومن طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عند الفريابي في القدر (١١٣- ١١٤)، وابن منده في الرد على الجهمية (٧١)، ومن طريق حميد بن عبد الرحمن عند اللالكائي (٢/ ٦٤٢) أربعتهم عن أبي هريرة رضي الله عنه، فلم ينفرد مسلم به.

منهم: القدرية الغلاة، وهم الذين ينكرون سَبْق علم الله بالأشياء قبل وجودها، وأن الله لم يقدر الأمور أزلًا، ولم يتقدم علمه بها، وإنما يأتنِفُها علمًا حال وقوعها، ومنهم: من يقرُّون بتقدم علم الله تعالى لأفعال العباد قبل وقوعها، لكنهم خالفوا السلف الصالح أهل السنة والجماعة في أن أفعال العباد ليست مخلوقة لله ولا مقدورة له، وأن العباد هم المُوجِدُون والخالقون لأعمالهم وأفعالهم استقلالًا وغير ذلك.

ثم بعد ذلك ظهرت المعتزلة من الفرق الضالة كذلك، فتبنت هذه البدعة ونشرتها، وكذا تعتقد نفي صفات الله تعالى وعدم إثباتها، وأن صاحب الكبيرة في الدنيا في منزلة بين المنزلتين، وفي الآخرة خالدٌ مخلدٌ في النار، وغير ذلك.

وعكسُ القدريةِ الجبرية: فهم يعتقدون نفي الفعل عن العبد، وأن فاعله هو الله؛ ولكن الإنسان لا قدرة ولا مشيئة له ولا اختيار، فهو مجبور على الكفر والإيمان، والطاعة والمعصية، فهو كالريشة في مهب الريح، وهم المرجئة الجهمية، ومن نحا نحوهم من الصوفية وغيرهم.

هذه إشارة عاجلة لفهم الموضوع والإلمام به، وتفصيله في محله.

وهذا القول الأول، لا ريب في بطلانه؛ لأنه مبني على فهم فاسد منفرد بتحكيم العقل في النقل، ومخالف لإجماع أهل السنة والجماعة، وهذا

يدل على ردِّه وفساده، وعدم اعتباره، هذا أولًا[١].

وثانيًا: أن الأمة قد أجمعت على جواز لوم العاصي ما لم يتب[٢].

وثالثًا: أنهم خلفٌ رديء لسلفهم المشركين أعداء الرسل؛ فقد احتجوا بالقدر على شركهم وضلالهم، قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ﴾[٣]، فأبطل الله عز وجل حجتهم هذه بقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ﴾[٤]، وكذا لشيخهم وإمامهم العدو الأحقر إبليس حيث احتج به كذلك ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٥].

ورابعًا: لو كان الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي سائغًا ومقبولًا لَمَا كان هناك حاجة إلى إرسال الرسل؛ لأنهم إنما أرسلوا لأجل إقامة الحجة على الناس، قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ

---

[١] انظر: منهاج السنة لابن تيمية (٣/ ٥٥)، ومجموع الفتاوى له (٨/ ١٧٩).

[٢] انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٨/ ١٥).

[٣] [الأنعام ١٤٨].

[٤] [الأنعام ١٤٨].

[٥] [الحجر: ٣٩].

لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[١].

وخامسًا: أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالعمل، ونهاهم عن تركه اتكالًا على ما سبق به الكتاب، كما في حديث عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه في الصحيحين مرفوعًا، «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ العَمَلَ؟ قَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ...»[٢].

سبق ذكره في المسألة الثانية، وبهذا يظهر لنا أن الاحتجاج بالقدر على المعاصي والمصائب مخاصمة لله تعالى، واحتجاج من العبد المرذول على الربِّ العزيز الجبار، وهذا جهل بالله تعالى وحكمته في شرعه.

وسادسًا: نؤكد دحض هذا القول بجوار ما ذكرتُ بنظير العقل، أن المحتج بالقدر على المعاصي والمصائب لو اعتدى عليه معتد، ثم احتج عليه بالقدر؛ فإنه لا يصل من هذه الحجة حتمًا، وهذا تناقض يدل على فساد معتقده، فيكون متبعًا لهواه؛ لأن القدر إن كان حجة للعاصي على معصيته، فهو أيضًا حجة للمعتدي الجاني، وهذا ليس بأولى من هذا.

---

[١] [النساء ١٦٥].

[٢] «صحيح»، وتقدم (ص: ١٨٨).

ولذا يقول ابن تيمية رحمه الله: شر الخلق من يحتج بالقدر لنفسه، ولا يراه حجة لغيره، يستند إليه في الذنوب والمعائب، ولا يطمئن إليه في المصائب، كما قال بعض العلماء: أنت عند الطاعة قدري، وعند المعصية جبري، أيُّ مذهبٍ وافقَ هواك تمذهبت به ... -إلى أن قال:- قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾.

قال بعض السلف (لقمة بن قيس، وغيره): هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويُسَلِّم...، وقد ذكر تعالى عن آدم عليه السلام أنه لما فعل ما فعل قال: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ وعن إبليس أنه قال: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ فمن تاب أشبه أباه آدم، ومن أصر واحتج بالقدر أشبه إبليس[١].

وقال ابن قدامة رحمه الله (ت:٦٢٠هـ) في لمعة الاعتقاد: ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه، بل يجب أن نؤمن، ونعلم أن لله علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل، قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[٢].

---

[١] انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ١٠٧)، وشفاء العليل لابن القيم (١/ ٥٨).

[٢] [النساء: ١٦٥].

الوجه الثاني: القطع بعدم جواز الاحتجاج بالقدر على المعاصي والمصائب، وهو ما عليه أهل السنة والجماعة قاطبة؛ ولكنهم اختلفوا في تفسير هذا الحديث -بعد قبوله والإيمان به والتسليم-، على أقوال:

القول الأول: أن موسى عليه السلام لَام آدم عليه السلام على المصيبة التي حصلت له وذريته، وهي الإخراج من الجنة، والنزول إلى الأرض دار الابتلاء والمحنة، وذلك بسبب فعله وخطيئته، وذِكْرُ الذنب في السياق، تنبيهًا على سبب المصيبة والمحنة التي نالت الذرية؛ فاحتج عليه آدم بالقدر على المصيبة، والتقدير: "أتلومني على مصيبة قُدِّرت عليَّ وعليكم قبل خلقي بكذا سنة"، وبهذا قال ابن أبي العز الحنفي، وابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، وابن رجب، وغيرهم.

قال ابن تيمية رحمه الله: لم يكن لومه له لأجل حق الله في الذنب؛ فإنَّ آدم كان قد تاب من الذنب كما قال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِ ﴾[1]، وقال: ﴿ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴾[2]، وموسى عليه السلام -ومن هو دون موسى- يعلم أنه بعد التوبة والمغفرة لا يبقى ملام على الذنب، وآدم أعلم بالله من أن يحتج بالقدر على الذنب، وموسى أعلم بالله من أن يقبل هذه الحجة؛ فإنَّ هذه لو كانت حجة على الذنب

[1] [البقرة: ٣٧].

[2] [طه: ١٢].

لكانت حجة لإبليس عدو آدم، وحجة لفرعون عدو موسى، وحجة لكل كافر وفاجر، وبطل أمر الله ونهيه...[(١)].

وقال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ): لما التقى آدم وموسى عليهما السلام عاتب موسى آدم على إخراجه نفسه وذريته من الجنة؛ فاحتج آدم بالقدر السابق، والاحتجاج بالقدر على المصائب حسن كما قال ﷺ: «إِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ»[(٢)]. [(٣)]

الثاني: أن موسى عليه السلام لَام آدم عليه السلام على المعصية؛ لكونها سبب المصيبة، لا لكونها معصية فاحتج بالقدر على المعصية؛ لكونه قد تاب منها، والاحتجاج بالقدر على المعصية بعد وقوعها والتوبة منها وترك معاودتها لا محذور فيه، وهذا قولٌ آخر لابن القيم، وبه قال ابن الوزير، وعزاه لأهل السنة.

قال ابن القيم: وقد يتوجه جواب آخر، وهو أن الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع في موضع ويضر في موضع، فينفع إذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه، وترك معاودته، كما فعل آدم...، ووجهه في قوله: «أتلومني

---

(١) انظر: منهاج السنة (٣/ ٧٨- ٨١)، ومجموع الفتاوى (٨/ ١٠٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر: لطائف المعارف (ص: ٦٢).

على أن عملت عملاً كان مكتوبًا على قبل أن أخلق»؛ فإذا أذنب الرجل ذنبًا ثم تاب منه توبة، وزال أمره حتى كأن لم يكن؛ فأنَّبه مُؤَنِبٌ عليه ولامه، حسن منه أن يحتج بالقدر بعد ذلك...، وأما الموضع الذي يضر الاحتجاج به ففي الحال والمستقبل؛ بأن يرتكب فعلاً محرمًا، أو يترك واجبًا، فيلومه عليه لائم؛ فيحتج بالقدر على إقامته عليه وإصراره، فيبطل بالاحتجاج به حقًا ويرتكب باطلاً، كما احتج به المصرُّون على شركهم وعبادتهم غير الله فقالوا: ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ﴾[1]، ﴿ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ﴾[2]...، ونكتة المسألة أن اللوم إذا ارتفع صح الاحتجاج بالقدر، وإذا كان اللوم واقعًا فالاحتجاج بالقدر باطل[3].

القول الثالث: أن ذلك مخصوص بآدم عليه السلام، وكانت له الحجة؛ لأن موسى عليه السلام لامه على المعصية والخطيئة بعد أن تاب منها، فحسُنَ من آدم عليه السلام أن يحتج بالقدر على فعل المعصية؛ لأنه قد تِيب عليه منها كما قال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ

---

(1) [الأنعام: ١٤٨].

(2) [الزخرف: ٢٠].

(3) انظر: شفاء العليل (١/ ٥٦، ٥٧) بتصرف واختصار.

عَلَيۡهِ ﴾[١]، وهذا قول ابن عبد البر، ونقله عن ابن وهب، عن مالك، عن يحي بن سعيدٍ، وكذا غيرهم.

قال ابن عبد البر رحمه الله: وهذا غير جائز أن يقولَه اليوم أحدٌ إذا أتى ما نهاه الله عنه ويحتج بمثل هذا، فيقول: "أتلومني على أن قتلت أو زنيت أو سرقت"، وذلك قد سبق في علم الله وقدَّره عليَّ قبل أن أُخْلَقَ، هذا ما لا يسوغ لأحد أن يقولَه[٢].

والفرق بين هذا القول والذي قبله أن هذا القول يجعل لوم موسى عليه السلام لآدم على المعصية لذات المعصية، بينما القول الثاني يجعل لوم موسى لآدم على المعصية من أجل أنها سبب المصيبة لا من أجل كونها معصية[٣].

وقال ابن القيم: إن هذا القول وإن كان أقرب إلا أنه لا يصح لثلاثة أوجه:

١- أن آدم لم يذكر ذلك الوجه، ولا جعله حجة لموسى، ولم يقل:

---

[١] [البقرة: ٣٧].

[٢] انظر: التمهيد (١٨/ ١٥)، والمفهم للقرطبي (٦/ ٦٦٨)، والمنهاج شرح مسلم للنووي (١٦/ ٤٤١، ٤٤٢)، ومجموع الفتاوي (٨/ ٣٠٥)، ودرء التعارض (٨/ ٤١٨)، وشفاء العليل (١/ ٤٩)، وفتح الباري (١١/ ٥١٠).

[٣] انظر: شفاء العليل (١/ ٤٩).

«أتلومني على ذنب قد تبت منه».

٢- أن موسى أعرف بالله، وبأمره، ودينه، من أن يلوم على ذنب قد أخبره سبحانه أنه قد تاب على فاعله، واجتباه بعده وهداه؛ فإن هذا لا يجوز لآحاد المؤمنين أن يفعله، فضلاً عن كليم الرحمن.

٣- أن هذا يستلزم إلغاء ما علق به النبي ﷺ وجه الحجة، واعتبار ما ألغاه، فلا يلتفت إليه[1].

فيبقى القول الأول والثاني بتعين حمل الحديث عليهما.

قال ابن أبي العز رحمه الله: فإن قيل: فما تقولون في احتجاج آدم على موسى بالقدر؟ ...

قيل: نتلقاه بالقبول والسمع والطاعة، لصحته عن رسول الله ﷺ، ولا نتلقاه بالردِّ والتكذيب لراويه، كما فعلت القدرية، ولا بالتأويلات الباردة؛ بل الصحيح أن آدم لم يحتج بالقضاء والقدر على الذنب، وهو كان أعلم بربه وذنبه، بل آحاد بنيه من المؤمنين لا يحتج بالقدر، فإنه باطل، وموسى عليه السلام كان أعلم بأبيه وبذنبه من أن يلوم آدم على ذنب قد تاب منه وتاب الله عليه واجتباه وهداه، وإنما وقع اللوم على المصيبة التي أخرجت أولاده من الجنة، فاحتج آدم بالقدر على المصيبة، لا على الخطيئة،

---

[1] انظر: شفاء العليل (١/ ٤٩).

وانظر: مجموع الفتاوى (٨/ ١٠٨، ١٧٨، ٣٠٥)، ودرء التعارض (٨/ ٤١٩).

فإن القدر يحتج به عند المصائب، لا عند المعائب[١].

وقال ابن تيمية: لا يجوز لوم التائب باتفاق المسلمين[٢].

وثمة أقوال أخرى غير مقبولة، وقد وصفها ابن أبي العز الحنفي بالتأويلات الباردة، وهي:

١- أن الحجة توجهت لآدم؛ لأن موسى عليه السلام لَامه في غير دار التكليف - بعد أن مات آدم- ولو لامه في دار التكليف؛ لكانت الحجة لموسى عليه السلام؛ لأن الأحكام حينئذ جارية عليه، وهذا مردود من وجهين:

أحدهما: أن آدم لم يقل له: "لمتني في غير دار التكليف"، وإنما قال: «أتلومني على أمر قُدِّر عليَّ قبل أن أُخلق» فلم يتعرض للدار، وإنما احتج في القدر السابق.

الآخر: أن الله سبحانه وتعالى يلوم الملومين من عباده في غير دار التكليف؛ فيلومهم بعد الموت، ويلومهم يوم القيامة[٣].

٢- أن آدم حج موسى؛ لأن الذنب كان في شريعةٍ، واللوم في شريعةٍ

---

[١] انظر: شرح الطحاوية (ص: **١٠٥**).

[٢] انظر: مجموع الفتاوى (**٨/ ١٧٩**).

[٣] انظر: مجموع الفتاوي (**٨/ ٣٠٥**)، ودرء للتعارض (**٨/ ٤١٨**)، ومنهاج السنة (**٣/ ٨٠**)، وشفاء العليل (**١/ ٤٩**)، وفتح الباري (**١١/ ٥١٦**).

أخرى، وهذا قول مردود؛ لأنه دعوى من غير دليل، ومن أين يُعلم أنه كان في شريعة آدم، أن المخالف يحتج بسابق القدر، وفي شريعة موسى أنه لا يحتج، أو أنه يتوجه له اللوم على المخالف[١].

٣- أن آدم أبٌ، وموسى ابن، وليس للابن أن يلوم أباه، ولذا حجه آدم كما يحج الرجل ابنه، وهذا مردود أيضًا، لبعده عن الحديث الوارد في المسألة، ثم إن الحجة يجب المصير إليها مع الأب كانت أو الابن أو العبد أو السيد، ولو حج الرجل أباه بحق وجب المصير إلى الحجة[٢].

مسألة في وقت هذه المحاجة، وهذا الالتقاء بين آدم وموسى عليهما السلام.

على أقوال:

١- أن ذلك كان في زمان موسى عليه السلام، حيث أحيا الله آدم معجزة له فكلمه.

٢- كشف الله لموسى عن قبر آدم فكلمه.

---

[١] انظر: مجموع الفتاوي (٨/ ٣٠٥)، ودرء التعارض (٨/ ٤١٨)، والمنهاج له (٣/ ٨٠)، وشفاء العليل (١/ ٤٩)، وفتح الباري (١١/ ٥١١).

[٢] انظر: المفهم للقرطبي (٦/ ٦٦٧)، ومجموع الفتاوى (٨/ ٣٠٥)، ودرء التعارض (٨/ ٤١٨) ومنهاج السنة (٣/ ٨٠)، وشفاء العليل (١/ ٤٨)، وفتح الباري (١١/ ٥١١).

٣- إن ذلك لم يقع بعد، وإنما يقع في الآخرة، وأخبر عنه النبي ﷺ بلفظ الحاضر؛ لتحقق وقوعه.

هذا كلُّه اجتهادات لا دليل عليها؛ إذْ لم يرد في أي من طرق هذا الحديث تحديد وقتها، ولا مكانها، ولا كيفيتها، وعلى هذا؛ فالواجب الوقوف عند حدود ما ورد.

قال ابن عبد البر رحمه الله: ذلك عندي لا يحتمل تكييفًا، وإنما فيه التسليم؛ لأنا لم نؤت من جنس هذا العلم إلا قليلاً.

وقال ابن الجوزي رحمه الله: **فإن قال قائل**: كيف اجتمعا ومتى اجتمعا؟ فالجواب: أنه يجب الإيمان بكل ما نخبر به عن الصادق المصدوق وإن لم نطلع على كيفيته ....، وليس هذا بأول خبر يجب علينا الإيمان به، وإن جهلنا معناه ....، ومتى ضاقت الحيل في كشف المشكلات للإحساس لم يبق إلا فرض التسليم[١].

وبهذا جمع بين جهالة الكيفية، ووضوح المعنى-هذا حتى تفهم مراده: «وإن جهلنا معناه»- فاقرأ نصه جيدًا تفهم المراد، وهذا أصل محفوظ عنده وعند سلفه الصالح، وبعده ممن تبعهم رحمهم الله.

---

[١] انظر: التمهيد (١٨/ ١٦)، وكشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٣/ ٣٨٢)، والمفهم للقرطبي (٦/ ٦٦٥)، والمنهاج للنووي (١٦/ ٤٣٩)، وطرح التثريب (٨/ ٢٤٧)، وفتح الباري (١١/ ٥٢٦).

مسألة في وقت الكتابة الواردة في النص، ملخصها وأظهرها:

١- يجوز أن تكون قصة آدم بخصوصها كتبت قبل خلقه بأربعين سنة.

٢- ويجوز أن تكون هذه المدة لأربعين سنة هي مدة لُبْثِهِ طينًا إلى أن نفخت فيه الروح.

٣- ويجوز أن يكون هذا التقدير بعد التقدير الأول السابق بخلق السموات بخمسين ألف سنة :«كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»[1].

٤- ويجوز أن يكون هذا التقدير ما بين إخباره للملائكة بجعله في الأرض خليفة، إلى نفخ الروح في آدم.

٥- ويجوز أن يكون المراد بها كَتْبهِ في التوراة كما في بعض ألفاظه[2].

---

[1] أخرجه مسلم (**٢٦٥٣**).

[2] انظر: معالم السنن للخطابي (٤/ ٢٩٧)، وكشف المشكل من حديث الصحيحين، وشفاء العليل (١/ ٧٣)، والمُعْلِم للمازري (٣/ ٣١٤)، والآداب الشرعية لابن مفلح (١/ ٢٧٧)، والمنهاج للنووي (١٦/ ٤٤٠، ٤٤١)، وفتح الباري (١١/ ٥٠٨).

[المسألة الخامسة: أعمال أهل الجنة والنار]

ثمَّ خلق للجنة من ذُرِيَّته أَهلاً، فهم بأعمالها[١] بمشيئته مُعَامَلُون[٢]، وبِقَدَرِهِ[٣] وبإرادته ينفذون، وَخَلَقَ من ذُرِيَّته للنار أَهلاً، فخلق لَهُم أعينًا لَا يُبصرون بهَا، وآذانًا لَا يسمعُونَ بهَا، وَقُلُوبًا لَا يفقهُونَ بهَا؛ فهم بذلك عَن الْهدى محجوبون، وبأعمال أهل النَّار بسابق قدره يعْملُونَ.

ـ الشرح ـ

أولًا: الجنة هي الدار التي أعدَّها الله عز وجل لأوليائه وأهل طاعته، فيها الجزاء العظيم، والثواب الجزيل، والنعيم الكامل الذي لا يشوبه نقص، ولا يُعكر صفوه كدر، وقد أخبرنا الله ورسوله عما فيها، بما يُحيِّرُ العقل ويذهله، ولا يتصوره بحال، ولذا فرض عليه التسليم المطلق؛ لأنه غيب أخبرنا به الله جل وعلا، فلا مجال لتحكيم العقل فيه، والإيمان بالغيب من غير لِمَ وكيف؟ ركن من أركان الإيمان.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ

---

(١) هكذا في الأصل والمطبوع، وفي (ج): [بأعمالهم].

(٢) هكذا في الأصل، وفي (ج) والمطبوع: [عاملون].

(٣) هكذا في الأصل، وفي(ج) والمطبوع: [وبقدرته].

أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[1].

وقال: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[2]، وغير ذلك من الآيات.

وفي الحديث القدسي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَالَ اللَّهُ: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ ﴾[3].

وفي رواية: ... قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ ﴾[4] ...»[5].

وفي رواية: ... ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ

---

[1] [التوبة: ٧٢].

[2] [النساء: ١٣].

[3] أخرجه البخاري (٣٢٤٤).

[4] [السجدة: ١٧].

[5] أخرجه البخاري (٤٧٧٩).

بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ ...»(١).

والنار: هي الدار التي أعدها الله عز وجل للكافرين، والمكذبين به وبرسله، والمتمردين على شرعه، فيها الخزي الأكبر، والخسران المبين العظيم، وقد أخبرنا الله ورسوله ﷺ عما فيها بما يُحير العقل ويذهله، ولا يتصوره بحال، ولذا فرض عليه التسليم المطلق؛ لأنه غيب أخبرنا به الله ورسوله، فلا مجال لتحكيم العقل فيه، والإيمان بالغيب ركن من أركان الإيمان، من غير لم، ولا كيف؟ قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ﴾(٢).

وقال: ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾(٣)، وغير ذلك من الآيات.

الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان؛ فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلًا منه، وكل يعمل لم قد فُرغ له، وصائر إلى

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٨١).

(٢) [آل عمران: ١٩٢].

(٣) [التوبة: ٦٣].

ما خلق له، والخير والشر مقدران على العباد[1].

قال محمد بن أبي العز الحنفي رحمه الله: اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل أهل السنة على ذلك، حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية، فأنكرت ذلك، وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة!!!، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شَرِيعَةً لِمَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ، وأنه ينبغي أن يفعل كذا، ولا ينبغي له أن يفعل كذا!!، وقاسوه على خلقه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم، فصاروا مع ذلك معطلة!!، وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث؛ لأنها تصير معطلة مددًا متطاولة!!، فردُّوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى، وحرفوا النصوص عن مواضعها، وضلَّلُوا وبدعوا من خالف شريعتهم[2].

ثم ذكر – ابن أبي العز الحنفي – جملة من النصوص الدالة على ما عليه أهل السنة باتفاق،

منها:

١- قوله تعالى عن الجنة: ﴿ **أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾[3].

---

[1] انظر: متن العقيدة الطحاوية (ص: ٤٢).

[2] انظر: شرح الطحاوية (٤٢٠).

[3] [آل عمران: ١٣٣].

وقال: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾[١].

٢- وقوله تعالى عن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[٢].

وقال: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾[٣].

وقد رأى النبي ﷺ سدرة المنتهى، ورأى عندها جنة المأوى: من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة الإسراء، وفي آخره: «ثُمَّ انْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى نَأْتِيَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ؟ قَالَ: ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤَ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ ...»[٤].

١- وفي الصحيحين من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عليه مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[٥].

٢- وفي «صحيح مسلم» من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا» قَالُوا:

---

(١) [الحديد: ٢١].

(٢) [آل عمران: ١٣١].

(٣) [النبأ: ٢١ – ٢٢].

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣).

(٥) أخرجه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦).

وَمَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ»[١].

ونظائر ذلك في السنة كثيرة.

وقال رحمه الله في قول الطحاوي: «لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان» - هذا قول جمهور الأئمة من السلف والخلف، وقال ببقاء الجنة وقال بفناء النار جماعة من السلف والخلف، والقولان مذكوران في كثير من كتب التفسير وغيرها[٢].

قال الشيخ ناصر الألباني رحمه الله (ت:١٤٢٠هـ): لم يثبت القول بفناء النار عن أحد من السلف، وإنما هي آثار واهية لا تقوم بها حجة، وبعض أحاديثه موضوعة، لو صحَّت لم تدل على الفناء المزعوم، وإنما على بقاء النار وخروج الموحدين منها[٣].

وهو كما قال رحمه الله، ومن الثوابت عن أئمتنا أئمة السلف الصالح أنهم يتكلمون بما يثبت عندهم، دون ما لم يثبت، والذي على الشك علَّقوا القول به على ثبوته، فليس كل ما يُحكى يعتمد في محل النزاع، وابن أبي العز متأخر، والحال المذكور علمناه من: أبي زرعة، وابن الملقن، والنووي، وابن حجر، وغيرهم، رحمهم الله جميعًا.

---

[١] أخرجه مسلم (٤٢٦).

[٢] انظر: شرح الطحاوية (٤٢٤).

[٣] انظر: السلسلة الضعيفة حديث رقم (٦٠٦، ٧٠٧).

وقد ردَّ رحمه الله شبهة المعتزلة والقدرية، لمَّا استدلوا بالنص الثابت في غير محله كقولهم بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[1]، ولما أعملوا العقل المجرد بالقياس في الغيبيات وهي عقائد لا يجوز فيها القياس باتفاق أهل السنة والجماعة[2].

ثانيًا: **مسألة في أعمال أهل الجنة والنار، وعلاقتها بالقدر الذي هو سر الله في خلقه، وعلاقتها بالتزام الأوامر واجتناب النواهي، باختيار الإنسان وقدرته ومشيئته**، كما سبق بيانه في المسألة الثانية من هذا الكتاب:

١- حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا...، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عليه الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عليه الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا»[3].

---

[1] [القصص: ٨٨].

[2] انظر: شرح الطحاوية إن شئت (ص: **٤٢٣ - ٤٣٢**)، وكذا نص على ذلك الصابوني في أعتقاد أصحاب الحديث، والأصبهاني في الحجة ، وغيرهما.

[3] أخرجه البخاري (**٦٥٩٤، ٣٢٠٨، ٣٣٣٢**)، ومسلم (**٢٦٤٣**) واللفظ له.

فيه التصريح بإثبات القدر، وأن التوبة تهدم الذنوب قبلها، وأن من مات على شيء حكم له به من خير أو شر، إلا أن أصحاب المعاصي من غير الكفر في المشيئة(١).

٢- حديث عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعًا: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ العَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، قَالَ: «أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾(٢). (٣)

فيه دلالة ظاهرة كذلك لمذهب أهل السنة في إثبات القدر، وأن جميع الواقعات بقضاء الله تعالى وقدره خيرها وشرها، ونفعها وضرها ...، قال الله تعالى: ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾(٤)، فهو ملك لله تعالى يفعل ما يشاء ولا اعتراض على المالك في ملكه؛ ولأن الله تعالى لا علة

---

(١) انظر: المنهاج شرح مسلم للنووي (١٦/ ١٩).

(٢) [الليل: ٥ - ٦].

(٣) صحيح، وتقدم (ص: ١٨٨).

(٤) [الأنبياء: ٢٣].

لأفعاله.

قال الإمام أبو المظفر السمعاني: سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس، ومجرد العقول، فمن عدل عن التوقيف فيه ضلَّ وتاه في بحار الحيرة، ولم يبلغ شفاء النفس ولا يصل إلى ما يطمئن به القلب؛ لأن القدر سرٌّ من أسرار الله تعالى التي ضُربت من دونها الأستار اختص الله به وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من الحكمة، وواجبنا أن نقف حيث حدَّ لنا ولا نتجاوزه، وقد طوى الله تعالى عِلْمَ القَدَر على العالم، فلم يعلمه نبي مرسل، ولا ملك مقرب، وقيل: إن سر القدر ينكشف لهم إذا دخلوا الجنة، ولا ينكشف قبل دخولها والله أعلم، وفي هذه الأحاديث النهي عن ترك العمل والاتكال على ما سبق به القدر بل تجب الأعمال والتكاليف التي ورد الشرع بها، وكل ميسر لما خلق له لا يقدر على غيره، ومن كان من أهل السعادة يسره الله لعمل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة يسره الله لعملهم[1].

ودليل ذلك:

١- حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ

[1] انظر: الحجة في بيان المحجة (٢/ ٣٠)، والمنهاج شرح مسلم (١٦/ ١٩٦).

الْجَنَّةِ»[١].

٢- حديث سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»[٢].

---

[١] أخرجه مسلم (**٢٦٥١**).

[٢] أخرجه مسلم (**١١٢**).

مسألة: في أن الجنة ليست ثمنًا للعمل.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ»، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ»[1]، وهل هذا النص يتعارض مع قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[2].

وقوله: ﴿أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[3].

لا تعارض بين قوله تعالى، وقول رسوله المصطفي ﷺ؛ ذلك: لأن الوحي لا يتعارض أبدًا؛ فإن الآيات تدل على أن الأعمال سبب لدخول الجنة، وليست ثمنًا لها، والحديث نفى أن تكون الأعمال ثمنًا للجنة، هذا ما عليه أهل السنة والجماعة فهم لسان الميزان.

والجبرية: ضلَّت في كِفَةٍ لَمَّا استدلت بالحديث مكتفية به على أن الجزاء غير مرتب على الأعمال؛ لأنه لا صنع للعبد في عمله، اعتمادًا على أصلهم الفاسد.

القدرية: ضلت في الكفة الأخرى، لما استدلوا بالآيات مكتفية بها، وإنها تدل على أن الجنة ثمن للعمل، وأن العبد مستحق دخول الجنة على

---

(1) أخرجه مسلم (٢٨١٦).

(2) [السجدة: ١٧].

(3) [الأعراف: ٤٣].

ربه بعمله.

قال ابن أبي العز: وأما ترتب الجزاء على الأعمال، فقد ضلت فيه الجبرية والقدرية، وهدى الله أهل السنة، وله الحمد والمنة، فإن «الباء» التي في النفي غير «الباء» التي في الإثبات، فالمنفي في قوله ﷺ: «لن يدخل الجنة أحد بعمله» «باء» العوض، وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل إلى الجنة، كما زعمت المعتزلة أن العامل مستحق دخول الجنة على ربه بعمله! بل ذلك برحمة الله وفضله، و«الباء» التي في قوله تعالى: ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[1]، وغيرها، «باء» السبب، أي بسبب عملكم، والله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات، فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته[2].

---

[1] [السجدة: ١٧].

[2] انظر: شرح الطحاوية (ص: ٤٣٨)

[المسألة السادسة: الإيمان]

وَالْإِيمَانُ قَول وَعمل، وهما سَيَّان[١] ونظامان وقرينان[٢]، لَا نفرق[٣] بَينهما، لَا إِيمَان إِلَّا بِعَمَل، وَلَا عمل إِلَّا بِإِيمَان.

والمؤمنون فِي الْإِيمَان يتفاضلون، وبصالح الْأَعْمَال هم متزايدون، وَلَا يخرجُون بِالذنُوبِ من الْإِيمَان، وَلَا يكفرون بركوب كَبِيرَة وَلَا عصيان[٤]، وَلَا نوجب[٥] لمحسنهم الْجنان بعد من[٦] أوجب لَهُ النَّبِي ﷺ، وَلَا نشْهد[٧] على مُسيئهم بالنَّار.

ـ الشرح ـ

س: ما معنى الإيمان؟

ج: **معناه لغة**: مصدر آمن يؤمن فهو مؤمن، ومعناه الإقرار والتصديق والطمأنينة والانقياد.

---

[١] قال في هامش الأصل: «أي مثلان».

[٢] قال في هامش الأصل: «ما ينضم بعضه إلى بعض».

[٣] في (ج): [يفرق].

[٤] [ولا عصيان] مكررة في الأصل.

[٥] في (ج): [يوجب].

[٦] في (ج): [بغير ما أوجب].

[٧] في (ج): [يشهد].

وشرعًا: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وهذا ما عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم، ومن سار على طريقهم، وهو ما دل عليه القرآن، والسنة الصحيحة، واتفاقهم على ذلك؛ فخرج بذلك فرق الضلال المعتمدة على العقل المجرد، وسوف يأتي ذكرهم مختصرًا.

الأدلة:

أولًا القرآن:

أولًا: ما يدل على فرض إيمان القلب:

١- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ ﴾[١].

٢- قوله: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾[٢].

٣- قوله: ﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾[٣].

والإيمان والإسلام اسمان لمعنيين، فالإسلام عبارة عن الشهادتين مع

---

[١] [المائدة: ٤١].

[٢] [النحل: ١٠٦].

[٣] [الحجرات: ١٤].

التصديق بالقلب، والإيمان عبارة عن جميع الطاعات، أو الإسلام قول والإيمان عمل، هذا ما عليه جماهير السلف الصالح لقوله السابق في الحجرات، ولقوله في الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[(١)].

والشاهد في عطف الإيمان على الإسلام، والشيء لا يعطف على نفسه؛ فَعُلِمَ أن الإيمان معنى زائد على الإسلام، وما دل عليه حديث عمر بن الخطاب، والشاهد في قول جبريل عليه السلام: «أخبرني عن الإسلام..، ثم قال: فما الإيمان...»[(٢)]، وغير ذلك.

وتفصيل المسألة في محل آخر، ولكنها الإشارة[(٣)].

ثانيًا: ما يدل على فرض إيمان اللسان.

١- قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾[(٤)].

---

(١) [الأحزاب: ٣٥].

(٢) أخرجه مسلم (٨).

(٣) انظر: إن شئت الإيمان لابن منده، وأصول الاعتقاد للالكائي (٢/ ٢٢٦)، (١/ ١١٦)، والحجة في بيان المحجة للأصبهاني (١/ ٤٤١)، والإيمان لابن تيمية، ومجموع الفتاوى (٧/ ٣٦٦)، وفتح الباري (١/ ١٦٤).

(٤) [البقرة: ١٣٦].

٢- وقال: ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾[١].

ثالثًا: ما يدل على فرض إيمان الجوارح.

١- قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[٢].

٢- قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾[٣] أي صلاتكم إلى بيت المقدس، باتفاق المفسرين، نصَّ عليه ابن عبد البر[٤]، فسمى الصلاة إيمانًا؛ دليل على أن العمل الصالح من الإيمان، إن زاد زاد، وإن نقص نقص، وغير ذلك من الآيات.

وأما السنة:

أولًا: ما يدل على فرض إيمان القلب والجوارح.

قوله ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ

---

[١] [آل عمران: ٨٤].

[٢] [الأنفال: ٢ - ٤].

[٣] [البقرة: ١٤٣].

[٤] انظر: التمهيد (٩/ ٢٤٥).

شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[١].

وقوله ﷺ: «فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» دليل على فرض إيمان اللسان، وهو النطق بها.

وقوله ﷺ: «وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ» دليل على فرض إيمان الجوارح كاليد والرجل وغيرها وهو العمل.

وقوله ﷺ: «وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» دليل على فرض إيمان القلب، ونظيره يؤكده الجوارح.

ثانيًا: ما يدل على فرض إيمان اللسان.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[٢]، ومحل الشاهد في قوله: «حَتَّى يَقُولُوا ...»، وقرينة ذلك من القرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾[٣].

﴿قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ إيمان بالقلب واللسان (والقول)، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ إيمان بالجوارح مطلقًا[٤].

وأما الإجماع: أجمع أئمتنا أهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا على

---

[١] أخرجه البخاري (٩) بدون الشك، ومسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

[٢] أخرجه مسلم (٢٠).

[٣] [فصلت: ٣٠].

[٤] انظر: الشريعة للآجري (٢/ ٥٧٦- ٦٤٣)، والتمهيد (٩/ ٢٤٤- ٢٥٨).

أن الإيمان تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

قال الشافعي رحمه الله: كان الإجماع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركناهم يقولون: إن الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر[١]، ونقل الإجماع ابن عبد البر كذلك.

وقال البخاري (ت: ٢٥٦هـ): كتبتُ عن ألف نفر من العلماء وزيادة ولم أكتب إلا عمن قال: الإيمان قول وعمل، ولم أكتب عمن قال: الإيمان قول[٢].

وأما الإيمان عند الفرق الضالة وهم:

المرجئة: هو معرفة الله بالقلب فقط، ولا يشترط الاعتقاد، ولا القول ولا الفعل، وهو قول الجهمية – الجهم بن صفوان – وأبي الحسن الصالحي أحد رؤساء القدرية، وفساده ظاهر جدًّا، وعليه؛ يكون إبليس مؤمنًا كامل الإيمان؛ لأنه لم يجهل ربه، بل هو عارف به، ففي القرآن:

---

[١] انظر: الإيمان لابن تيمية (ص: ٢٤١).

[٢] انظر: صريح السنة للطبري، وعقيدة السلف للصابوني، والشريعة للآجري، وشرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (٥/ ٩٥٩)، والتمهيد لابن عبد البر، ومقدمة كتاب الإيمان لابن أبي شيبة بتحقيقي – وهو تحت الطبع يسر الله إتمامه.

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[1]، ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي ﴾[2]، ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[3].

وعليه يكون أبو طالب مؤمنًا كذلك لقوله:

ولقد علمتُ بأن دين محمد ... مــن خير أديــان البرية دينًا

لولا الملامة أو حذار مسبّة ... لوجدتني سمحًا بذلك مبينًا

قول: **أبي منصور الماتريدي**، **والأشاعرة** -على المشهور-: هو معرفة الله بالقلب مصدقًا به (الاعتقاد بالقلب فقط) لا يدخل فيه اللسان ولا عمل الجوارح، وهو ضلال قريب من الذي قبله مخالف للآيات والأحاديث في الباب.

الكرَّامية: هو الإقرار (النطق) باللسان فقط، ولو لم يعتقد بقلبه، ولو لم يعمل، وفساده ظاهر كالأول، وعليه؛ فالمنافقون عندهم مؤمنون كاملو الإيمان، وفرعون وقومه كانوا مؤمنين.

الخوارج والمعتزلة: الذي عليه أكثرهم أنه اعتقاد وقول وعمل، لكنه لا يزيد ولا ينقص، فهو كلٌّ لا يتجزأ، ولا يتبعض، وهذا وجه المخالفة لأهل السنة.

---

(١) [الحجر: ٣٦].

(٢) [الحجر: ٣٩].

(٣) [ص: ٨٢].

وفي قول لهم أنه أعمال الجوارح فقط، وهو قولٌ فساده ظاهر؛ فإن لازِمُه: أن من عمل عملاً صالحًا من الكافرين يكون مؤمنًا، وهذا يصادم القرآن، وصحيح السنة.

قول مرجئة الفقهاء من الحنفية: هو الاعتقاد بالقلب مع النطق باللسان ولو لم يعمل، على أن العمل مطلوب وليس شرطًا، ، ويُروى عن أبي حنيفة[١].

وبما سبق يظهر لنا بلازم الحال، التفاضل في الإيمان، فلا إيمان بلا عمل، ولا عمل بلا إيمان، هما متلازمان سَيَّان قرينان لا يفترقان، لا يُعرف غيره في أصول أهل السنة والجماعة قاطبة، فَفَصْل العمل لا يعرف إلا من طريق فرقة المرجئة كما سبق ذكره، وبه روَّجَ أصحاب الأهواء والزيغ بين هوام المثقفين والشباب سؤالًا، هل العمل شرط صحة أو شرط كمال في الإيمان؟ وتسببوا بذلك في ضرر كثير من الشباب، وسلكوا طريقًا آخر.

وهل يوجد مسلم خالٍ عن شعبة من شعب الإيمان، كما في قوله ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[٢]، وهذه الشُّعب تتفرع من أعمال القلوب، وأعمال اللسان،

---

[١] انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص: **٣٣١- ٣٥٧**).

[٢] صحيح، وتقدم (ص: **٢٨٩**).

وأعمال البدن (الجوارح)[(١)]؟!!

مسألة تتعلق بما سبق، إذا سئل الرجل، هل أنت مؤمن؟ فبماذا يجيب؟

أولًا: السؤال بدعة أحدثها المرجئة، يجتمعون بها على قولهم في الإيمان، وهو الإقرار، وأن العمل ليس من الإيمان، خلافًا لما اتفق عليه أهل السنة والجماعة كما سبق ذكره.

ثانيًا: إذا كان ولا بد من الإجابة؛ فينبغي أن يكون بإجابة ليس فيها ما يوهم بالجزم والقطع بكمال الإيمان؛ كأن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، أو أرجو، أو نحو ذلك، وهذا ما يسمى بالاستثناء في الإيمان عند السلف الصالح، وهو مستحب، وكرهوا ترك الاستثناء لأمرين:

أحدهما: أن الإيمان المطلق يتضمن فِعْلَ ما أمر الله به عبده كله، وترك المحرمات كلها؛ فإذا قال: أنا مؤمن بدون استثناء؛ كأنه يجزم ويقطع بأنه جاء بالإيمان كاملاً، فضلاً أن يجزم بالقبول، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[(٢)]، والمقصود أن الرجل إذا جاء بالفعل فلا يجزم بالقبول لعدم جزمه بكمال الفعل.

---

(١) انظر لزامًا: شرح النووي لمسلم المنهاج (٢/ ٣ – ٥)، والصلاة لابن القيم «فصل في الكفر الاعتقادي والعملي»، وفتح الباري (١/ ٥٢)،

(٢) [المؤمنون: ٦٠].

الآخر: أن الجواب بالإيمان المطلق فيه تزكية للنفس والشهادة لها بالتقوى والبر، وهذه شهادة بما لا يعلم، وإنما علمها عند الله القائل: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[1]، ولذا قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما قال رجلٌ عنده: إنه مؤمن، قال: فسلوه [فَسْأَلُوه]: أَفِي الجنة هو؟ قالوا: أفي الجنة أنت؟ قال: الله أعلم، قال: أفلا وكَلْت الأولي كما وكَلْت الثانية (الآخرة)[2].

وفي المقابل قال الفضيل بن عياض (ت: ١٨٧هـ): قولك: أنا مؤمن، تكلف لا يضرك ألَّا تقوله ولا بأس إن قلته على وجه الإقرار، وأكرهه على وجه التزكية، وغيره[3].

وعلى كل حال، إن السلف الصالح استحبُّوا الاستثناء في الإيمان، ولم يوجبوه، وكرهوا تركه ولم يحرموه، وهذا يعنى أن كِلا الأمرين جائز، إذا لم يقصد تزكية نفسه والشهادة لها بكمال الإيمان، ولذا قد صرح بجواز الأمرين الأوزاعي والثوري.

وفي مقابل قول السلف الصالح قول السلف الطالح، وهم: الأشاعرة؛ فإنهم يوجبون الاستثناء، والمرجئة يحرمونه، وكلاهما بدعة

---

(١) [النجم: ٣٢].

(٢) أخرجه أبو عبيد في كتاب الإيمان (٩)، والآجري في الشريعة (٢٨٤).

(٣) انظر: السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ٣٧٧).

فاسدة قائمة على الدليل العقلي المجرد المصادم للمنقول، وهذا مختصر عاجل للمسألة، وتفصليها في مقدمة كتاب «الإيمان لأبي بكر بن أبي شيبة» بتحقيقي(١).

وأهل السنة لا يُخرِّجون بالذنوب ولا يكفرون بها إلا أن يكون ناقضًا من نواقض الإسلام أو ابتدع بدعة مكفرة، وقد قامت به شروط التكفير، وانتفت عنه موانعه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾(٢).

وقال: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾(٣).

ولا يوجبون لمحسنهم الجنة كائنًا من كان، بعد ما أوجب لهم النبي ﷺ ذلك، وكذا لا يشهدون على مسيئهم بالنار إن مات على كبيرة، وهو في مشيئة الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه، خلافًا للخوارج والمعتزلة؛ فإنهم يوجبون له النار خالدًا فيها.

---

(١) انظر إن شئت: السنة لعبد الله بن أحمد، ومسائل ابن هانئ،والسنة للخلال، والشريعة للآجري، والإبانة لابن بطة، وأصول الاعتقاد للالكائي، والإيمان لابن تيمية، والبدائع لابن القيم، وغيرهم.

(٢) [النساء: ٤٨].

(٣) [طه: ٨٢].

[المسألة السابعة: القرآن كلام الله][١].

وَالْقُرْآنُ كَلاَمُ الله عز وَجل وَمن لَدُنْه[٢]**، وَلَيْسَ بمخلوق فيبيد**[٣].

ـ الشرح ـ

الله المتكلم أولًا وآخرًا، لم يزل له الكلام إذ لا متكلم غيره، ولا يزال له الكلام إذا لا يبقى متكلم غيره؛ فيقول: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾[٤]، أنا الملك، أين ملوك الأرض؟ فلا ينكر كلام الله عز وجل إلا من يريد إبطال ما أنزل الله عز وجل، وكيف يعجز عن الكلام من علَّم العباد الكلام وأنطق الأنام – قاله الدارمي في «الرد على الجهمية» في باب: «الإيمان بكلام الله تبارك وتعالى» – ثم استطرد في ذكر الآيات والأخبار والآثار، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[٥].

وقال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ

---

[١] هذه المسألة هي التي سُئل عن معتقده لأجلها. «ع».

[٢] في (ج): [الله].

قال في هامش الأصل: «أي: من عنده».

[٣] قال في هامش الأصل: « أي: فيفنى ويهلك».

[٤] [غافر: ١٦].

[٥] [النساء: ١٦٤].

ٱللَّهِ ﴾[1]. [2]

وقال أيضًا: فهذه الأحاديث قد رويت، وأكثر منها ما يشبهها، كلها موافقة لكتاب الله في الإيمان بكلام الله، ولولا ما اخترع هؤلاء الزائغة من هذه الأُغلوطات والمعاني يردون بها صفات الله، ويبدلون بها كلامه، لكان ما ذكر الله من ذلك في كتابه كافيًا لجميع الأمة، مع أنه كافٍ شافٍ إلَّا لمتأول ضال، أو متبع ريبة، فحين رأينا ذلك أَلَّفْنَا هذه الآثار عن رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين من بعدهم، ليعلم من بقي من الناس أن من مضى من الأمة لم يزالوا يقولون في ذلك كما قال الله عز وجل، لا يعرفون له تأويلاً غير ما يُتلى من ظاهره أنه كلام الرحمن تبارك وتعالى، حتى نبغ هؤلاء الذين اقتربوا لرد كتاب الله عز وجل، وتعطيل كلامه وصفاته المقدسة بهذه الأغلوطات التي لو ظهرت على عهد رسول الله ﷺ وأصحابه ما كان سبيل من يظهرها بينهم إلا كسبيل أهل الردة، أوَّلُها هذه الكلمة الملعونة التي فارقوا بها جميع أهل الصلاة، فقالوا: كلام الله مخلوق ...، فذهب بعضهم يحتج بتفاسير مقلوبة، وبمعان لا أصل لها من كتاب ولا سنة، ولا إجماع إلا الكفر يقينًا[3].

---

(1) [التوبة: ٦].

(2) انظر: الرد على الجهمية (ص: ١٥٥).

(3) المصدر السابق.

ثم عقد بابًا في الاحتجاج للقرآن أنه غير مخلوق، قال في مطلعه:

فمن ذلك ما أخبر الله تعالى في كتابه عن زعيم هؤلاء الأكبر وإمامهم الأكفر، الذي ادعى أولًا أنه مخلوق، وهو الوحيد، واسمه: الوليد بن المغيرة، فأخبر الله عن الكافر دعواه فيه، ثم أنكر عليه دعواه وردَّها عليه، ووعده النار إِنِ ادَّعَى أَنَّ قَوْلَ اللَّهِ قَوْلَ الْبَشَرِ، قال تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[1]، وقول هؤلاء الجهمية هو مخلوق واحدٌ، لا فرق بينهما، فبئس التابع، وبئس المتبوع[2].

قال البربهاري (ت:٣٢٩هـ): والقرآن كلام الله وتنزيله ونوره، ليس بمخلوق...، والمراء فيه كفر[3].

هكذا بدأها الجهم بن صفوان، وعنه أفراخه من المعتزلة والزيدية والشيعة والإباضية وغيرهم، كالأشاعرة إلا أنهم أحدثوا شيئًا عجيبًا فقسموه إلى قسمين: معان وألفاظ.

المعاني: هي كلام الله، والله يوصف بأن له كلامًا، وهو المعنى القديم القائم بنفسه، أما أن يتكلم بحرف وصوت؛ فهذا منفي.

وأم اللفظ: فهو كلام المخلوق، أي: من كلام جبريل أو محمد ﷺ،

---

[1] [المدثر: ٢٥ – ٢٦].

[2] انظر: الرد على الجهمية (ص: ١٨٤).

[3] انظر: شرح السنة (ص: ٤١).

وأبطل هذا النووي الشافعي في رسالة: «ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات»، وفيها عمَّن قبله الإمام أحمد بن الحسن بن عثمان الأَرْمَوي الشافعي في رسالته: «غاية المرام في مسألة الكلام»، وقد وصف النووي الأشاعرة بالملبسين...[١].

س: هل يجوز التوقف في المسألة؟

ج: لا يحل ذلك؛ لأن التوقف في الحق الصريح تَشَكُّكٌ في قبوله، وما حكم الشاك في قول الله ورسوله ﷺ الصريح وما عليه إجماع الأمة السلف الصالح؟.

قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[٢].

وقال: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[٣]. [٤]

---

[١] انظر: جزء «ذكر اعتقاد السلف في الحرف والصوت» للنووي (ص: ٦٦).

[٢] [النساء: ٥٩].

[٣] [الشورى: ١٠].

[٤] انظر لزامًا: «الرد على الجهمية» للدارمي، فقد عقد بابًا في ذلك.

وأما: «لفظي بالقرآن مخلوق»، فانظر: تعليقي على الحائية لابن أبي داود تسلم من شرور المبتدعة اليوم إن شاء الله.

[المسألة الثامنة: الصفات]

وقدرة الله(١)، ونعتُه(٢) وَصِفَاتُه كلمات غير مخلوقة(٣)، آياتٌ أزلياتٌ(٤)، وَلَيْسَت بمحدثات [٣٤/ب] فتبيد، وَلَا كَانَ رَبُّنَا نَاقِصًا فيزيد، جلَّ(٥) صِفَاته عَن شبيه(٦) المخلوقين، وَقصرت عَنهُ فِطَنُ الواصفين، قريب بالإجابة عِنْد السُّؤَال، بعيد بالتعزُّزِ(٧) لَا يُنَال، عَالٍ على عَرْشه، بَائِن من(٨) خلقه، مَوْجُود لَيْسَ(٩) بمعدوم وَلَا بمفقود(١٠).

---

(١) زاد في المطبوع: [وكلمات الله].

(٢) رسمها في الأصل يحتمل [نعته] أو [نعمته]، وفي (ج): [نعمته]، وفي المطبوع: [نعته].

(٣) هكذا في الأصل، وفي (ج): [كلها غير مخلوقات]، وفي المطبوع: [كاملات غير مخلوقات].

(٤) هكذا بالأصل، وفي (ج): [دائمات أزلية]، وفي المطبوع: [دائمات أزليات].

(٥) هكذا بالأصل، وفي (ج)، والمطبوع [جلت].

(٦) هكذا بالأصل، وفي (ج): [شبه]، وفي المطبوع: [شبه صفات].

(٧) في (ج): [بالتعزيز].

(٨) في (ج): [عن].

(٩) هكذا بالأصل، وفي المطبوع [وليس].

(١٠) في (ج): [مفقود].

ـ الشرح ـ

أولًا: قال أبو نصر عبيد الله بن سعيد السِّجِزِي (ت: ٤٤٤هـ): فكلّ مدع للسنّة يجب أن يطالب بالنقل الصحيح بما يقوله؛ فإن أتى بذلك عُلِم صدقه، وقبل قوله، وإن لم يتمكن من نقل ما يقوله عن السلف، علم أنه محدث زائغ، وأنه لا يستحق أن يُصغى إليه أو أن يناظر في قوله...»[١].

ثم أخذ رحمه الله على المتكلمين في عزوهم الكلام إلى أناس من غير إسنادٍ وتثبت.

وقال أبو القاسم الأصبهاني: قَوْلهم فلاَن عَلَى السّنة، وَمن أهل السّنة أَي: هُوَ مُوَافق للتنزيل والأثر فِي الْفِعْل وَالْقَوْل؛ وَلِأَن السّنة لَا تكون مَعَ مُخَالفَة الله وَمُخَالفَة رَسُوله ﷺ[٢].

وقال البربهاري: ولا يحل لرجل مسلم أن يقول: فلان صاحب سنة حتى يعلم منه أنه قد اجتمعت فيه خصال السنة، لا يقال له: صاحب سنة حتى تجتمع فيه السنة كلها[٣].

قوله: «اجتمعت فيه خصال السنة»: يعنى أصولها التي تبنى عليها،

---

[١] انظر: رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص: ١٤٦).

[٢] انظر: الحجة في بيان المحجة (٢/ ٣٨٤، ٣٨٥).

[٣] انظر: شرح السنة (ص٦٧).

ومحاورها: عقيدة صحت، وتعبد وَرَدَ، وتعامل شُرِعَ، وهذا قائم على القرآن بالقرآن، والقرآن بالسنة الصحيحة وبأقوال الصحابة والآخذين عنهم، وكذا في السنة الصحيحة تفهم بمثلها وبالصحابة والآخذين عنهم.

فمن أخطأ في فرع من فروع المعتقد - وهو المقصود هنا - كمن تأول صفة من الصفات بحيث لا يكون هذا أصلاً له في الصفات وغيرها، فهذا من نوع الخطأ الذي قد يقع ممن يعظم السنة ويتبعها، خصوصًا عند انتشار البدعة، وقلة الخبرة بأصول أهل البدع والكلام، أو قد تقع زلة لسان أو قلم لاسيما في كثرة مصنفاته وأخباره... إلخ، وبهذا يفرق في الحكم.

هذه إشارة بقطرةٍ من نهر عذب تسبح فيه أئمة الاتباع والانقياد والامتثال، وقد حافظوا على التركة التي ورثوها، وهي نقية بيضاء، لا يزيغ عنها إلا هالك سفه نفسه.

ثانيًا: دلالة الكتاب والسنة على أن صفات الله تعالى على الحقيقة، من غير تشبيه ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[1].

أخرج أبوداود في سننه قال: حدثنا عليُّ بن نصر، ومحمد بن يونس النسائي، قالا: حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ، حدثنا حرملة -يعني: ابن

---

[1] [الزخرف: ٣].

عمران-، حدثني أبو يونس سليم بن جبير مولى أبي هريرة، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تعالى: ﴿ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾(١) قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَؤُهَا وَيَضَعُ إِصْبَعَيْهِ.

قال ابن يونس: قال المقرئ: يعني: إن الله سميع بصير، يعني أنَّ الله سميعًا وبصيرًا.

قَالَ أبو داود: وهذا رد على الجهمية(٢).

قلت: وفي هذا تحقيق لصفتي السمع والبصر لله عز وجل، وأنها على الحقيقة، التي هي في الإنسان وليس المراد أبدًا تشبيه صفة الله بصفة المخلوق، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا؛ لقوله تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾(٣)، فأثبت الله لنفسه السمع والبصر ونفى مماثلته للمخلوقين.

٣- وعند «مسلم»: من طريق عبيد الله بن مقسم، أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى عَبْدِ

---

(١) [النساء: **٥٨**].

(٢) أخرجه أبو داود (**٤٧١٣**) وإسناده صحيح كالشمس.

(٣) [الشورى: **١١**].

اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما كَيْفَ يَحْكِي رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَأْخُذُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدَيْهِ، فَيَقُولُ: أَنَا اللهُ - وَيَقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَبْسُطُهَا - أَنَا الْمَلِكُ» حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمِنْبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ، حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ: أَسَاقِطٌ هُوَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ؟[١].

في هذا النص إثبات صفة اليد، والأصابع، والقبض، والبسط، وأنها على حقيقتها من غير تشبيه ومماثلة لصفة المخلوق.

وكذا في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»[٢].

وكذا في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا وفيه:«... إن القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن عز وجل يقول بهما هكذا»، وحرَّك أبو أحمد[٣] إصبعه[٤].

وفي ذلك تحقيق الأصابع لله عز وجل.

---

[١] أخرجه مسلم (٢٧٨٨).

[٢] أخرجه مسلم (٢٦٥٤).

[٣] وهو: محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدي الزبيري، ثقةٌ ثبتٌ (ت: ٢٠٣هـ) وهو راوي الحديث عن سفيان الثوري.

[٤] أخرجه الطبري في التفسير (٥/ ٢٣٠)، والدارقطني في الصفات (٤١)

٤- عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: وفيه...فيقول: «- أي العبد - يَا رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، قَالَ: فَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: مَا يَصْرِينِي مِنْكَ، أَيْ عَبْدِي؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ مِنَ الْجَنَّةِ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟»، قَالَ: «فَيَقُولُ: أَتَهْزَأُ بِي، أَيْ رَبِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعِزَّةِ؟» - قال الراوي - قَالَ: فَضَحِكَ عَبْدُ اللهِ، حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي لِمَ ضَحِكْتُ؟ قَالُوا لَهُ: لِمَ ضَحِكْتَ؟ قَالَ: لِضَحِكِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا تَسْأَلُونِي لِمَ ضَحِكْتُ؟» قَالُوا: لِمَ ضَحِكْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «لِضَحِكِ الرَّبِّ، حِينَ قَالَ: «أَتَهْزَأُ بِي، وَأَنْتَ رَبُّ الْعِزَّةِ؟!»»[1].

وعن أبي رزين العقيلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ضحك ربنا من قنوط عباده، وقرب غيره»، قال: قلت: يا رسول الله، أو يضحك الرب، قال: «نعم» ، قلت: لن نعدم من رب يضحك خيرًا» [2].

---

[1] «صحيح»، أخرجه أحمد (١/ ٣٩١) واللفظ له، وأبو يعلى في مسنده (٢٩٠).
قال أبو عبيد: يصريك: يقطع مسألتك مني، وكل شيء قطعته ومنعته فقد صريته.
انظر: غريب الحديث (٣/ ٨٣).

[2] أخرجه أحمد (٤/ ١١)، وابن ماجه (١٨١)، وغيرهم من طريق حماد بن سلمة، عن يعلى بن عطاء، عن وكيع بن حدس، عن عمه أبي رزين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به.

٥- وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مهْلِكَةٍ، -وذكر قصة- ، فاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ»(١).

فيه إثبات صفة الفرح لله تعالى وأنها على الحقيقة من غير تشبيه وتعطيل.

٦- وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ»، فَقَالَ: «إِنِّي أُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ»، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ...، «وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ»، فَيَقُولُ: «إِنِّي أُبْغِضُ فُلاَنًا فَأَبْغِضْهُ»، قَالَ: «فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ..»(٢).

فيه إثبات صفة المحبة، والبغض لله تعالى، من غير تشبيه ولا تعطيل.

ثالثًا: من الآثار الواردة عن السلف الصالح، في كون صفات الله عز وجل محمولة على الحقيقة لا على المجاز.

وإسناده حسن؛ وكيع بن حدس، قال فيه ابن حبان في مشاهير علماء الأمصار: من الأثبات، وقال الجوزقاني: صدوق صالح الحديث، وحسن حديثه الترمذي، وصحح حديثه ابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم.

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٣٧).

عن قيس بن أبي حازم (ثقة مخضرم: ت ٩٠هـ)، قال: لما قدم عمر الشام استقبله الناس وهو على بعيره فقالوا: يا أمير المؤمنين، لو ركبت بِرذونًا يلقاك عظماء الناس ووجوههم، قال: فقال عمر ألا أراكم هاهنا، إنما الأمر من هاهنا، -وأشار بيده إلى السماء- خلوا سبيل جملي[1].

فيه تحقيق العلو لله، وأنه في السماء، وفيه جواز الإشارة إليه في السماء، وشاهد ذلك في حديث جابر رضي الله عنه في حجة وداع النبي صلى الله عليه وسلم وفيه:«... وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟»، قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ «اللهُمَّ، اشْهَدْ، اللهُمَّ، اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[2].

عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾[3]، قال: أشار بيده إلى عينه[4].

---

[1] «صحيح»، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٥٨٣) ومن طريقه أبي نعيم في الحلية (١/ ٤٧) وابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص: ١١).

[2] أخرجه مسلم (١٢١٨).

[3] [القمر: ١٤].

[4] أخرجه اللالكائي (٣/ ٤١١) وفيه عليُّ بن صدقة لم أقف عليه.

وسبق عن النبي صلى الله عليه وسلم صحيحًا تحقيق صفة العين.

قال ربيعة بن عمرو الجرشي (مختلف في صحبته، وإن لم تثبت فهو على رأس التابعين (ت: ٦٤هـ): قال في قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[1]، قال: ويده الأخرى خُلْوٌ ليس فيها شيء، وكذا حكيم بن جابر الأحمسي (تابعي، ت: ٨٢هـ)، وعلي بن الحسين بن عليٍّ زين العابدين (ت: ٩٣هـ)، وخالد بن معدان الكلاعي (تابعي، ت: ١٠٣هـ)، وعكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنه (ت: ١٠٤هـ)، وغيرهم كثير، على إثبات صفة اليد على حقيقتها، ولم يقل أحد منهم أنها بمعنى القدرة أو النعمة[2].

قال أبو حنيفة (ت: ١٥٠هـ): لا يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف، وهو قول أهل السنة والجماعة... حيٌّ قادر سميع بصير عالم، يد الله فوق أيديهم ليست كأيدي خلقه، ووجهه ليس كوجوه خلقه[3].

وقال رحمه الله: «... فَهُوَ لَهُ صِفَات بِلاَ كَيفَ وَلَا يُقَال إِن يَده قدرته

---

[1] [الزمر: ٦٧].

[2] انظر: ابن سعد في الطبقات (٥/ ١٩٦)، ومصنف ابن أبي شيبة (١٣/ ٩٦)، والسنة لعبد الله بن أحمد (١/ ٢٦٤)، والشريعة للآجري (٣/ ١١٦٤)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٢٥).

[3] انظر: الفقه الأبسط (ص: ١٥٩)، الفقه الأكبر لأبي حنيفة (ص: ١٥٩).

أَوْ نعْمَته؛ لِأَن فِيهِ إبطَال الصّفة، وَهُوَ قَول أهل الْقدر والاعتزال[1].

وقال في إثبات النزول: ينزل بلا كيف[2].

سَأَلَ بشر بن السَّرِيِّ (ت: **١٩٥**هـ) حماد بن زيد (ت: **١٧٩**هـ) فقال: يا أبا إسماعيل، الحديث الذي جاء: «يَنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»، قال: حق كل ذلك كيف شاء الله[3].

وقوله: «حق» ظاهر في إثبات حقيقته، وكذا الفضيل بن عياض[4].

وسئل الشافعي رحمه الله عن صفات الله، وما ينبغي أن يؤمن به، فقال: لله تبارك وتعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه...، ونحو ذلك إخبار الله تعالى، إيَّانا أنه سميع، وأن له يدين بقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[5].

وأن له يمينًا بقوله: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[6]، وأن له

---

[1] انظر: الفقه الأكبر (ص: **٢٧**).

[2] انظر: شرح الطحاوية (ص: **١٩٥**).

[3] انظر: الإبانة الكبرى (**٧**/ **٢٠٣** رقم **١٥٨**).

[4] انظر: الإبانة الكبرى (**٧**/ **٣٠٢**)، واللالكائي (**٣**/ **٤٥٠**).

[5] [المائدة: **٦٤**].

[6] [الزمر: **٦٧**].

وجهًا، بقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[(١)].

ثم ذكر صفة القدم، والضحك، والنزول والأصابع... ثم قال: فإن هذه المعاني التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ، مما لا يدرك حقيقته بالفكر والرؤية، فلا يَكْفُرُ بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها وجبت الدينونة على سامعه بحقيقته ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[(٢)].[(٣)]

وقال يحيى بن معين (ت: ٢٣٣هـ): إذا سمعت الجهمي يقول: أنا كفرت برب ينزل، فقل أنا أؤمن برب يفعل ما يريد[(٤)].

فبين أن النزول فعله سبحانه، وليس المَلَكُ ولا غَيرُه.

وقال حنبل بن إسحاق (ت: ٢٧٣هـ): سألتُ أبا عبد الله عن الأحاديث التي تروى أن الله سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا، وأن الله يُرى، وأن الله يضع قدمه، وما أشبه هذه الأحاديث، فقال أبوعبد الله: نؤمن بها، ونصدق بها، ولا كيف ولا معنى، ولا نرد منها شيئًا، ونعلم أن ما جاء به

---

(١) [القصص: ٨٨].

(٢) [الشورى: ١١].

(٣) انظر: طبقات الحنابلة في ترجمته (١/ ٨٣).

(٤) انظر: الإبانة لابن بطة (٧/ ٣٠٦)، أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/ ٤٥٣).

رسول الله ﷺ حق، إذا كانت أسانيد صحاح، ولا نرد على الله قوله، ولا يوصف بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[(١)]. [(٢)]

وقال محمد بن عيسى الترمذي (ت: ٢٧٩هـ) مثل ما سبق.

وعزى إلى مالك، وابن عيينة، وابن المبارك: نؤمن بها، ولا يتوهم، ولا يقال: كيف؟ أمروها بلا كيف، وهذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة[(٣)].

وقال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) وذكر جملة من الصفات اليدين واليمين والأصابع، والنزول والضحك: أن نثبت حقائقها على ما نعرف من جهة الإثبات ونفي التشبيه، كما نفى ذلك عن نفسه -جل

[(١)] [الشورى: ١١].

[(٢)] انظر: الإبانة (٣/ ٢٤٢)، واللالكائي (٣/ ٤٥٣)، وإبطال التأويلات للقاضي أبي يعلى (١/ ٢٦٠)، وذم التأويل لابن قدامة (ص: ٢١).

[(٣)] انظر: السنن (٣/ ٥٠).

وانظر: الرد على الجهمية (٢/ ٦٨٠ – ٧٦٩) للدارمي في تحقيق: صفة النزول، واليد، والسمع، والبصر، والوجه، والضحك، في الرد على المريسي، وصفة العلو والاستواء، والكلام وغير ذلك.

ثناؤه- فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[١].

وقال محمد بن عليٍّ الكرجي المعروف بالقصّاب (ت: ٣٦٠هـ) «في كتابه لأمير المؤمنين القادر بأمر الله»، -ووقَّع على التصديق عليه علماء ذلك الوقت كالقاضي أبي يعلى، وأبي الحسن القزويني وغيرهما من العلماء، وأُرسلت إلى البلدان-: لا يوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به نبيه ﷺ، وكل صفة وصف بها نفسه أو وصفه بها نبيه، فهي صفة حقيقة لا صفة مجاز...»[٢].

وقال محمد بن أحمد الأزهري الهروي (ت: ٣٧٠هـ) -عند قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾[٣]-: فالغمام معروف في كلام العرب، إلا أنَّا لا ندري كيف الغمام الذي يأتي الله عز وجل يوم القيامة في ظلل منه، فنحن نؤمن به، ولا نكيف صفته، وكذلك سائر صفات الله عز وجل»[٤].

---

[١] انظر: التبصير في معالم الدين للطبري (ص: ١٤٠).

وانظر: التوحيد لابن خزيمة.

[٢] انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٥/ ٢٨٠).

[٣] [البقرة: ٢١٠].

[٤] انظر: تهذيب اللغة (٣/ ٢٤٦).

وانظر: الإبانة لابن بطة، وعقيدة عبد الله بن أبي زيد القيرواني، وأصول

وقال السجزي في رسالته إلى أهل زبيد ...: وقد اتفقت الأمة على أن الصفات لا تؤخذ إلا توقيفًا، وكذلك شرحها لا يجوز إلا بتوقيف(١).

وكذلك حكى الإجماع أحمد بن محمد الكلاباذي (ت٣٨٠هـ): أجمعوا على أن لله صفات على الحقيقة هو موصوف بها...، وأن له سمعًا وبصرًا، ووجهًا، ويدًا على الحقيقة(٢).

وقال أحمد بن محمد الطلمنكي الأندلسي المكي (ت:٤٢٩هـ): وأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾(٣)، ونحو ذلك من القرآن، أنه عِلْمُه، وأن الله فوق السموات بذاته، مستوٍ على عرشه كيف شاء(٤).

وقال إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني (ت: ٤٤٩هـ): ويثبتون له جل جلاله ما أثبت لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، ولا يعتقدون تشبيهًا لصفاته بصفات خلقه، فيقولون: إنه خلق آدم بيده ...، وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار

السنة لابن أبي زمنين، والرد على الجهمية لابن منده.

(١) انظر: (ص: ١٧٨).

(٢) انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف (ص: ٣٥).

(٣) [الحديد: ٤].

(٤) انظر: العلو للعلي الغفار (٢/ ١٣١٥- ٥٢٦)

الصحاح؛ من السمع، والبصر، والعين، والوجه، والعلم، والقوة، والقدرة، والعزة، والعظمة، والإرادة، والمشيئة، والقول، والكلام، والرضا، والسخط، والحب، والبغض، والفرح، والضحك، وغيرها، من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين[1].

وكذلك قال القاضي أبو يعلى الفراء (ت: ٤٥٨هـ) -بعد ذكر صفات كثيرة لله تعالى من الكتاب والسنة-: فإن اعتقد معتقد في هذه الصفات ونظائرها مما وردت به الآثار الصحيحة التشبيه في الجسم والنوع والشكل والطول فهو كافر، وإن تأولها على مقتضى اللغة وعلى المجاز فهو جهمي، وإن أمرَّها كما جاءت، من غير تأويل، ولا تفسير، ولا تجسيم، ولا تشبيه، كما فعلت الصحابة والتابعون، فهو الواجب عليه[2].

وقال في إبطال التأويلات لأخبار الصفات: إنَّ مَن حمل اللفظ على ظاهره حمله على حقيقته، ومن تأوله عدل به عن الحقيقة إلى المجاز، ولا يجوز إضافة المجاز إلى صفاته[3].

وقال ابن عبد البر رحمه الله: أهل السنة مجموعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها، وحملها على الحقيقة

---

[1] انظر: عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص: ١٧- ٢١).

[2] انظر: الاعتقاد لابن أبي يعلى (ص: ٣١).

[3] انظر: إبطال التأويلات (ص: ٧٤).

لا على المجاز، إلَّا أنهم لا يُكيِّفون شيئًا من ذلك، ولا يحدُّون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كُلُّها والخوارج فكُلُّهم يُنكرها ولا يَحْمِلُ شَيْئًا منها على الحقيقة[1].

وقال الفضل بن عبد الواحد السرخسي الحنفي (ت: ٤٩٤هـ): وأهل السنة والجماعة أثبتوا ما هو الأصل معلوم المعنى بالنص ...، وتوقفوا فيما هو المتشابه، وهو الكيفية، ولم يجوزا الاشتقاق في طلب ذلك[2].

وقال إسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني قال علماء السلف: جاءت الأخبار عن النبي ﷺ متواترة في صفات الله تعالى، موافقة لكتاب الله تعالى، نقلها السلف على سبيل الإثبات والمعرفة والإيمان به والتسليم، وترك التمثيل والتكييف...[3].

وأبطل المجاز في صفات الله[4].

وذكر كلامًا نفيسًا في تقرير إثبات الصفات على حقيقتها من غير تشبيه ولا تأويل[5].

---

[1] انظر: التمهيد (٧/ ١٤٥).

[2] انظر: شرح الفقه الأكبر للملا على القاري (ص ٩٣).

[3] انظر: الحجة في بيان المحجة (١/ ١٧٠).

[4] انظر: الحجة في بيان المحجة (١/ ٤٤٦).

[5] انظر: الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٥٧ – ٢٦٢).

ونقل عنه الذهبي في العلو فقال: مذهب مالك، والثوري، والأوزاعي، والشافعي، وحماد بن سلمة، وابن زيد، وأحمد، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدى، وإسحاق بن راهويه: أن صفات الله التي وصف بها نفسه، ووصفه بها رسوله من السمع والبصر والوجه واليدين، وسائر أوصافه، إنما هي على ظاهرها المعروف المشهور، من غير كيف يتوهم فيها، ولا تشبيه ولا تأويل.

قال ابن عيينة: كل شيء وصف الله به نفسه فقراءته تفسيره، ثم قال: أي هو هو، على ظاهره، لا يجوز صرفه إلى المجاز بنوع من التأويل[١].

وأكتفي بهذا النقل وغيره كثير مما له مصنفات، ومما ذكر اسمه في مصنفات أهل السنة والجماعة كابن تيمية وابن القيم وغيرهما رحم الله الجميع.

وأختم ببعض كلام أبي الحسن الأشعري وقد رجع إلى معتقد أهل السنة والجماعة، قال: الإجماع الخامس: وأجمعوا على أن صفته عز وجل لا

---

[١] انظر: العلو (٢/ ١٣٦٣- ٥٤٥).

وانظر: عقائد السلف لعبد الغنى بن عبد الواحد المقدسي (ت:٦٠٠هـ)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي «في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف ٥٤]»، فضل علم السلف على الخلف لابن رجب الحنبلي، وإيثار الحق لابن الوزير، شرح الفقه الأكبر للمُلاَّ عليّ بن سلطان محمد القاري الحنفي (ت:١٠١٤هـ).

تشبه صفات المُحْدَثِين، كما أن نفسه لا تشبه أنفس المخلوقين، واستدلوا على ذلك بأنه لو لم يكن له عز وجل هذه الصفات لم يكن موصوفًا بشيء منها في الحقيقة، من قبل أن من ليس له حياة لا يكون حيًّا، ومن لم يكن له علم لا يكون عالمًا في الحقيقة، ومن لم يكن له قدرة فليس بقادر في الحقيقة، وكذلك الحال في سائر الصفات... إلخ[١].

وقال: مسألة: **فإن قال قائل**: ما أنكرتم أن يكون قوله تعالى: ﴿مِمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ ﴾[٢]، وقوله: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾[٣] على المجاز؟

قيل له: حكم كلام الله تعالى أن يكون على ظاهره، وحقيقته، ولا يخرج الشيء عن ظاهره إلى المجاز إلا بحجة ...، كذلك قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾ على ظاهره أو حقيقته من إثبات اليدين، ولا يجوز أن يُعدَل به عن ظاهر اليدين إلى ما ادَّعاه خصومنا إلا بحجة...، بل الواجب أن يكون قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾ إثبات يدين لله تعالى في الحقيقة غير نعمتين[٤].

---

[١] انظر: رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب (ص: ١٢٢).

[٢] [يس: ٧١].

[٣] [ص: ٧٥].

[٤] انظر: الإبانة عن أصول الديانة (١٦٢)، ومقالات الإسلاميين له (٢/ ١٨٦).

نخلص مما سبق ذكره وإظهاره بفائدتين:

إحداهما: يتبين لكل ذي عقل رشيد أن أهل السنة والجماعة يثبتون جميع صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة على الحقيقة لا على المجاز، إثباتًا مُنَزَّهًا عن التمثيل والتكييف، وبهذا يفارقون طائفتين مرذولتين:

المعطلة: الذين ينفون حقائق الصفات، ويدّعون فيها المجاز بحجة التنزيه.

والمشبهة: الذين يجعلون حقيقة صفات الله كحقيقة صفات المخلوقين، بحجة الإثبات.

الأخرى: موافقة أبي الحسن الأشعري للسلف الصالح في هذا الأصل العظيم من أصول الديانة، مما يستلزم وجوبًا أن يوافقه كل من انتسب إليه، وإلا كان انتسابهم إليه في ذلك دعوى زور مجردة، فليفيقوا من غفلتهم قبل فوات الأوان!!.

مسألة: قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾[(١)]، ولم يقل بعض آياته، وقرينة ذلك قوله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾[(٢)]، وقد بيَّن النبي ﷺ لأصحابه القرآن لفظه ومعناه.

قال أبو عبد الرحمن السُّلمي رحمه الله[(٣)]: حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرِئُونَ (يأخذون) مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ، وَلا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعَمَلِ وَالْعِلْمِ، قَالَ: فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ[(٤)].

---

(١) [ص: ٢٩].

(٢) [محمد: ٢٤].

(٣) عبد الله بن حبيب «ثقة ثبت من كبار التابعين من رجال الجماعة (ت: ٧٠هـ)».

(٤) «حسن»، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٥٤٩)، وأحمد (٥/ ٤١٠)، وابن سعد (٦/ ١٧٢)، الطبري في تفسيره (١/ ٣٦)، والطحاوي في المشكل (١٤٥١).

وذكره الدارقطني في العلل (٣/ ٦٠) من طريق يحيى بن كثير أبي النضر، سمى فيه السلمي: عثمان، وعبد الله بن مسعود، وأُبي بن كعب، قال: فسمى هؤلاء الثلاثة ولم يُسمهم سواه، والأول أشبه.

وأخرجه الطبري: من طريق الأعمش، عن شقيق، عن ابن مسعود قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ، لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يُعْرَفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ»(١).

ومن المعلوم المُسلَّم أنه لا يحصل البيان والبلاغ المقصود من إرسال الله تعالى له إلا بذلك، قال تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٢).

قلت: وهذا يعنى أن يحيى بن كثير انفرد عن جماعة وهم محمد بن فضيل عند ابن أبي شيبة وأحمد، وحماد بن زيد، وجرير بن عبد الحميد عند الطبري، وسفيان، وهمام بن يحيى، عند ابن سعد، والطحاوي. وعليه فهو كما قال رحمه الله.

وأخرج الطحاوي (١٤٥٠)، والحاكم (١/ ٥٥٧) وعنه البيهقي (٣/ ١١٩) من طريق عبد الله بن صالح عن شريك عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن عن ابن مسعود، قال: كنا نتعلم من رسول الله ﷺ.

«وإسناده ضعيف»؛ لأجل عبد الله بن صالح المصري كثير الغلط.

وشيخه: شريك النخعي سيء الحفظ. فيكون ذكر ابن مسعود من هذا الطريق «منكر».

(١) «صحيح موقوفًا» وله حكم الرفع، أخرجه الطبري في التفسير (١/ ٣٥).

(٢) [النحل: ٤٤].

وقال: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[(١)].

وقال: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[(٢)].

وقال: ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[(٣)].

وهذا البلاغ يتضمن بلاغ وبيان المعنى، وأنه في أعلى درجات البيان والتوضيح، وقد ربَّى النبي ﷺ أصحابه على ذلك كله فمن ادعى أنهم لا يعرفون معاني صفات الله ونسب إليهم الجهل بها، فقد أعظم عليهم الفرية، وطعن في الذي رباهم على العقيدة الصحيحة وحَمَّلَهُم رسالته، وهم الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه.

قال عبد الله بن أبي الهذيل العَنَزِي: قلت لعبد الله بن مسعود: أبلغك أن الله عز وجل يعجب ممن يذكره؟، فقال: لا، بل يضحك[(٤)].

وفيه: أن معنى العجب غير معنى الضحك.

وقال الأوزاعي رحمه الله: كان الزهري (ت: **١٢٥**هـ) ومكحول (ت: **١١٢**هـ) يقولان: أَمِرُّوا الأحاديث كما جاءت[(٥)].

---

(١) [الدخان: **٥٨**].

(٢) [فصلت: **٣**].

(٣) [النور: **٥٤**].

(٤) «صحيح»، أخرجه ابن بطة في الإبانة (**٣**/ **١١١** رقم **٨٠**).

(٥) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (**٣**/ **٤٣١**).

والإمرارُ إنما هو إبقاء دلالتها على ما دل عليه لفظها، من غير تعرض لها بتغيير أو تأويل، ولا يكون إمرارًا إلا مع فهم المعنى، وإلا كان لغوًا، وهي كلمة يكثر ترددادها عن السلف الصالح رحمهم الله، وهم يعلمون شرعًا وعقلاً أن إثباتها لله تعالى لا يستلزم التشبيه ولا التكييف، لما هو معلوم يقينًا الفرق بين الخلق والمخلوق.

وقد سبق عن سفيان بن عيينة قوله: كل شيء وصف الله به نفسه في القرآن فقراءته تفسيره، لا كيف ولا مثل، وعَقَّب الذهبي في العلو بقوله: وكما قال سفيان وغيره قراءتُها تفسيرُها، يعنى أنها بيِّنة واضحة في اللغة لا يُبتغى بها مضائق التأويل والتحريف[١].

وهذا عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري رحمه الله (ت: **٢٧٦**هـ) قال: الواجب علينا أن ننتهي في صفات الله إلى حيث انتهى في صفته، أو حيث انتهى رسول الله ﷺ، ولا نُزيل اللفظ عما تعرفه العرب، وتضعه عليه، ونمسك عما سوى ذلك[٢].

وهذا سهل بن عبد الله التُّسْتَرِي الزاهد رحمه الله (ت: **٢٨٣**هـ) قال: احتفظوا بالسواد على البياض، فما أحد ترك الظاهر إلا خرج إلى

---

[١] انظر: العلو للعلي الغفار (ص: **٢٥١**).

[٢] انظر: الاختلاف في اللفظ (ص: **٤٤**).

الزندقة[١].

وهذا عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني رحمه الله (ت: ٢٨٧هـ) يقول: فنحن نؤمن بها لصحتها وعدالة ناقليها ويجب التسليم لها على ظاهرها، وترك تكلف الكلام في كيفيتها...[٢].

وهذا محمد بن جرير الطبري رحمه الله يقول: ... وليس عندنا للخبر إلا التسليم والإيمان به، فيقول يجئ ربنا جلَّ جلاله يوم القيامة والملك صفًا صفًا، ويهبط إلى السماء الدنيا وينزل إليها في كل ليلة، ولا تقول: معنى ذلك ينزل أمره...[٣].

وهذا محمد بن القاسم الأنباري اللُّغوي (ت: ٣٢٨هـ) في قوله تعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[٤]، قال: قال أصحاب النقل، والأخذ بالأثر الأعين: يريد به العين، قال: وعين الله لا تفسر بأكثر من ظاهرها، ولا يسع أحدًا أن يقول: كيف هي؟ أو ما صفتها؟[٥].

وهذا أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي أبو سليمان يقول: فأما ما

---

[١] انظر: ذم الكلام وأهله للهروي (٤/ ٣٧٨).

[٢] انظر: العلو (١/ ١٩٧).

[٣] انظر: التبصير في معالم التنزيل (ص: ١٤٨ - ١٤٩).

[٤] [هود: ٣٧].

[٥] انظر: تهذيب اللغة (٣/ ٢٥).

سألت عنه من الكلام في الصفات وما جاء منها في الكتاب والسنن الصحيحة، فإن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظاهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها...[١].

وهذا أبو نصر السجزي قال: ... وقد اتفقت الأئمة على أن الصفات لا تؤخذ إلا توقيفًا، وكذلك شرحها لا يجوز إلا بتوقيف، فقول المتكلمين في نفي الصفات أو إثباتها بمجرد العقل، أو حملها على تأويل مخالف للظاهر ضلالٌ...[٢].

وهذا أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء قال: واعلم أنه لا يجوز رد الأخبار على ما ذهب إليه جماعة من المعتزلة، ولا التشاغل بتأويلها على ما ذهب إليه الأشعرية، والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفات لله تعالى لا تشبه صفات الموصوفين بها من الخلق ولا نعتقد التشبيه فيها...[٣].

ومثل من ذكرتُ ابن عبد البر، والهروي، وأبو محمد البغوي، وأبو القاسم الأصبهاني، وابن قدامة، وغيرهم كثير...، هذا وقد أبطل خلاف

---

[١] نقله عنه ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥/ ٥٨)، والذهبي في العلو (٢/ ١٢٩٤- ٥١٦) وعزوه إلى رسالته: «الغنية عن الكلام وأهله» وهو مفقود.

[٢] انظر: رسالته إلى أهل زبيد (ص: ١٢٢).

[٣] انظر: إبطال التأويلات (١/ ٤٣).

ما ذكرت أبو الحسن الأشعري في إبانته بنقله الإجماع عليه[١].

وقال في رسالته إلى أهل الثغر: الإجماع العاشر: وأجمعوا على ما وصف الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه، ووصفه نبيه من غير اعتراض فيه، ولا تكييف له، وأن الإيمان به واجب وترك التكييف له لازم[٢].

وبهذا يظهر لنا فهم قولهم: «بلا كيف» ولا نفسرها وأمروها كما جاءت.

قلت: وقد اتفق أهل السنة على تحريم التأويل بإخراج نصوص الصفات عن ظاهرها:

قال محمد بن الحسن الشيباني (ت: **١٨٩**هـ): اتفق الفقهاء كلهم من المشرق والمغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تغيير، ولا وصف، ولا تشبيه، فمن فسر اليوم شيئًا من ذلك، فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ، وفارق الجماعة؛ فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا؛ ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة، ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة؛ فإنه قد وصفه

---

[١] انظر: الإبانة عن أصول الديانة (ص: **١١١**).

[٢] انظر: (ص: **١٣٣**).

بصفة لا شيء[١].

وبهذا يظهر اضطراد قاعدة السلف في جميع الصفات لا يفرقون بين صفة وأخرى، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ وهذه آية جامعة عامة في أن الله تعالى لا يماثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته ولا في أفعاله.

منشأ ضلال الأشاعرة والمعتزلة وغيرهم في هذا الباب:

أولًا: ظنهم أن آيات الصفات من المتشابه، وهذا لا يُعلم عن أحد من السلف الصالح ممن سبق ذكرهم ومن لم أذكرهم بعد استقراء واسع المجال، وهذا الطبري ذكر في تفسيره: اختلاف السلف في تحديد الآيات المتشابهات على خمسة أقوال، ليس منه آيات الصفات[٢].

---

[١] انظر: الرد على الجهمية للدارمي، وشرح السنة للبربهاري، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/ ٤٣٢)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ١٦٢)، والحجة للأصبهاني (١/ ٢٣١-٢٤٤)، وغيرهم رحمهم الله.

وانظر: لزامًا مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ٢٨٤-٣٤٥)، والإبانة له (ص: ٤١-١١٧).

[٢] انظر: تفسير الطبري (٣/ ١٧٢، ١٧٥)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/ ٣٥١)، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص: ٨٩- ١٠٠)، وروح المعاني للألوسي (٢/ ٨٥).

ثانيًا: إثبات الصفات لله، وإثبات لوازمها من صفات المخلوقين.

وهذا جهل بالشرع والعقل السليم واللغة، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

وقال: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾[1].

وقال: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[2].

وبهذا يظهر بوضوحٍ معنى ما أراده المصنف بقوله: «**وقدرة الله، ونعته، وصفاته، كلمات غير مخلوقة**».

«**أيات أزليات**»: الأزل: القِدَم.

«**وليست بمحدثات**»: تأكيد على الأزلية.

والحادث يَبِيدُ، والله حيٌّ قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، وهذا بلازم قوله: «ولا كان ربنا ناقصًا فيزيد».

«**جل صفاته عن شبيه صفات المخلوقين**»: في ذلك تقرير لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾، أثبت السمع والبصر لجلاله سبحانه، ونفي الشبيه والنظير.

«**وقصرت عنه فطن الواصفين**»: كل من هو ذو فطنةٍ للأشياء، وهذا

---

(١) [النحل: ٧٤].

(٢) [البقرة: ٢٢].

تقرير لما أُثر عن السلف الصالح في صفاته سبحانه «أمرُّوها كما جاءت»، والمقصود بالإمرار هو إبقاء دلالتها على ما دل عليه لفظها، من غير تعرض لها بتشبيه أو تأويل أو تعطيل.

فالرحمن على عرشه استوى، استواءً حقيقيًّا، غير معلوم كيفيتُه، تقصر عن وصفه فطنة الواصفين، ويلزم التسليم لكل ما وصف به نفسه المولى الكريم، ووصفه به رسوله الكريم ﷺ.

قوله: «**قريب بالإجابة عند السؤال**»: تقرير لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[1].

ولقوله: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾[2].

وفي الحديث الصحيح: «... من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ من ذا الذي يسترزقني فأرزقه؟ من ذا الذي يستكشف الضر فأكشفه عنه؟ ...»[3].

قوله: «**بعيد بالتعزز لا يُنال**»: صار عزيزًا فوق عرشه سبحانه جل في

---

[1] [البقرة: ١٨٦].

[2] [النمل: ٦٢].

[3] أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٨- ٧٥٠٩) واللفظ له، والبخاري (١١٤٥، ٦٣٢١، ٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

علاه.

«**عالٍ على عرشه**»: تفسير لقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[1]، إثبات صفة العلو لله العزيز الجبار على حقيقتها من غير كيف.

وقوله: «**بائن من خلقه**»: تأكيد على صفة استوائه، وأنها على حقيقتها من غير كيف، وأنه سبحانه مع خلقه بعلمه وإحاطته، فهو الذي أحاط بكل شيء علمًا.

قوله: «**موجود**»: أظهرها بقوله: «**ليس بمعدوم ولا مفقود**»، فعندما يقول أحدنا، أو نسمع من يقول: الله موجود، فلا بد أن نستفصل منه، فإن أراد أنه ليس بمعدوم وليس بمفقود، فهذا ما قرره المصنف، وهو منهج أهل السنة والجماعة، وفي ذلك تقرير لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾[2]، وأما إن قصد بموجود عقيدة الحلول والاتحاد، وأنه موجود في كل مكان بذاته، فهذا هو المعنى الباطل الذي حذَّر منه السلف رحمهم الله.

لكن المقصود أنه ليس بمعدوم ولا مفقود، وفي ذلك تقرير لقوله

---

[1] [طه: ٥].

[2] [البقرة: ٢٥٥].

تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴾[1]، وليس المراد: موجود في كل مكان بذاته سبحانه كما اعتقد ذلك من ضل طريق الحق.

(١) [البقرة: ٢٥٥].

[المسألة التاسعة: الآجال]

والخلق ميتون بآجالهم، عِنْد نفاد أَرْزَاقهم، وَانْقِطَاع آثَارهم[1].

ـ الشرح ـ

قوله: «**والخلق ميتون**»: لقوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾[2]، و﴿ كُلُّ ﴾ أقوى دلالات العموم والشمول.

وقوله: «**الخلق**»: أي كل نفس منفوسة من الخلق، ويستثنى ما كتب الله له البقاء كالجنة والنار، وعرش الرحمن، وغير ذلك[3]، لقوله تعالى:

---

(١) قال في هامش الأصل «أي: خطاهم».

(٢) [آل عمران: ١٨٥].

(٣) قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٠٧)، وفي بيان تلبيس الجهمية (١/ ٥٨١): وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك، ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين، كالجهم بن صفوان، ومن وافقه من المعتزلة، ونحوهم، وهذا قول باطلٌ، يخالف كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وإجماع سلف الأمة وأئمتها، كما في ذلك من الدلالة على بقاء الجنة وأهلها وبقاء غير ذلك، مما لا تتسع هذه الورقة لذكره.

وقال السيوطي رحمه الله (ت: ٩١١هـ):

ثمانية حكم البقاء يعمها ... من الخلق والباقون في حيز العدم

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾(٣).

وقال: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾(٤).

هي العرش والكرسي ونار وجنة ... وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

وقال ابن القيم في النونية (ص: ١٢):

والعرش والكرسي لا يُفْنِيهما ... أيضًا وإنهما لمخلوقان

والحور لا تفنى كذلك جنة الـ ... مأوى وما فيها من الولدان

ولأجل هذا قال جهم إنها ... عدم ولم تخلق إلى ذا الآن

والأنبياء فإنهم تحت الثرى ... أجسامهم حفظت من الديدان

ما للبلى بلحومهم وجسومهم ... أبدًا وهم تحت التراب يدان

وكذاك عَجْبُ الظهر لا يبلى بلى ... منه تُرَكَّبُ خلقة الإنسان

وكذلك الأرواح لا تبلى كما ... تبلى الجسوم ولا بِلَى اللحمان. «ع»

(١) [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

(٢) [الزمر: ٣٠].

(٣) [لقمان: ٣٤].

(٤) [ق: ١٩].

وقال: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾[1]، والآيات في الباب كثيرة.

قوله: «**بآجالهم**»: لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾.

وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾[2]، والمراد من حيث المنشأ، خلق مادتكم وأبيكم آدم من طين؛ بقرينة قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾[3]، هذه الآية جمعت مسألة الخلق، والموت، والبعث، والحساب.

وقال: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾

---

[1] [آل عمران: ١٤٥]

[2] [الأنعام: ٢]

[3] [المؤمنون ١٢-١٦].

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾[1] هذه أوضحت سابقتها.

وقال: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ أي: لمدة إقامتكم في هذه الدار – الدنيا – تتمتعون، وتُمتحنون، وتبتلون، ليبلوكم أيكم أحسن عملاً.

وقوله: ﴿أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾: الدار الآخرة التي ينتقل العباد إليها من هذه الدار الدنيا فيجازيهم بأعمالهم من خير وشر.

وقرينة ذلك في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2]، وفي هذا كله تقرير لألوهيته سبحانه، وأخبر أنه وحده المنفرد بتدبير عباده في يقظتهم ومنامهم، وأنه يتوفاهم بالليل وفاة النوم، ويبعثهم في اليقظة من نومهم، وهكذا، حتى يستوفوا آجالهم في هذه الحياة، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[3].

وقال: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ

---

[1] [السجدة: ٧-٨].

[2] [الأنعام: ٦٠].

[3] [الأعراف: ٣٤].

﴿ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[(١)]، العذاب مضروب له نزوله، ولم يأت بعد، ولولا ذلك لجاءهم العذاب، وإنه سيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون.

واقرأ قوله تعالى في آخر هود: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[(٢)] وأين هم؟

ج/ ولكل أمة أجل، وكذا في قوله: ﴿ ..لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾[(٣)] والآيات في ذلك كثيرة.

قوله: «**عند نفاد أرزاقهم**»: فعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَسْتَبْطِئُوا الرِّزْقَ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَبْدٌ يَمُوتُ حَتَّى يَبْلُغَهُ آخِرُ رِزْقٍ هُوَ لَهُ، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ فِي الْحَلَالِ، وَتَرْكِ الْحَرَامِ»[(٤)].

---

(١) [العنكبوت: **٥٣**].

(٢) [هود: **١٢٠**].

(٣) [الرعد: **٣٨**].

(٤) «صحيح»، أخرجه ابن حبان (**٣٢٣٩، ٣٢٤١**)، والحاكم (**٢/ ٤**)، والبيهقي (**٥/ ٢٦٤**) من طريق عبد الله بن وهب، ثنا عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية (**٣/ ١٥٦**) من طريق وهب بن جرير، عن شعبة بن الحجاج.

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ»[1].

كلاهما (سعيد، وشعبة) عن محمد بن المنكدر.

وفي سياق: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَنْ يَمُوتَ حَتَّى يَسْتَكْمِلَ رِزْقَهُ، فَلاَ تَسْتَبْطِئُوا الرِّزْقَ، وَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ وَدَعُوا مَا حُرِّمَ »، وفي سياق: « أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا،....».

أخرجه ابن ماجه (٢١٤٤) من طريق الوليد بن مسلم.

والحاكم (٢/ ٤) من طريق محمد بن بكر.

والقضاعي في مسند الشهاب (١١٥٢) من طريق حجاج بن محمد.

والبيهقي (٢/ ٢٦٥) من طريق عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد.

أربعتهم (محمد، والوليد، وحجاج، وعبد المجيد) عن ابن جريج، عن أبي الزبير.

كلاهما (محمد بن المنكدر، وأبو الزبير) عن جابر رفعه.

فهو صحيح من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويشهد لما بعده.

[1] «حسن بشواهده»، أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١١٥١) من طريق هيثم أنبا إسماعيل بن أبي خالد، عن زبيد اليامي، عمن أخبره عن ابن مسعود، وإسناده ضعيف؛ لجهالة من أخبر زبيد اليامي.

وعن أَبِي أُمَامَةَ الباهلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «نَفَثَ رُوحُ الْقُدُسِ فِي رُوْعِي أَنَّ نفسًا لَنْ تَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُم اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»(١).

وعن حُذَيْفَةَ بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَدَعَا النَّاسَ، فَقَالَ: «هَلُمُّوا إِلَيَّ»، فَأَقْبَلُوا إليهِ فَجَلَسُوا، فَقَالَ: «هَذَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ جِبْرِيلُ نَفَثَ فِي رُوْعِي أَنَّهُ لَا تَمُوتُ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، وَإِنْ أَبْطَأَ

والحاكم (٢/ ٦) من طريق خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن سعيد بن أبي أمية الثقفي، عن يونس بن بكير، عن ابن مسعود رفعه: «لَا يَسْتَبْطِئَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ رِزْقَهُ أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السَّلَامُ أَلْقَى فِي رُوعِيَ أَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَكْمِلَ رِزْقَهُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ؛ فَإِنِ اسْتَبْطَأَ أَحَدٌ مِنْكُمْ رِزْقَهُ، فَلَا يَطْلُبْهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُنَالُ فَضْلُهُ بِمَعْصِيَةٍ».

وهذا إسناد ضعيف أيضًا؛ لأجل سعيد بن أبي أمية «مجهول».

وشيخه: يونس بن بكير، «صدوق يخطئ» من الطبقة التاسعة، لم يدرك عبد الله بن مسعود.

(١) «حسن بشواهده»، أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ١٦٦- ٧٦٩٤) من طريق عُفير بن معدان، عن سليم بن عامر، عن أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وإسناده ضعيف؛ لضعف عفير بن معدان.

عليها، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ...» إلخ[1].

[1] «حسن بشواهده»، أخرجه البزار (**١٢٥٣** - كشف الأستار) من طريق قدامة بن زائدة بن قدامة، حدثني أبي، عن عاصم، عن زر، عن حذيفة، فذكره.

وإسناده ضعيف؛ لجهالة قدامة بن زائدة.

[المسألة العاشرة: القبر]

ثمَّ هم بعد الضغطة فِي الْقُبُور مُسَاءَلُون[1].

ـ الشرح ـ

القبر: هو ما يُقبر فيه الميت ويوارى، وهو دار البرزخ ما بين دار الدنيا ودار القرار، وقد جعل الله لكل دار أحكامًا تخصها، ولا نتكلم فيها إلا بالمنقول الصحيح، وقد خلق الله الإنسان من بدن ونفس (وروح)، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان أصالة، والأرواح تبع لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح أصالة، والأبدان تبع لها؛ فإذا جاء يوم حشر الأجساد وقيام الناس لرب العالمين من قبورهم للحساب، صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعًا؛ فإذا تأملت هذا المعنى حق التأمل وقد أظهرته النصوص الواردة، ظهر لك أن كون القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار مطابق للعقل السليم، وأنه حق لا مرية فيه، وبذلك يتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم، ويجب أن يعلم أن النار التي في القبر، والنعيم ليس بلازم أن يكون من جنس نار الدنيا ولا نعيمها كما يتخيله أصحاب العقول المرذولة، وإن كان الله تعالى يحمي عليه التراب والحجارة التي فوقه وتحته حتى يكون أعظم حَرًّا من حرِّ الدنيا، ولو مسها

[1] في (ج): [مسئولون].

أهل الدنيا لم يحسوا بها؛ بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفن أحدهما إلى جنب صاحبه، وهذا في حفرة من النار، وهذا في روضة من الجنة، لا يصل من هذا إلى جاره شيء من حر ناره، ولا من هذا إلى جاره شيء من نعيمه، وقدرة الله أوسع من ذلك وأعجب؛ ولكن النفوس الرديَّة مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علمًا، ولو أطلع الله على ذلك العباد لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب، ولَما تَدافن الناس كما في «صحيح مسلم» من حديث أبي سعيد الخدري، وأنس مرفوعًا: «لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»(١).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا المُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا»(٢).

وفي حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، وفيه: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ ... مَا دِينُكَ؟ ...

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٣٨، ١٣٧٤).

مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟[١].

وفي حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ، أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلآخَرِ: النَّكِيرُ»[٢].

وفي حديث عائشة ﷺ: أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عليها، فَذَكَرَتْ عَذَابَ القَبْرِ، فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكِ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَذَابِ القَبْرِ، فَقَالَ: «نَعَمْ، عَذَابُ القَبْرِ»، قَالَتْ عَائِشَةُ ﷺ: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدُ صَلَّى صَلاَةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ[٣].

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ»[٤].

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ،

---

[١] «صحيح»، أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧)، وابن منده في الإيمان (١٠٦٤)، والحاكم (٣٧٨)، واللالكائي (٢١٤٠).

[٢] «حسن»، أخرجه الترمذي (١٠٧١) واللفظ له، وابن حبان (٣١١٧)، والآجري (٨٥٨)، وغيرهم.

[٣] أخرجه البخاري (١٣٧٢)، ومسلم (٥٨٦).

[٤] أخرجه البخاري (١٣٧٧) واللفظ له، ومسلم (٥٨٨).

فَقَالَ: «... إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ...»[1].

وقد أشار القرآن إلى عذاب القبر، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾[2].

في وجه من وجوه التأويل ﴿ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ في القبر، حيث يضيق عليه وتختلف أضلاعه.

وقال في فرعون وقومه: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[3]، في القبر لمَّا ماتوا، فإذا كانت القيامة يقال: ﴿ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾.

وعلى كل حال تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه، وسؤال الملكين؛ فيجب اعتقاد ثبوت ذلك، والإيمان به، من غير لِمَ؟ ولا كيف؟ على ذلك أهل السنة والجماعة قاطبة؛ إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي إلا بما تُجَوِّزه العقول السليمة، ولكنه قد يأتي بما تُحار فيه العقول الردية المرذولة.

---

[1] أخرجه البخاري (٢١٨)، ومسلم(٢٩٢).

[2] [طه: ١٢٤].

[3] [غافر: ٤٦].

والمعتزلة أنكروا عذاب القبر؛ فإن كان المُنْكِر لأصلٍ كهذا من أصول الاعتقاد، وركن من أركان الإيمان – وهو الغيب –؛ فإن كان متعمدًا عارفًا بالنصوص، لكنه يُكابر وينفي بعقله المجرد، فلا شك في كفره، إذ هو ناقض.

وأما إذا كان جاهلاً أو مقلدًا أو متأولًا، فيحكم عليه بالضلال، ولا يكفر ابتداءً، إلا عند البيان أو انتفاء الموانع[١].

---

[١] عند قيام شروط التكفير. «ع»

[المسألة الحادية عشر: النشور والحساب]

وَبعد البِلَى منشورون، وَيَوْم الْقِيَامَة إِلَى رَبهم مَحْشُورُونَ، ولدى[١] الْعرض عليه محاسبون، بِحَضْرَة الموازين وَنشر صحف الدَّوَاوِين[٢]، أَحْصَاهُ اللهُ ونسوه[٣]، فِي يَوْم كَانَ مِقْدَاره خمسين ألف سنة، لَو كَانَ غير الله عز وَجل الْحَاكِم بَين خلقه، اللهُ[٤] يَلِي الحكم بَينهم بعدله بِمِقْدَار القائلة فِي الدُّنْيَا وَهُوَ أسْرع الحاسبين، كَمَا بدأه لَهُم من[٥] شقاوة وسعادة يَوْمئِذٍ يعودون[٦]، فريق فِي الْجنَّة وفريق فِي السعير.

ـ الشرح ـ

قوله: «**وبعد البلى منشورون**»: يُقال: بلي الثوبُ بِلى: يعنى: وشي، ويقال: بلى الدارُ: فنيت.

وهذه متعلقة بالتي قبلها، إذا مات الإنسان، دُفن في قبره، وتفنى جثته وتبلى، وهذه حياة برزخية لا نعلم بما فيها إلا بما ورد إلينا بالنقل

---

[١] قال في هامش الأصل: «أي: عند»، وهي كذلك في (ج).

[٢] قال في هامش الأصل: «أي: الكتاب».

[٣] قال في هامش الأصل: «يعني الكفار نسوا الله».

[٤] هكذا في الأصل، وفي (ج): [فالله]، وفي المطبوع [لكنه الله].

[٥] في (ج): [كما بدأهم من له شقاوة وسعادة].

[٦] في (ج): [تعودون].

الصحيح، كما سبق ذكره في المسألة العاشرة؛ فالإيمان بذلك واجب، وبعد هذا النشور.

قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾[1].

النفخة الأولي: هي نفخة الفزع والموت، والتي في الآية هي نفخة البعث والنشور التي يبعثون بها من قبورهم إلى ربهم ينسلون: أي يُسرعون للحضور في ساعة الحساب، وهذا غيب يجب الإيمان به من غير لم، ولا كيف؟

وقال تعالى: ﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾[2]، هكذا يخرجون من القبور كَلِيلَةً أبصارهم من الذل والهوان، كأنهم لكثرتهم واختلاطهم وروجان بعضهم ببعض، جراد مبثوث مختلط بعضه ببعض، مسرعين لإجابة الداعي وهو إسرافيل المَلَك المسؤول عن النفخ في الصور، وهذا غيب يجب الإيمان به، يغاير عقول المعتزلة.

وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ

---

(1) [يس: ٥١].

(2) [القمر: ٧ – ٨].

فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾(١) ، كذلك يحيي الله العباد بعد موتهم، كما أحيا الأرض بعد موتها، ينشر الله الأموات من قبورهم بعدما مزَّقَهُم البلى، كيف؟! غيب يجب الإيمان به.

قوله: «**ويوم القيامة إلى ربهم محشورون**»: قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾(٢).

وقال: ﴿ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾(٣).

وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾(٤).

وقال: ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّاۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴾(٥).

لماذا الحشر؟

---

(١) [فاطر: ٩].

(٢) [البقرة: ٢٠٣].

(٣) [الأنعام: ٧٢].

(٤) [الأنفال: ٣٦].

(٥) [الإسراء: ٩٧].

وقوله: «**ولدى العرض عليه محاسبون**»: فيجازيهم، هل قاموا بتقواه فيثيبهم الثواب الجزيل، أم لم يقوموا بها فيعاقبهم، وهو الذي جمعهم ليوم القيامة، فيجازيهم بأعمالهم خيرها وشرها.

وأما الذين كفروا إلى جهنم يحشرون، يجمعون إليها ليذوقوا عذابها قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[١]، ووصف الله عز وجل نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم، وهو القوي الجبار الملك.

وقال: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[٢].

وقال: ﴿لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[٣]، وفي ساحة الحساب يقف الإنسان حافيًا عاريًا لا ينشغل إلا بنفسه، لا زوجة ولا ولد ولا مال ولا ...، فينظر أيمن منه فلا يجد إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يجد إلا ما قدم، وعن أمامه النار.

قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ

---

[١] [البقرة: ٢٠١ – ٢٠٢].

[٢] [آل عمران: ١٩].

[٣] [إبراهيم: ٥١]

كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾[1].

وقال: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾[2].

قوله: «**بحضرة الموازين**»: فيه الإيمان بالميزان يوم القيامة، يوزن فيه الخير والشر، ميزان حقيقي له كِفَّتان ولسان، من غير تشبيه ولا تعطيل.

قال تعالى: ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾[3].

وقال: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾[4].

وقال: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾[5].

---

(1) [الإسراء: ١٣].

(2) [الانشقاق: ٧ – ٨].

(3) [الأعراف: ٨ – ٩].

(4) [المؤمنون: ١٠٣].

(5) [القارعة: ٦ – ٩].

هكذا ويوزن فيه الحسنات والسيئات.

وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَخْلِصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عليهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلاً، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ قَالَ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ، أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً، لَا ظُلْمَ اليومِ عليك، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ، فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ»، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كِفَّةٍ»، قَالَ: «فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، وَلَا يَثْقُلُ شَيْءٌ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (وَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ)»[1].

وفي هذا دليل على أن هناك كِفتين للميزان توضع فيهما الأعمال يوم القيامة، كيف؟ غيب يجب الإيمان به، وله لسان، وهو المعروف عند الناس، بقلب الميزان (المؤشر) الذي يميل يُمنة أو يسرة.

---

[1] «حسن»، أخرجه ابن المبارك كما في زوائد الزهد (٣٧١)، وأحمد (٢/ ٢١٣)، والترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وابن حبان (٢٢٥)، والحاكم (١/ ٦)، والبغوي (٤٣٢١).

قال ابن حجر: قال أبو إسحاق الزجاج: أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال[1].

وقد نصَّ على ذلك البربهاري في شرح السنة[2].

وضلت المعتزلة فقالت: المراد بالموازين والميزان، إقامة العدل، وليس بميزان محسوس.

وهذا باطل، اعتمدوا فيه على عقولهم.

قوله: «**ونشر صحف الدواوين أحصاه الله ونسوه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، لو كان غير الله عز وجل الحاكم بين خلقه**»[3].

وما ذكره المصنف تفهمه في تفسير قوله تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[4]، يعنى أن مقدار الأمر

---

(1) انظر: فتح الباري (**١٣/ ٥٣٨**).

(2) انظر: شرح السنة (ص: **٤٢**).

(3) «حسن»، انظر حديث البطاقة عند أحمد (**٢/ ١٧٠**)، والترمذي (**٢٦٣٩**)، وابن ماجه (**٤٣٠٠**)، وغيرهم، وسبق.

(4) [المعارج: **٤**].

فيه لو تولاَّه مخلوق، خمسون ألف سنة وهو سبحانه يفرغ منه في ساعة[١].

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ﴾[٢]، الصحف المشتملة على عمل العاملين من خير وشر، ونُشرت ومُزِّقت على أهلها، فمن آخذ كتابه بيمينه، ومن آخذه بشماله أو من وراء ظهره.

وفي الإسراء: ﴿ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ١٣ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ ﴾[٣] فيه ما عمله من خير وشر، صغيره وكبيره حاضرًا، ويقال له: ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ ﴾.

قوله: «**لكن الله يلي الحكم بينهم بعدله بمقدار القائلة في الدنيا**»: لقوله: ﷺ: «يَوْمُ الْقِيَامَةِ كَقَدْرِ مَا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ»[٤].

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾[٥].

---

[١] قاله الشوكاني في فتح القدير (٥/ ٢٨٨)، وأصله عند القرطبي (١٨/ ٢٨٢) وعزاه إلى عكرمة، ومحمد بن كعب القرظي.

[٢] [التكوير: ١٠].

[٣] [الإسراء: ١٣ - ١٤]

[٤] «صحيح»، أخرجه الحاكم (١/ ٨٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، وموقوفًا، ولا يضره الاختلاف في ذلك؛ لأنه مما لا مجال للرأي فيه.

[٥] [الكهف: ٤٩].

وقال: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾[١].

قوله: ﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾[٢] سبقت الإشارة إلى الآيات الدالة على ذلك.

وفي الصحيحين من حديث عديٍّ بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، وَلاَ حِجَابٌ يَحْجُبُهُ»[٣]، وهذا له رابط برؤية الله عز وجل يوم القيامة، ولذا في أصول السنة للبربهاري قال: والإيمان بالرؤية يوم القيامة، يرون الله بأبصار رؤوسهم، وهو يحاسبهم، بلا حجاب ولا ترجمان[٤].

قوله: «**كما بدأه لهم من شقاوة وسعادة يومئذ يعودون، فريق في الجنة وفريق في السعير**»: لعله يشير إلى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «فَيَكْتُبُ: رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ»[٥]، هذا في

---

[١] [الأنبياء: ٤٧].

[٢] [الأنعام: ٦٢].

[٣] أخرجه البخاري (٧٤٤٣) واللفظ له، ومسلم (١٠١٦).

[٤] انظر: شرح السنة للبربهاري (ص: ٤٢).

[٥] أخرجه البخاري (٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣).

قال «ع»: الأقرب الإشارة إلى الكتابة في اللوح المحفوظ.

الدنيا، والله أعلم بما يختم له به، وكذا الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾[(1)]، كله غيب أخبرنا به الله ورسوله ﷺ؛ فوجب الإيمان به من غير لم، ولا كيف؟

(1) [الأعراف: ٢٩ – ٣٠].

[المسألة الثانية عشر: الجنة والنار]

وَأهل الجْنَّة يَوْمئِذٍ فِي الجْنَّة يتنعمون[١]، وبصنوف اللَّذَّات يتلذذون، وبأفضل الكرامة يحبرون[٢].

فهم حِينَئِذٍ إِلَى رَبهم ينظرُونَ، لَا يُمارون[٣] فِي النّظر إِلَيْهِ وَلَا يَشُكُّونَ، فوجوههم بكرامته ناضرة[٤]، وأعينهم بفضله إِلَيْهِ [ناظرة][٥]، من[٦] نعيم دَائِم[٧] مُقيم، و ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ[٨] [٣٥/أ] فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾[٩].

﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ

---

[١] في (ج): [ينعمون].

[٢] قال في هامش الأصل: «أي: يسرون».

[٣] قال في هامش الأصل: «أي: لا يجادلون».

[٤] قال في هامش الأصل «أي: حسنة».

[٥] ليست في الأصل، ومثبتة من (ج)، والمطبوع، والسياق يقتضيها.

[٦] في (ج)، والمطبوع: [في].

[٧] [دائم] ليست في (ج).

[٨] قال في هامش الأصل «أي تعب».

[٩] [الحجر: ٤٨].

ٱلنَّارُ ﴾[١].

وَأهل الجُحْد عن ربهم يومئذٍ محجوبون، وَفِي النَّار يسجرون[٢]، بئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون.

و ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا[٣] ﴾[٤] **الْآيَة، خلا[٥] من شَاءَ اللهُ من المُوَحِّدين إخراجهم مِنْهَا.**

ـ الشرح ـ [٦]

قوله: «**وأهل الجنة يومئذ في الجنة يتنعمون، وبصنوف اللذات يتلذذون، وبأفضل الكرامة يحبرون**»: **فيه**: إثبات الجنة ونعيمها لأهله، وهذا غيب، الإيمان به واجب لازم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: قَالَ اللَّهُ تعالى: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ

---

[١] [الرعد: ٣٥].

[٢] في (ج): [مسجورون].

[٣] زاد في المطبوع: [كذلك نجزي كل كفور].

[٤] [فاطر: ٣٦].

[٥] في (ج): [إلا].

[٦] انظر: مطلع المسألة الخامسة.

بَشَرٍ»[١].

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ»[٢].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ الْجَوَادَ الْمُضَمَّرَ السَّرِيعَ، مِائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا»[٣].

وعنه أيضًا أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتعالى يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ؟»، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: «هَلْ رَضِيتُمْ؟»، فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: «أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ»، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: «أُحِلُّ عليكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عليكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»[٤].

وعنه أيضًا أن رسول الله ﷺ، قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ تِلْكَ مَنَازِلُ

---

[١] أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

[٢] أخرجه مسلم (٢٨٢٦).

[٣] أخرجه مسلم (٢٨٢٨).

[٤] أخرجه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).

الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ «بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، لاَ يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ، لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا»(٢).

ومن حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ» قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: «جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ»(٣).

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وهذا غيب يتعين الإيمان به من غير لم، ولا كيف؟

قوله: «**فهم حينئذ إلى ربهم ينظرون، لا يمارون في النظر إليه ولا**

---

(١) أخرجه البخاري (**٣٢٥٦**)، ومسلم (**٢٨٣١**).

(٢) أخرجه مسلم (**٢٨٣٤**).

(٣) أخرجه مسلم (**٢٨٣٥**).

يشقون... إلخ»: فيه إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وهذا معتقد أهل السنة والجماعة قاطبة، وأصل من أصولهم، وأنكر ذلك المعتزلة والجهمية[1] وغيرهم من الفرق الضالة المنتسبة إلى الإسلام، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[2]، والنص على ظاهره، على ذلك جماعة المفسرين أهل السنة والجماعة؛ ولحديث صهيب الرومي مرفوعًا عند «مسلم»[3] في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[4] أن الزيادة هي النظر إلى وجه الله، وأحاديث الرؤية متواترة، منها: حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، قال: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ...»[5]، وفي بعضها: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا»[6]، وكفى.

وكذا بقرينة قوله تعالى في حق الكافرين المجرمين: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ

---

[1] قال ابن القيم في نونيته (ص: ٤٢):

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان

واللالكائي الإمام حكاه عنـ ... ـهم بل حكاه قبله الطبراني

[2] [القيامة: ٢٢ - ٢٣].

[3] أخرجه مسلم (١٨١).

[4] [يونس: ٢٦].

[5] أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

[6] أخرجه البخاري (٧٤٣٥).

يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[(١)]، لها منطوق ومفهوم، فإذا كان الكافر محجوب، فالمسلم المؤمن غير محجوب.

وقوله: «**وأهل الجحد عن ربهم يومئذ لمحجبون، وفي النار يسجرون ... إلخ**»: لقوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴾[(٢)]، بجوار ما ذكر المصنف المزني رحمه الله، من الآيات الدالة على حال الكافرين في النار، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «يُدْخِلُ اللهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ فَيَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، كُلٌّ خَالِدٌ فِيمَا هُوَ فِيهِ»[(٣)].

قوله: «**خلا من شاء الله من الموحدين إخراجهم منها**»: أي بعد عذاب إن دخلوها، وهذا معتقد أهل السنة والجماعة، خلافًا للخوارج والمعتزلة وغيرهما من الفرق الضالة.

---

(١) [المطففين: ١٥].

(٢) [المطففين: ١٥ – ١٦].

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٤٤)، ومسلم (٢٨٥٠) واللفظ له.

[المسألة الثالثة عشر: طاعة الأئمة والأمراء، ومنع الخروج عليهم]

وَالطَّاعَة لأولي الْأَمر فِيمَا كَانَ عِند الله عز وَجل مرضيًّا، وَاجْتنَاب مَا كَانَ عِنْد الله(١) مسخطًا، وَترك الْخُرُوج عِنْد تَعَدِّيهم وجورهم، وَالتَّوْبَة إِلَى الله عز وَجل كَيْمَا يعْطف بهم على رعيتهم.

ـ الشرح ـ

هذا أصل اتفق عليه أهل السنة والجماعة، وقد أظهرتُ المسألة في «شرح أصول السنة لأحمد»، و«البربهاري»، ولم يشذ عنهم معتبر، ومن حكي عنه من بعض فقهاء المذاهب المعتبرة، إن ثبت عنه فهو شذوذ منه بزلة من طريق شيخ له من المتكلمين الملوثين بالاعتزال، عَلمه أو جَهله، وهذا غلط، ولا يلتفت إلى قوله، لمخالفته صريح النصوص الواردة في الباب، وجمهور أهل السنة والجماعة(٢).

قوله: «**والطاعة لوليّ الأمر فيما كان عند الله عز وجل مرضيًّا، واجتناب ما كان عند الله مُسْخِطًا**»: لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ

(١) [عند الله] ليست في (ج).

(٢) وقد ذكرت أمثلة على ذلك ومناقشتها في كتاب «كشف العُوار في المنتحلين فكر الخوارج والمعتزلة الأشرار»، وقد استطردت في بحث هذه المسألة فيه، فانظره لزامًا إن أردت الحق، وسيادة الاتباع والامتثال لله ورسوله ﷺ.

ﭐللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[١] فطاعته في ظل طاعته لله ولرسوله.

ولحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ؛ فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلاَ سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»[٢].

وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما –الطويل– وفي آخره...: «أَطِعْهُ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَاعْصِهِ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ»[٣].

وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها مرفوعًا: «إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عليكم أُمَرَاءُ، فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «لَا، مَا صَلَّوْا». أَيْ مَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ وَأَنْكَرَ بِقَلْبِهِ»[٤].

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: «تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عليكم، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ»[٥].

---

[١] [النساء: ٥٩].

[٢] أخرجه مسلم (١٨٣٩).

[٣] أخرجه مسلم (١٨٤٤).

[٤] أخرجه مسلم (١٨٥٤).

[٥] أخرجه البخاري (٣٦٠٣)، ومسلم (١٨٤٣) واللفظ له.

وفي حديث عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعًا: «لاَ طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ»[(١)].

قوله: «**تعرف منهم وتنكر، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم ...**»: وهذا بقيد، والضابط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لعموم قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[(٢)] في ظل الخبر المرفوع: «أنزلوا الناس منازلهم»[(٣)]، ولقوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[(٤)] وهذا لمن قدر على ذلك، وأما من خشي على نفسه وماله وغيره، وكره بقلبه، فقد برئ، وحسابه على الله، فخرج المُتبع الراضي ابتداء مع انتفاء المذكور.

والأمير راع وهو مسئول عن رعيته، لحديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا في الصحيحين: «أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٤٠) ومسلم (١٨٤٠).

(٢) [النحل: ١٢٥]

(٣) «ضعيف»، أخرجه أبو داود (٤٨٣٢).

(٤) [طه: ٤٤].

(٥) أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩).

وفي حديث معقل بن يسار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عليه الْجَنَّةَ»[١].

والإمارة الكبرى: وليُّ أمر البلاد، ثم من دون.

قوله: «**وترك الخروج عند تعدِّيهم وجورهم**»: وهذه مسألة مغايرة لما قبلها، ذلك؛ لأن السمع والطاعة في الطاعة، ولا سمع ولا طاعة في المعصية، ومع الاستنكار وعدم الرضى، وكراهية المعصية، على الشرط السابق ذكره، وهذا لا يعنى الخروج عليه، وهذا وجه التغاير بين عدم السمع والطاعة في معصية الله، وبين الخروج عليه.

والخروج بأمور: كَسَبِّهِ، وشتمه، ولعنه، وفضحه، وتقليب الناس عليه، والمظاهرات، ولا فرق بين سلمية، وعدائية غير سلمية، كما اخترع المخترعون، وأسألهم: لماذا يتظاهر المتظاهرون؟، والاعتصامات في الميادين، والشوارع والطرقات، والمليونيات، ... إلخ، وخاب وفَضَحَ نفسه من أخضعها للمصالح والمفاسد !!![٢]، وحمل السلاح عليه، هذا أكبر، ويدخل في حد البغي، وهذا محرم باتفاق أهل السنة والجماعة، ومن قال بخلاف ذلك فهم من الخوارج والمعتزلة.

وفي حديث عبادة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في الصحيحين: «... وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ

---

[١] أخرجه البخاري (٧١٥٠)، ومسلم (١٤٢) واللفظ له.

[٢] وهذه كلها مفاسد لا مصلحة فيها، وقد بيَّنت ذلك السنة. «ع»

أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»(١).

وفي حديث عوف بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند «مسلم»، وفيه: «... لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاَةَ، لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاَةَ...»(٢).

فمن خرج عليه فهو مبتدع على غير السنة والطريق، وخاب وفضح نفسه من قيده بالسيف أو السلاح!!!.

ثم إن هذا كلَّه سلوك قبيح مستورد مخالف لما أخبر به النبي ﷺ، وأنكره، كما في صحيح قوله: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ»، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: آليَهُودَ، وَالنَّصَارَى قَالَ: «فَمَنْ»(٣).

وهذا استفهام إنكاري، أي: فمن غير أولئك.

وها نحن نرى القوم المنتحلين فكر الخوارج والمعتزلة، قد دخلوا جحر الضبِّ، وقد تلاعبوا بدينهم، وحلقوه حلق القزع، وعرف الديك، ليدخل معهم جحر الضب، ولن ينجوا من تبعاته الهدامة القتالة، إلا من تاب وندم ورجع، فيتوب الله عليه، والله حسبنا ونعم الوكيل(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩).

(٤) ولن ينصر هذا الدين إلا باتباع السنة، وترك البدعة. «ع»

ودين الله تعالى باقٍ عزيز بنا أو بغيرنا؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴾[١].

ولقوله ﷺ: «وَإِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ»[٢].

ولقوله ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»[٣].

قوله: «**والتوبة إلى الله عز وجل كيما يعطف بهم ربهم على رعيتهم**»: لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾[٤].

أما وقد ظلموا أو جاروا و...، فالصبر على ذلك تكفير للسيئات، ومضاعفة الأجور، قال ﷺ في حديث أُسيد بن حُضَير رضي الله عنه: «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ»[٥].

---

[١] [محمد: ٣٨].

[٢] أخرجه البخاري (٣٠٦٢)، ومسلم (١١١) من حديث أبي هريرة.

[٣] أخرجه البخاري (٧٣١١) من حديث المغيرة بن شعبة.

وأخرجه مسلم (١٩٢٠) من حديث ثوبان.

[٤] [الرعد: ١١].

[٥] أخرجه مسلم (١٨٤٥) واللفظ له.

وأخرجه البخاري (٣٧٩٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وفي حديث سَلَمَةَ بْنِ يَزِيدَ الْجُعْفِيِّ أنه سأل رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ علينَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ، فَجَذَبَهُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، وَقَالَ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عليهمْ مَا حُمِّلُوا، وَعليكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ»[١].

ثم إن الله تعالى ما سلَّطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل، فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل؛ فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا من ظلم ولي أمرهم الظالم الجائر، فليتركوا الظلم والجور، وليتقوا الله وليحسنوا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٢].

---

[١] أخرجه مسلم (١٨٤٦).

[٢] وانظر لزامًا كتابي: «كشف العُوار في المنتحلين فكر الخوارج والمعتزلة الأشرار» ففيه تفصيل المسألة، بالنصوص الواردة فيها، وكلام الأئمة ومناقشته، وأحكام أخرى مهمة، ونقولات عن مشاهير آئمة الرواية والدراية، ترد على من قيَّد الخروج بالسيف أو السلاح!!!.

[المسألة الرابعة عشر: الإمساك عن تكفير أهل القبلة]

والإمساك عَن تكْفِير أهل الْقبْلَة والبراءة مِنْهُم فِيمَا أَحْدَثُوا مَا لم يبتدعوا ضلالًا؛ فَمن ابتدع مِنْهُم ضلالًا كَانَ على أهل الْقبْلَة خَارِجًا، وَمن الدِّين مارقًا، ويُتقرب إِلَى الله عز وَجل بِالْبَرَاءَةِ مِنْهُ، ويُهجر[1]، ويُحتقر[2]، ويُجتنب[3] عُرَّتَه[4]؛ فَهِيَ أعدى من عَرَّة[5] الجرب.

ـ الشرح ـ

المراد بأهل القبلة: من يدعي الإسلام، ويستقبل الكعبة، وإن كان من أهل الأهواء، ما لم يرد شيئًا مما جاء به النبي ﷺ.

ولذا قال الطحاوي: ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين، وله بكل ما قاله وأخبر مُصَدِّقِينَ[6].

قوله: «**والإمساك عن تكفير أهل القبلة، والإمساك عن البراءة منهم**

---

[1] قال في هامش الأصل «أي يبغض».

[2] هكذا في الأصل، وفي (ج): [ونهجر].

[3] هكذا في الأصل، وفي (ج): [ونجتنب]، وفي المطبوع [وتجتنب غدته].

[4] هكذا في الأصل، وفي (ج): [غرته]، وفي المطبوع: [غدته].

قال في هامش الأصل «أي بدعته».

[5] هكذا في الأصل، وفي (ج): [غرة]، وفي المطبوع: [غدة].

[6] انظر: متن الطحاوية بتعليق الألباني (ص: **٥٦**).

فيما أحدثوا ما لم يبتدعوا ضلالًا؛ فمن ابتدع منهم ضلالًا كان من أهل القبلة خارجًا، ومن الدين مارقًا، ويتقرب إلى الله عز وجل بالبراءة منه، ويُهجر ويُحتقر، وتُجتنب غُرَّته، فهي أعدى من غُرَّة الجرب»:

في هذا التأصيل الآتي:

١- الأصل في المسلم، بقاء ما كان على ما كان، حتى يثبت خلافه، ولذا قال: «**الإمساك عن تكفيره**» لقوله ﷺ: «أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»(١).

٢- يفرق بين البدعة الأصلية، والإضافية؛

أما الأصلية: فهي إحداث في الدين ما ليس منه، أو ما فُعل أو تُرك بقصد القربة إلى الله مما ليس له أصل صحيح في الدين؛ فهي والحالة هذه مضاهاة للشارع الحكيم، واستدراك عليه، وهو القائل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ أَكْمَلْتُ لَكُمْ أَكْمَلْتُ لَكُمْ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(٢).

ولقوله ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ»(٣).

وفي سياق: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عليه أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»(٤).

---

(١) متفق عليه، البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

(٢) [المائدة: ٣].

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة.

(٤) أخرجه مسلم (١٧١٨) من حديث عائشة، والسياق من وجهين عنها.

ولقوله ﷺ من حديث جابر، والعرباض، وابن مسعود رضي الله عنهم مرفوعًا: «وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»، وفيه: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ»(١).

وغير ذلك من الأخبار الصحيحة والحسنة في الباب.

والإضافية: خرجت عما ذكرتُ؛ فالعمل له أصلٌ، ولكن وَضْعُهُ في غير محله والتعبد به مع إقامة المقتضى وانتفاء المانع، ابتداع، وفرق بين البدعتين(٢).

فهذه الشيعة: أظهروا الإسلام، وارتكبوا نواقضًا، ناقضًا تلو الآخر، زادوا ونقصوا في القرآن -كلام الله حقيقة-، وسبُّوا عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ وقد برَّأها الله سبحانه وتعالى(٣)، وسبُّوا الصحابة رضي الله عنهم ولعنوهم وكفروهم وعلى رأسهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ووصفوا أئمتهم بصفات الألوهية والربوبية، ورفعوهم على النبي ﷺ، واخترعوا

---

(١) «صحيح بطرقه»، حديث العرباض تقدم (ص: ٣٣).

وحديث جابر أخرجه مسلم (٨٦٧).

(٢) البدعة قد تكون مكفرة وغير مكفرة، وغير المكفرة تنقسم أقسام، وكل بدعة ضلالة، لكن منها المفسق، ومنها غير المفسق. «ع»

(٣) انظر القصة كاملة: في صحيحي البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).

عقيدة وعبادة ليست في دين محمد بن عبد الله ﷺ[1].

الجهمية: أنكرتْ صفاتِ الله عز وجل، وأن الله يتكلم بكلام حقيقي، والميزان، والصراط.

والإيمان عندهم: معرفة الله فقط من غير اشتراط القلب واللسان.

وخذ كذلك الخوارج، والمعتزلة، والجبرية، وغيرهم.

والقرآنيون اليوم ينفون السنة[2].

والقاديانيون: ينفون أن محمدًا ﷺ آخر الأنبياء.

فرعٌ بين يدي المسألة:

العذر بالجهل مسألة خاض الناس فيها بين جافٍ وغالٍ، وهي بين طرفي نقيض ووسط:

الطرف الأول: يُعذر بالجهل مطلقًا.

والطرف الثاني: لا يُعذر بالجهل مطلقًا.

---

(١) وانظر لزامًا: كتابي «الشيعة في ميزان الشريعة» فقد فصلتُ القول في الرد على ما سطروه في مصادرهم، بما لا يجعل مجالًا للشك على أنه دين آخر.

(٢) أخرج أحمد في مسنده (٤/ ١٣١)، أبو داود في سننه (٤٦٠٤) واللفظ له وغيرهما: عن الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عليكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حلالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، ...». «حديث صحيح».

والوسط: وهو الحق بينهما، وهو قائمٌ على:

١- عَلِمَ أو لم يَعْلَم.

٢- هل أمكنه التعلم أو لم يمكنه؟.

فإن قيل: لقد تهيأت الأسباب لتبليغ ونشر الدعوة؟

أجيب: بأن العذر بالجهل لا يزال ظاهرًا في عصرنا، حيث قلَّ أهل العلم العاملون، وكثر الأدعياء والرويبضة، الذين يُزينون الباطل والكفر للعامة، ويُلَبِّسُون عليهم، وقد أشار أحمد ابن تيمية رحمه الله إلى زمانه بمثل هذا، فكيف بزماننا؟!![1].

وعليه؛ فيختلف الحكم على الإنسان بالعذر بالجهل أو لا، وذلك من وجوه:

١- اختلاف البلاغ وعدمه.

٢- اختلاف المسألة من حيث الوضوح والخفاء.

٣- تفاوت مدارك الناس قوةً وضعفًا في الفهم.

ومِن ثَّم يستلزم قيام الحجة وفهمها، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ

---

[1] في مسألة العذر بالجهل انظر: مجموع الفتاوى (٢ ٢٣١)، (٣/ ٢٣١)، (٧/ ٦١٩) (١١/ ٤١٢، ٤١٣) (١٢/ ٤٨٧- ٤٨٩)، (٢٠/ ١٦٥)، والإيمان الأوسط (ص: ١٦٥، ١٦٦)، وغير ذلك من المصادر.

حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾[1].

ولقوله: ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾[2].

ولقوله: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ ﴾[3].

والحجة على العباد تقوم على شيئين:

الأول: التمكن من العلم بما أُنْزل.

الثاني: القدرة على ذلك والعمل به.

ولذا فهي -الحجة- تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، إما لعدم عقله، أو لعدم فهمه، أو لعدم تمكنه، أو الإكراه ... إلخ.

والمراد؛ أن قيام الحجة وفهمها، يقتضي الإدراك وفهم الدلالة والإرشاد، والانتفاع والتوفيق والاهتداء.

وبِناء على ما سبق، المسلم مأمورٌ بالتثبت فيما يبلغه من الأخبار، لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾[4]، فعند سماع خبر ما في شخص

---

(1) [الإسراء:١٥].

(2) [الأنعام: ١٩].

(3) [النساء: ١١٥].

(4) [الحجرات: ٦]

ما، فلا يجزم بصدقه ولا كذبه إلا ببيّنة، إذ ليست كل الدعاوى التي تُحكى، وتُقال، وتُثار، صحيحة؛ فيجب التأكد من صحة الخبر، ليس كل من وقع في الكفر أصبح كافرًا، إذ قد يوجد فيه ما يمنع من تكفيره.

قال ابن تيمية رحمه الله: وليس لأحد أن يكفر أحدًا من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة، ومن ثَبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك؛ بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة(١).

وقال: ... كلما رأوهم قالوا: من قال كذا فهو كافر، اعتقد المستمع أن هذا اللفظ شامل لكل من قال، ولم يتدبروا أن التكفير له شروط وموانع، قد تنتفي في حق المعين، وأن التكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين، إلا إذا وُجِدَتْ الشروط وانتفت الموانع، يُبَيِّنُ هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة الذين أطلقوا هذه العموميات لم يكفروا أكثر من تكلّم بهذا الكلام بعينه(٢).

وقال: فتكفير المعين من هؤلاء الجهال وأمثالهم بحيث يُحكم عليه بأنه من الكفار، لا يجوز الإقدام عليه إلا بعد أن تقوم على أحدهم الحجة الرسالية التي يتبين بها أنهم مخالفون للرسل، وإن كانت هذه المقالة لا ريب

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٦٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٨٧).

أنها كفر، وهذا الكلام في تكفير جميع المعينين[١].

وقال: بعد كلام بنحو ما ذكر...؛ ولكن المقصود هنا، أن مذاهب الأئمة مبنية على هذا التفصيل بين النوع والمعين[٢].

فكل إنسان فعل كفرًا فلا بد ألَّا يوجد فيه مانع من موانع التكفير، والكفر الصريح هو المعني، وهو الذي لا يحتمل التأويل، وإلا فلا يُكفَّر صاحبه، وإن قلنا إن فعله أو قوله كفر، فيفرق بين القول والقائل، والفعل والفاعل، وتلخيصه في أربعة شروط:

١- أن يكون عالمًا بحرمة الفعل أو القول، (لا يكون جاهلاً).

٢- أن يكون عامدًا قاصدًا الفعل أو القول، (لا يكون مخطئًا).

٣- أن يكون مختارًا، (لا يكون مكرهًا).

٤- أن لا يكون عنده من الاشتباه بين النصوص الصحيحة ما يجعله يعتقد جواز ما قاله أو فعله، (لا يكون عنده تأويل سائغ).

فهذه ضوابط مهمة جدًا في التكفير وعدمه، هذه إشارة عاجلة، فاحفظها تُنْجيك -إن شاء الله- من زيغ الزائغين، وضلال المضللين، وانحراف المنحرفين، حفظنا الله منهم ومن فكرهم[٣].

---

[١] انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٠٠).

[٢] انظر: مجموع الفتاوى (٢٣/ ٣٤٨).

[٣] شروط التكفير هي شروط التكليف، وأهمها:

[المسألة الخامسة عشرة: الصحابة رضي الله عنهم]

وَيُقَال بِفضل(١) خَلِيفَة رَسُول الله ﷺ، ثم عمر(٢)، فهما وزيرا رَسُول الله ﷺ وضجيعاه، ثم عثمان، ثم عليٌّ رضي الله عنهم أجمعين(٣)، ثمَّ البَاقِينَ من الْعشْرَة الَّذين أوجب لَهُم رَسُول الله ﷺ [٣٥/ب] الْجنَّة، ونُخْلِصُ(٤)

١- البلوغ. وعارضه: الصبى.

٢- العقل. وعارضه: الجنون، وزوال العقل بتعدٍّ أو بغيره.

٣- فهم الخطاب. وعارضه: النوم، والنسيان، والإغماء.

٤- والاختيار. وعارضه: الإكراه، والخطأ.

٥- العلم. وعارضه: الجهل، والتأويل السائغ.

فمن قامت به شروط التكليف، وانتفت عنه عوارضه، وقام به سبب التكفير به فهو الكافر، ومن لم تقم به شروط التكليف، وحلَّت به بعض عوارضه، وقام به سبب التكفير لم يكفر بذلك السبب، وإن كان في نفسه مكفرًا. «ع»

(١) في (ج): [يفضل].

(٢) هكذا في الأصل، و(ج)، وزاد في المطبوع: [وَيُقَال بِفضل خَلِيفَة رَسُول الله ﷺ أَبي بكر الصّديق رضي الله عنه، فَهُوَ أفضل الْخلق وأخيرهم بعد النَّبِي ﷺ، ونثني بعده بالفاروق وَهُوَ عمر بن الخطاب].

(٣) هكذا في الَاصل، و(ج)، وفي المطبوع [وضجيعاه فِي قَبره، ونثلث بِذِي النورين عُثْمَان بن عَفَّان رضي الله عنه، ثمَّ بِذِي الْفضل والتقى عليّ بن أبي طَالب رضي الله عنهم أَجْمَعِينَ].

(٤) في (ج): [ويخلص].

لكل رجل مِنْهُم من الْمحبَّة بِقدر الَّذِي أوجب لَهُم[١] رَسُول الله ﷺ، ومن[٢] التَّفْضِيل، ثمَّ لأَصْحَابه[٣] من بعدهمْ رضي الله عنهم[٤]، وَيُقَال بفضلهم، ويُذكرون بمحاسن أفعالهم، ونمسك[٥] عَن الْخَوْض[٦] فِيمَا شجر بَينهم[٧]؛ فهم خِيَار أهل الأَرْض بعد نَبِيّهم، ارتضاهم[٨] الله عز وَجل لنَبيه، وخلقهم[٩] أنصارًا لدينِهِ، فَهم أَئِمَّة الدّين، وأعلام الْمُسلمين، رحمة الله عليهم[١٠] أجمعين.

ـ الشرح ـ

الصحابي: هو من لقيَ النبي ﷺ، مؤمنًا به، ومات على الإسلام،

---

[١] في (ج): [أوجبه له].

[٢] هكذا في الأصل، وفي (ج) والمطبوع [من].

[٣] هكذا في الأصل، وفي (ج) والمطبوع [ثم لسائر أصحابه].

[٤] في (ج) والمطبوع [أجمعين].

[٥] في (ج): [ويمسك].

[٦] قال في هامش الأصل: «أي الدخول».

[٧] قال في هامش الأصل: «أي: اختلف».

[٨] في (ج): [اختارهم].

[٩] في (ج): [وجعلهم].

[١٠] هكذا في الأصل، وفي (ج) والمطبوع [رضي الله عنهم].

ولو تخللت ردة على الأصح[1].

والصحابة كلهم عدول مرضيّون عند الله عز وجل، من أولهم إلى آخرهم، مع التفاضل بينهم، لا يساويهم ولا يدانيهم أحد بفضل الصحبة وكفى، وعلى ذلك أهل السنة والجماعة، ومن روَّج غير هذا فهو من الفرق الضّالة، والمضلة الخبيثة كالشيعة، والخوارج والمعتزلة وغيرهم.

وفي قول المصنف رحمه الله ما يأتي:

١- فضل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الخلفاء الراشدين المهديين، أَمَرَنَا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتمسك بطريقتهم فقال: «فَعليكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عليها بِالنَّوَاجِذِ»[2].

٢- الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُفن في بيته - بيت عائشة - وبجواره دفن أبو بكر، وبجواره دفن عمر رضي الله عنهما، وعليه؛ فالصورة الموجودة الآن بالمسجد النبوي حادثة، لا تجوز بحال، ويجب أن تُعزل قبورهم عن المسجد كما كانت؛ لأنها شبهة يتعلق بها الصوفية الغارقون في تقديس

---

(١) انظر: نخبة الفكر لابن حجر (ص: ١٣١).

وانظر التعليق عليه في كتابي: «إتحاف الأمة بأصول السنة» الأصل الأول «التمسك بما كان عليه أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (ص: ٢٧).

(٢) «حسن»، وتقدم (ص: ٣٣).

القبور وما حوت.

٣- فضل الصحابة بعد الأربعة من العشرة المبشرين بالجنة وهم: طلحة بن عبد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو، وأبو عبيدة ابن الجراح، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم.

٤- فضل الصحابة بعدهم، لقوله: «ثم لسائر أصحابه من بعدهم رضي الله عنهم أجمعين» فهم خيار أهل الأرض بعد الأنبياء.

٥- يجب ذكر محاسن أفعالهم، والإمساك عن الخوض فيما شجر بينهم في موقعة صِفِّين والجمل، بدسيسة الخوارج والشيعة عليهم من الله ما يستحقون، ولكلٍ رأيه واجتهاده؛ فمن كان منهم مصيبًا فله أجران، ومن كان منهم مخطئًا فله أجر، وكلهم مرضيون عند الله عز وجل؛ ذلك لأن الذي قضى بذلك في محكم كلامه في «التوبة، والفتح، والحشر»[1]، هو

---

[1] في التوبة: قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وفي الفتح: قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ

العليم القدير الخبير بما حدث بينهم.

٦- الصحابة كلهم خيار أهل الأرض بعد نبيهم ﷺ لا يعدلهم أحد، ولو أتى بمثل أُحد ذهبًا، لا يعدل واحدًا منهم ولا نصيفه[١].

٧- ارتضاهم الله عز وجل لنبيه ﷺ، وخلقهم أنصارًا لدينه، فهم أئمة الدين، وأعلام المسلمين رضى الله عز وجل عنهم أجمعين، لِمَا أُثر عن ابن مسعود، وابن عمر، وغيرهما رَضِيَ اللهُ عَنْهُم: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُتَأَسِّيًا فَلْيَتَأَسَّ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَبَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا،

سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾ [الفتح: ٢٩].

وفي الحشر: قال تعالى: ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٨-٩].

[١] أخرج البخاري (٣٦٧٣) من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ».

وعند مسلم (٢٥٤٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، وَأَقْوَمَهَا هَدْيًا، وَأَحْسَنَهَا حَالًا، قَوْمًا اخْتَارَهُمُ اللَّهُ تعالى لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، فاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ، وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ»[1].

ولقول ابن مسعود رضي الله عنه: «إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا،

---

(١) أثر ابن مسعود رضي الله عنه:

أخرجه ابن عبد البر في الجامع (١٨١٠) بإسناد ضعيف؛ لأجل سنيد بن داود المصيصي ضُعف مع علمه وإمامته.

وقتادة مدلس وقد عنعن، ولا يُعلم له سماع من ابن مسعود.

وأثر ابن عمر رضي الله عنهما:

أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٧٨، ٣٧٩) بإسناد ضعيف؛ لضعف عمر بن نبهان.

والحسن البصري مدلس وقد عنعن.

وبنحوه أخرجه ابن عبد البر في الجامع (١٨٠٧) بإسناد مقبول عن الحسن البصري؛ لأجل أبي سفيان بن عبد ربه.

وانظر: «رسالتي إتحاف الأمة» (ص: ٧٢).

فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ»(١).

وبنحو قول المزني، قال أحمد بن حنبل في أصول السنة، وكذا البربهاري، وغيرهم – رحم الله الجميع –.

الترتيب في الخلافة: محل إجماع أهل السنة والجماعة، حكاه الشافعي وغيره، وأما الترتيب في الأفضلية: فالإجماع على أبي بكر وعمر، وخلافهم – أي أهل السنة – في المفاضلة بين عثمان وعليٍّ، والصحيح عند جماهيرهم تقديم عثمان؛ لأن الصحابة -ومنهم عليٌّ- اختاروه خليفة، ولقول ابن عوف: «... فَلَمْ أَرَهُمْ يَعْدِلُونَ بِعُثْمَانَ ...»(٢).

---

(١) «حسن»، أخرجه أحمد (١/ ٣٧٩)، والطبراني في الكبير(٨٥٨٢)، وغيرهما.
وانظر كتابي: «اتحاف الأمة بأصول السنة» (٦٧ – ٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٠٧) في سياق طويل.
وانظر: فتح الباري (٧/ ١٦)، وانظر تعليقي على هذه المسألة: في «شرح أصول السنة» لأحمد.

[المسألة السادسة عشر: الصلاة وراء الأئمة والجهاد معهم]

وَلَا يُتْرَكُ(١) حُضُور الْجُمُعَة، وصلاتُها مَعَ برٍّ هَذِه الْأمة وفاجرها لَازمًا(٢)، مَا كَانَ من الْبِدْعَة بريئًا(٣)، وَالْجِهَاد مَعَ كل إِمَام عدل أَو جَائِر، وَالْحج.

ـ الشرح ـ

أولًا: تفرقته رحمه الله بين الجمعة وغيرها، ذلك؛ لأن الجمعة إمامها مفروض في المسجد الجامع، خلاف بقية الصلوات في كل مسجد فرع، ولذا قال بالجزم؛ فالاقتداء بهم على حالهم من بِرٍّ وفجور، وكذا خلف من ولّاه، كما نص على ذلك أحمد في أصول السنة: وتكون صحيحة لا إعادة فيها؛ فمن أعادها وصلاها ظهرًا فهو مبتدع تارك للآثار، مخالف للسنة، ليس له من فضل الجمعة شيء إذا لم ير الصلاة خلف الأئمة برهم وفاجرهم، فالسنة أن يصلي معهم ركعتين، ويدين بأنها تامة، لا يكن في صدره من ذلك شيء(٤).

---

(١) هكذا في الأصل، وفي (ج) والمطبوع: [نترك].

(٢) هكذا في الأصل، وفي المطبوع: [لازمٌ]، وسقطت من (ج).

(٣) زاد في المطبوع: [فَإِن ابتدع ضلالًا فَلاَ صَلاَة خَلفه].

(٤) انظر: أصول السنة (ص: ٦٨، ٦٩).

ثانيًا: شدَّد المصنف على براءة الإمام من البدعة، والبدعة قسمان:

١- بدعة أصلية، أنشأها فاعلها على غير مثال سابق، فهي طريقة مخترعة فيها مضاهاة للشارع الحكيم، وهذه أخطر من أختها، وهي:

٢- الإضافية، وهي التي لها أصل في الشرع؛ ولكن وضعت في غير محلها[1]، ولم يجر عليها العمل عند الصحابة ومن تبعهم، وبينهما تفاوت في الحكم، والضلالُ فيها متفاوت.

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: اعلم رحمك الله وإيَّانا: أنه يجوز للرجل أن يُصلِّي خلف من لم يُعلم منه بدعة ولا فسقًا، باتفاق الأئمة، وليس من شرط الائتمام أن يعلم المأموم اعتقاد إمامه، ولا أن يمتحنه؛ فيقول: ماذا تعتقد؟! بل يصلي خلف مستور الحال، ولو صلى خلف مبتدع يدعو إلى بدعته، أو فاسق ظاهر الفسق، وهو الإمام الراتب الذي لا يمكنه الصلاة إلا خلفه، كإمام الجمعة والعيدين، والإمام في صلاة الحج بعرفة، ونحو ذلك؛ فإن المأموم يُصلِّي خلفه، عند عامة السلف والخلف، ومن ترك الجمعة والجماعة خلف الإمام الفاجر، فهو مبتدع عند أكثر العلماء، والصحيح أنه يصليها ولا يعيدها؛ فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يصلون الجمعة والجماعة خلف الأئمة الفجار ولا يعيدون، كما كان عبد الله بن

---

[1] ولكن زاد عليها صاحبها من عنده، كمن يُصلِّي على النبي صلى الله عليه وسلم، ويسأل له الوسيلة خلف الأذان جهرًا، فالجهر بدعة إضافية. «ع»

عمر يُصلِّي خلف الحجاج بن يوسف، وكذلك أنس رضي الله عنهم جميعًا[١].

نخرج بهذا بقية الصلوات، ما لم يخرج وقتها في جماعة، وهذا واسع والحمد لله، ومعاملة ولاة الأمور ليست كمعاملة غيرهم، ألا ترى المصنف خصص الجهاد والحج كذلك، مع كل إمام عدل أو جائر.

وهو ما قاله الطحاوي بعده: والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين برِّهم وفاجرهم إلى قيام الساعة لا يُبطلهما شيء ولا يَنْقُضُهُمَا[٢].

وعلَّل ابن أبي العز الحنفي بقوله: لأن الحج والجهاد فرضان يتعلقان بالسفر، فلابد من سائس يسوس الناس فيهما، ويقاوم العدو، هذا المعنى كما يحصل بالإمام البر، يحصل بالإمام الفاجر[٣].

وفي هذا فائدة أصولية: إن الحكم يدور مع علته وجودًا أو عدمًا نفيًا أو إثباتًا، كما أنهم أعملوا النصوص وما يتفرع عنها بالإيماء والتنبيه منها، وطريقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والزجر والهجر من وجهه الصحيح، وليس المتكلَّف فيه الذي يتطبع به صاحبه فيهلك؛ ألا تراهم

---

[١] انظر: شرح الطحاوية (١/ ٣٧٤).

وبنحوه قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣/ ٢٨٠ - ٢٨١).

[٢] انظر: متن الطحاوية (ص: ٧١).

[٣] انظر: شرح الطحاوية (١/ ٣٨٨).

يفرقون بين إمامٍ وولي أمر، وبين إمام راتب لا يمكن غيره في محفل كالجمعة والعيدين، والحج ...؛ فيتفرع عن ذلك مسائل في الزجر والهجر العملي، كل بحسبه في ظل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

[المسألة السابعة عشر: قصر الصلاة والاختيار بين الصيام والإفطار في الأسفار]

وإقصار الصَّلاَة فِي الْأَسْفَار، وَالِاخْتِيَار[١] بَيني[٢] الصِّيام والإفطار فِي الْأَسْفَار[٣].

ـ الشرح ـ

أما قصر الصلاة، فالأصل في الصلاة الإتمام على ما جاء به الشرع، والقصر فيها رخصة على ما جاء به الشرع أيضًا، ونرى المصنف قيده بالأسفار، وهذه لطيفة علمية، فهو حكمة الترخيص؛ ذلك لأن السفر غالبًا يكون لعمل، أو لتجارة، أو لأداء مُتَطَلبات، ونحو ذلك، وهو ملازم للمشقة غالبًا، بدنية كانت أو ذهنية، ويكون المكلف مشغولًا بالذي من أجلِه سافر، فأراد الشارع الحكيم أن يخفف عليه وعثاء سفره بالترخيص له فيما افترض عليه فلا تقول: لم، ولا كيف؟ وهذا من عظيم يُسر الشريعة قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ

---

[١] في (ج): [والتخيير].

[٢] هكذا في الأصل، وفي (ج) والمطبوع: [فيه بين].

[٣] هكذا في الأصل، و(ج)، وزاد في المطبوع [إِن شَاءَ صَامَ، وَإِن شَاءَ أفطر].
وقوله: [وفي الأسفار] غير موجودة في (ج).

خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾[1]، وهذا يعنى أنه إن كان مشغولًا بها من أجله سافر، وجاء وقت الصلاة وهو مع جماعة صلَّوها قصرًا، وكذا إن كان فردًا، وأما إن أدرك جماعة قوم يُتمون أتمَّ معهم؛ لأن الأصل الإتمام وقد أدركه.

س: هل القصر في السفر واجب أم سنة؟

ج: على قولين: الأول: أنه واجب، وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه، والثوري، والحسن بن صالح بن حي، وحماد بن أبي سليمان، وبعض المالكية، ومالك في رواية، وأحمد في رواية.

الثاني: أنه سنة مؤكدة. وهو قول الشافعي، ومالك، وأحمد في المشهور عنهما، وأكثر العلماء من السلف والخلف[2].

وأنبه على مسائل من خلال النظر في القولين:

	القصر عزيمة، منصوص عليه دومًا لا لعذر	القصر رخصة، شرع لعذر
	المسافر غير مخير	المسافر مخير عند وجود المشقة

---

[1] [النساء: ١٠١].

[2] وقد سَبَرتُ أدلة الفريقين، وفَصَّلْتُ القول في هذه المسألة، ورجحت القول الثاني. [وظاهر كلام المصنف إما مع الأول أو مع الثاني تأكيدًا].

وانظر رسالتي: «نفع أهل العصر بحدِّ مسافة القصر».

القصر أفضل، ويجوز الإتمام	القصر فقط	

س: ما الحكم إذا سافر سفر قصر فأتمَّ عمدًا؟

ج: على ما ذكرت؛ فإن صلاته صحيحة، والقصر أفضل، على أن القصر سنة؛ فإن كان السفر شاقًا وأتمَّ فهي صحيحة مع الكراهة؛ لأن القصر رخصة لم يترخص بها في محلها، وقد قال النبي ﷺ في حديث عمر رضي الله عنه: «صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بِهَا عليكُمْ، فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ»(١).

وإن كان السفر سهلاً مريحًا؛ فهي صحيحة بغير كراهة، لـما أخرجه البيهقي «بإسناد صحيح» من طريق هشام بن عروة، عن أبيه، عن عَائِشَةَ رضي الله عنها: «أَنَّهَا كَانَتْ تُصَلِّي فِي السَّفَرِ أَرْبَعًا، فَقُلْتُ لَهَا: لَوْ صَلَّيْتِ رَكْعَتَيْنِ، فَقَالَتْ: يَا ابْنَ أُخْتِي إِنَّهُ لاَ يَشُقُّ عَلَيَّ»(٢).

ولذا قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وهو دال على أنها تَأَوَّلَتْ أن القصر رخصة، وأن الإتمام لمن لا يشق عليه أفضل(٣).

ويجوز الجمع بين الصلاتين في السفر تقديمًا وتأخيرًا، وسائرًا ومُجِدًّا

---

(١) أخرجه مسلم (٦٨٦).

(٢) السنن الكبرى (٣/ ١٤٣).

(٣) انظر: فتح الباري (٢/ ٥٧١).

في السير، ونازلًا على ذمة السفر[١].

وأما الصيام أو الإفطار في رمضان في السفر:

س: هل الصوم أفضل أم الفطر أم هما سواء؟

ج: على ثلاثة أقوال:

الأول: الصوم أفضل لمن أطاقه بلا مشقة ظاهرة ولا ضرر؛ فإن تضرر فالفطر أفضل، وهو قول أنس بن مالك، وأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وغيرهم.

الثاني: الفطر أفضل مطلقًا، وهو قول ابن عمر، وابن عباس، وابن

---

[١] انظر: «بدر التمام شرح عمدة الأحكام» ففي الجمع ستة أقوال محررة، وهذا خلاصتها.

وأما المسافة التي تقصر فيها الصلاة، ففيها بحث جيد في «بدر التمام» - خرجت في رسالة سميتها: «نفع أهل العصر بحد مسافة القصر» وهو قول جمهور العلماء منهم الأربعة، وقد ضَبَطُّهَا بـ (٨٠ كم تقريبًا) جمعًا بين الروايات الواردة، وبناءً على الأقوال الواردة في مسافة الميل - خلافًا لابن حزم، وابن تيمية، وابن القيم، وهو ديدن المعاصرين وعمدتهم، والرسالة تحت الإصدار ثانية، لمناقشة شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه من مصادرهما، وبها في الباب، والله الموفق لا رب سواه، وفي الرسالة مسألة أخرى وهي: «حدُّ المقام الذي على المسافر به إتمام الصلاة».

وخلاصتها؛ أنه يتم إن نوى إقامة أكثر من أربعة أيام؛ لأن هذا هو الذي وقع من النبي ﷺ في حال الأمن، وانظرها إن شئت.

المسيَّب، والأوزاعي، وأحمد، وإسحاق، وحُكيَ عن الشافعي من وجه غريب، وأهل الظاهر.

الثالث: الفطر والصوم سواء، لتعادل الأحاديث، حكاه النووي في منهاجه عن بعض العلماء ولم يُفصِّل، وظاهره يُخرِّج على الأول.

والمختار القول الأول، لحديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِسِتَّ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْ رَمَضَانَ، فَمِنَّا مَنْ صَامَ وَمِنَّا مَنْ أَفْطَرَ، فَلَمْ يَعِبِ الصَّائِمُ عَلَى الْمُفْطِرِ، وَلَا الْمُفْطِرُ عَلَى الصَّائِمِ»[١]، وبنحوه عن أنس مرفوعًا[٢].

---

[١] أخرجه مسلم (١١١٦).

[٢] أخرجه البخاري (١٩٤٧)، ومسلم (١١١٨).

وقد فصلت المسألة في: «بدر التمام شرح عمدة الأحكام»، وعلى ما ذكرته يتنزل كلام المصنف المزني رحمه الله.

[المسألة الثامنة عشرة: اجتماع أئمة الهدى الماضين على هذه المقالات]

هَذِه مقالات وأفعال(١) اجْتمع عليها الماضون الْأَولونَ من أَئِمَّة الْهدى، وبتوفيق الله اعْتصمَ بهَا التابعون قدوة ورضًى، وجانبوا التَّكَلُّف فِيمَا كُفُوا؛ فَسُدِدُوا بعون الله، وَوُفِّقُوا، لم يَرْغَبُوا عَن الِاتِّبَاع فَيُقَصِّرُوا، وَلم يُجَاوِزُوهُ(٢) فيعتدوا؛ فَنحْن بِاللَّه واثقون، وَعليه متوكلون، وَإِليهم(٣) فِي اتِّبَاع آثَارهم راغبون.

الشرح.

قوله رحمه الله: «**هذه مقالات وأفعال اجتمع عليها الماضون الأوَّلون من أئمة الهدى**»: يعنى ما ذكره في رسالته «شرح السنة»، حيث بدأ بالعلو، ثم القضاء والقدر، ثم الملائكة، ثم آدم عليه السلام، ثم أعمال أهل الجنة والنار، ثم الإيمان، ثم القرآن، ثم صفات الله عز وجل، ثم آجال الخلق، ثم القبر، ثم النشور والحساب، ثم الجنة والنار وما فيهما، ثم طاعة ولي الأمر ومنع الخروج عليه، ثم الإمساك عن تكفير أهل القبلة، ثم الصحابة

---

(١) [أفعال] ليست في (ج).

(٢) هكذا في الأصل، و(ج)، وزاد في المطبوع [يجاوزوه تزيدًا].

(٣) هكذا في الأصل، وفي (ج)، والمطبوع [وإليه].

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثم الصلاة وراء ولي الأمر والجهاد معه مطلقًا، ثم ختم بقصر الصلاة في السفر، والاختيار بين الصيام والإفطار في السفر.

فهذه مسائل تضمنت ما يتعلق بذات الله عز وجل، وصفاته، وحكمته وإرادته، وخلقه في الملأ الأعلى، ورسله وخلقه في أبيهم آدم عليه السلام، وآجال خلقه، وبعدها القبر، وبعده النشور والحساب، والجنة والنار وحقيقتهما وما فيهما، والإيمان بالله كيف يكون؟، والقرآن كلام الله حقيقةً، والمحافظة على العلاقة بين الراعي والرعية لما في ذلك من القوة والأمن والأمان، والتحذير من الخوض في تكفير المسلم المدمر لهذه العلاقة الاجتماعية، ومكانة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عند الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمين قاطبة، حبهم من الإيمان، وبغضهم من النفاق والزندقة.

فهذه أصول من السنة جمعت العقيدة والعبادة والمعاملة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾[1]، ننصره بعقيدة صحَّت، وبِتَعَبُّدٍ وَرَدَ، وبتعامل شُرع، هكذا ملكت زمام الأمور.

وقوله: «**وبتوفيق الله اعْتَصَمَ التابعون قدوة ورضًى**»: قال تعالى عن شعيب عليه السلام: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا

---

[1] [محمد: ٧]

بِٱللَّهِ﴾(١).

وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾(٢).

وقال: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾(٣).

والخلف البار يقتدي بالسالف الصالح أسوة ورضى، هكذا طريق واحد، يبقى عزيزًا قويًا متماسكًا.

وقوله: «**وجانبوا التَّكَلُّف فِيمَا كُفُوا؛ فَسُدِدُوا بعون الله وَوُفِّقُوا**»: ذلك لأنهم اتبعوا الآية والأثر بين «افعل ولا تفعل» من غير لمَ؟، ولا كيف؟ فهو العتيق، ولم يدعونا في لبس من أمرنا، فاتباعهم والاقتداء بهم لازم للنجاة في الدنيا من الطرق الواحلة الشائكة بِألَاعِيب أهل الهوى والزيغ الجالسين عليها.

وقوله: «**لم يَرْغَبُوا عَن الاِتِّبَاع فَيُقَصِّرُوا، ولم يجاوزوه فيعتدوا**»: هذه الجملة غاية في إظهار ما كان عليه السلف الصالح الصادق في الاتباع والانقياد لقول الله ورسوله ﷺ، فكانوا على كلمة واحدة سواء بلسان الحال والمقال «نتبع ولا نبتدع»، «خذوا طريق من سبقكم»، «من كان

---

(١) [هود: ٨٨].

(٢) [النحل: ١٢٨].

(٣) [آل عمران: ١٠٣].

قبلكم»، «ولا تسلكوا يمينًا ولا شمالًا فتضلوا»، قاعدتهم في الحلال والحرام: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾[1]، ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾[2]، ثم إنك تلحظ أن التقصير في جانب الشرع منوط بالرغبة عنه، يزداد التقصير بزيادة الرغبة، وهكذا، والعكس، وهذا من نظير قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[3]، وكذا في حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اسْتَقِيمُوا، وَلَنْ تُحْصُوا»[4]، وبهذا نفهم المراد من قول المصنف: «لم يرغبوا... ولم يجاوزوه».

قوله: «**فنحن بالله واثقون، وعليه متوكلون**»: لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[5].

ولقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

---

(1) [البقرة: ٢٢٩].

(2) [البقرة: ١٨٧].

(3) [هود: ١١٢].

(4) «صحيح بطرقه»، أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٧)، وابن ماجه (٢٧٧)، والحاكم (١/ ١٣٠)، وغيرهم.

(5) [محمد: ٧].

يَحْزَنُونَ ﴾[1].

ولقوله: ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[2].

ولقوله: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[3].

ولقوله: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[4].

ولقوله: ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾[5]، وغير ذلك من الآيات كثير.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما المشهور، قال النبي ﷺ: «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ»[6].

قال تعالى: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ﴾[7].

وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ

---

(1) [الأحقاف: ١٣].

(2) [يوسف: ٦٤].

(3) [المائدة: ٢٣].

(4) [يوسف: ٦٧].

(5) [الرعد: ٣٠].

(6) «حسن»، أخرجه أحمد (١/ ٢٩٣)، والترمذي (٢٥١٦)، وأبو يعلى (٢٥٥٦).

(7) [آل عمران: ٩٥].

تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾[1].

قوله: «**وإليهم في اتباع آثارهم راغبون**»: وهذا السياق غاية في ضرورة تأصيل الاتباع والانقياد لمنهج السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان، فتراه يتقرب إلى ربه جل وعلا، باتباع آثارهم رضي الله عنهم، ذلك لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ مَا تَوَلَّىٰ مَا تَوَلَّىٰ مَصِيرًا ﴾[2].

ونظيرها في قوله: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ... ﴾[3].

والمشاقَّة: أصلها المشاققة، وهي المعاداة والمخالفة، والمراد: من سَلَكَ طريقًا غير طريق الشريعة المحفوظة بطريق الرسول لأصحابه، والصحابة لمن تبعهم، والتابعين لمن تبعهم؛ فسار السالك لذلك في شِقٍّ، والشرع في شِقٍّ، وذلك ممن عمد منه بعد ما ظهر له الحق، ويتبين له،

---

[1] [النساء: ١٢].

[2] [النساء: ١١٥].

[3] [البقرة: ٢٨٥].

واتضح له، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ ﴾[١].

وقال: ﴿ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾[٢].

ثم رأينا المصنف رحمه الله حكى إجماع أهل السنة والجماعة على ما ذكر[٣]، ولم يلتفت إلى خلاف الضالين عنهم من الفرق التي تنتسب إلى الإسلام كالمعتزلة والخوارج والقدرية والجبرية وغيرهم، فبماذا يجيب الذين أشاعوا من أنفسهم لأتباعهم أن أحمد بن حنبل أنكر الإجماع، وهذا المزني، ومن قبله الشافعي، وأبو عبيد القاسم بن سَلاَم، وغيرهم، ثم إن إشاعة عدم الاحتجاج بالإجماع لعدم الإحاطة به أمر سخيف ليس من طريق السلف أهل السنة والجماعة؛ وذلك لأن الأصل عند أهل التحقيق منهم يُسَلِّمون للإجماع المنقول إلا أن يثبت خلافه، ثم اعلم من الذي يحكي الإجماع، وكم عددهم، وليس كل ما قيل وحُكيَ يُرد به الإجماع المنقول، ثم إن العائم على سطح خيالات العقل وظنونه، عندما يرغب في ردِّ الإجماع فليثبت خلافه، وإلا فقد ادعى زورًا وبهتانًا عظيمًا، والمعروف عن أهل السنة والجماعة الاحتجاج بالقرآن والسنة والإجماع وقول الصحابة والقياس.

---

[١] [الصف: ٥].

[٢] [الأنعام: ١١٠].

[٣] يعني: المسائل العلمية لا العملية. «ع»

وثانيًا: بماذا يجيب المنشقُّون عن منهج السلف الصالح أهل السنة والجماعة في عدم الخروج على ولاة الأمور الظالمين الجائرين، وقد اعترضوا على ابن مجاهد[1] (ت: **٣٢٤** هـ) في حكايته الإجماع على ذلك، وأقرَّه الحافظ ابن حجر، وغيره، فهل يواصلون اعتراضهم أم أنهم يقفون ويرجعون ويمتثلون؛ فإن العار خيرٌ من النار، والسلام.

[1] المراد بابن مجاهد النَّحْوي، والأجماع متأخر، ولذا أنكره من أنكره، كابن حزم، ومن قلَّده كابن الوزير، والعالِم حجة على من لا يعلم. «ع»

هَذَا[1] شَرْحُ السُّنَّةِ تَحَرَّيْتُ كَشْفَهَا وَأَوْضَحْتُهُ[2]، فَمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ لِلْقِيَامِ بِمَا [أَبَنْتُهُ][3] مَعَ مَعُونَةٍ[4] [٣٦/أ] لَهُ بِالْقِيَامِ عَلَى أَدَاءِ فَرَائِضِهِ بِالِاحْتِيَاطِ فِي النَّجَاسَاتِ، وَإِسْبَاغِ الطَّهَارَةِ[5] عَلَى الطَّاقَةِ[6] وَأَدَاءِ الصَّلَوَاتِ عَلَى الِاسْتِطَاعَاتِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ لأَهْلِ[7] الْجِدَاتِ[8]، وَالْحَجِّ عَلَى أَهْلِ الْجِدَةِ وَالِاسْتِطَاعَاتِ، وَصِيَامِ الشَّهْرِ[9] لِأَهْلِ الصِّحَّاتِ، وَخَمْسِ صَلَوَاتٍ سَنَّهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَصَلَاةِ[10] الْوَتْرِ كُلَّ لَيْلَةٍ وَرَكْعَتَيِ الْفَجْرِ، وَصَلَاةِ الْفِطْرِ، وَالنَّحْرِ، وَصَلَاةِ كُسُوفِ الشمس والقمر إذا نزل[11]، وَصَلَاةِ الِاسْتِسْقَاءِ

---

[1] هكذا في الأصل، وفي (ج) والمطبوع [فهذا].

[2] في المطبوع [وأوضحتها].

[3] في الأصل [أتيته]، والتصويب من (ج)، والمطبوع.

[4] هكذا في الأصل، وفي (ج) والمطبوع: [معونته].

[5] في (ج): [الطهارات].

[6] هكذا في الأصل، وفي (ج) والمطبوع [الطاعات].

[7] هكذا في الأصل، والمطبوع، وفي (ج): [على أهل].

[8] قال في هامش الأصل: «أي: الغنى».

[9] هكذا في الأصل والمطبوع، وفي (ج): [شهر رمضان].

[10] في المطبوع [صلاة].

[11] هكذا في الأصل، والمطبوع، وفي (ج): [وصلاة الكسوف].

متى وجبت[١]، وَاجْتِنَابِ الْمَحَارِمِ، وَالِاحْتِرَازِ مِنَ النَّمِيمَةِ، وَالْكَذِبِ، وَالْغِيبَةِ، وَالْبَغْيِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَأَنْ يُقال عَلَى اللَّهِ مَا لَا يُعْلَم[٢]، كُلُّ هَذِهِ كَبَائِرُ مُحَرَّمَاتٌ، وَالتَّحَرِّي فِي الْمَكَاسِبِ وَالْمَطَاعِمِ وَالْمَحَارِمِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ، وَاجْتِنَابِ الشَّهَوَاتِ؛ فَإِنَّهَا دَاعِيَةٌ لِرُكُوبِ الْمُحَرَّمَاتِ[٣]، فَمَنْ رَعَى حَوْلَ الْحِمَى فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَ الْحِمَى، فَمَنْ يُسِّرَ لِهَذَا فَإِنَّهُ مِنَ الدِّينِ عَلَى هُدًى، وَمِنَ الرَّحْمَة عَلَى رَجَاءٍ.

وَفَّقَنَا[٤] اللَّهُ وَإِيَّاكَ إِلَى سَبِيلِ الْأَقْوَامِ[٥] بِمَنِّهِ الْجَزِيلِ للأقدام[٦]، وَجَلَالِهِ الْعَلِيِّ للأكرام[٧]، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ قَرَأَ عَلَيْنَا السَّلَامَ، وَلَا يَنَالُ سَلَامَ اللَّهِ الضَّالينَ، [وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ][٨].

---

[١] هكذا في الأصل، وفي المطبوع [وجب]، وسقطت من (ج).

[٢] هكذا في الأصل، والمطبوع، وفي (ج): [وَأَنْ تَقُولَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُ].

[٣] سقطت [وَالتَّحَرِّي فِي الْمَكَاسِبِ وَالْمَطَاعِمِ وَالْمَحَارِمِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ، وَاجْتِنَابِ الشَّهَوَاتِ؛ فَإِنَّهَا دَاعِيَةٌ لِرُكُوبِ الْمُحَرَّمَاتِ] من المطبوع.

[٤] في المطبوع [ووفقنا].

[٥] هكذا في الأصل، والمطبوع، وفي (ج): [سبيله الأقوم].

[٦] هكذا في الأصل وفي (ج) والمطبوع [الْأَقْدَمِ].

والمقصود بالأقدام: سلف الأمة رحمهم الله.

[٧] هكذا في الأصل، وفي المطبوع، و(ج) [الأكرم].

[٨] ليست في الأصل، والمثبت من المطبوع، و(ج).

نجزت الرسَالَة بِحَمْد الله وَمِنْه وصلواته على مُحَمَّد وَآله وَأَصْحَابه وأزواجه الطاهرات وَسلم كثيرًا كثيرًا.

ـ الشرح ـ

قوله رحمه الله: «**هذا شرح السنة، تحريت كشفها وأوضحتُه**»: هكذا رأيناه بسياقاته التي ترتكز على:

١- القرآن.

٢- السنة الصحيحة.

٣- الإجماع عندهم.

٤- جماهيرهم.

ومن شذَّ منهم فهو بين حالتين:

١- لم يبلغه نص فيما قال.

٢- بلغه ما لم يصح فقال به أو صح عنده ولم يصح عندهم، وفي الحالتين يُرفع عنه الملام، ولا يخرج عنهم.

وعلى ذلك رأينا أحمد بن حنبل، والبربهاري، وأبا القاسم الأصبهاني، وغيرهم.

قوله: «**فمن وفقه الله للقيام بما أبنته**»: فهذه وصية نبيلة جليلة من عظيم نبيل لمن تبعه من النبلاء العظماء الأجلاء، ليقتفوا أثره، ويرثوا تركته

لمن بعده، وهكذا تُحْفَظ السبل بأهل الحق، وتكشف سبل أهل الزيغ والهوى، في كل زمان ومكان، والله حسبنا ونعم الوكيل.

قوله: «**مع معونةٍ له بالقيام على أداء فرائضه...**»: فيه مسائل:

١- الأخذ بالاحتياط عند الثبات، لقوله النبي ﷺ: «فَمَنِ اتَّقَى الشَّبَّهَاتِ فقد اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ»[١].

وقوله ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ»[٢].

٢- قوله ﷺ: «وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ»[٣].

٣- المحافظة على أداء الصلوات المكتوبات، برواتبها المسنونات؛ فإنها مكفرات للمات، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، (وَالْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ)

---

[١] أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

[٢] «صحيح»، أخرجه أحمد (١/ ٢٠٠)، والترمذي (٢٥١٨)، والنسائي (٨/ ٣٢٧)، والحاكم (٢ ١٣)، وغيرهم من حديث الحسن بن عليٍّ رضي الله عنه.

وأخرجه أحمد (٣/ ١١٢)، والنسائي (٨/ ٣٠٨)، وغيرهم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وهو حسن من هذا الوجه.

[٣] أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٧)، وابن ماجه (٢٧٧) من حديث ثوبان رضي الله عنه وهو «حسن»، و«صحيح» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ»[١].

ولقوله ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»[٢].

ولقوله ﷺ: «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ»[٣].

والأصل صلاة الجماعة على الوجوب العيني على الصحيح إلا من عذر شرعي لا يجاوزه فيه غيره.

٤- المحافظة على إيتاء الزكاة إن كان من أهلها، لقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾[٤].

ولقوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[٥].

٥- وجوب الحج مرة في العمر عند الاستطاعة لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[٦].

ولقوله ﷺ في حديث جبريل المشهور حين سأله عن الإسلام

---

[١] أخرجه مسلم (٢٣٣)، وما بين القوسين عند النسائي (٥/ ١١٢).

[٢] أخرجه البخاري (٦٣١) من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

[٣] أخرجه البخاري (١١١٧) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

[٤] [الأنعام: ١٤١].

[٥] [التوبة: ١٠٣].

[٦] [آل عمران: ٩٧].

قال: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ ....، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إليه سَبِيلاً»(١).

٦- وجوب صيام شهر رمضان إلا من عجز لمرض ونحوه فعدةٌ من أيام أخر، لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾(٢).

ولقوله: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ ... ﴾(٣).

٧- صلاة الوتر كل ليلة، لحديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا – في صَلَاةِ اللَّيْلِ، قَالَ: «صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمُ الصُّبْحَ صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى»(٤).

وعنه: أنه كَانَ يَقُولُ: «اجْعَلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ وِتْرًا؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِهِ»(٥).

وفي حديث عائشة رضي الله عنها عند «مسلم»: «مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ قَدْ أَوْتَرَ

---

(١) أخرجه مسلم (٨).

(٢) [البقرة: ١٨٣].

(٣) [البقرة: ١٨٥].

(٤) أخرجه البخاري (٩٩٠)، ومسلم (٧٤٩).

(٥) أخرجه البخاري (٤٧٢)، ومسلم (٧٤٩).

رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَأَوْسَطِهِ، وَآخِرِهِ، فَانْتَهَى وِتْرُهُ إِلَى السَّحَرِ»[(١)].

ولا يشترط أن يكون بعد شفع، فقد صحَّ عن جماعة من الصحابة أنهم أوتروا بواحدة من غير تقديم نفل قبلها[(٢)].

٨- ركعتا الفجر: لقوله ﷺ: «رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[(٣)].

وعن عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أَشَدَّ مُعَاهَدَةً مِنْهُ عَلَى رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الصُّبْحِ»[(٤)].

وهما من السنن المؤكدات عند الجمهور، وقال الحسن البصري وغيره: بوجوبها.

٩- صلاة الفطر، والنحر (العيدين) لقوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾[(٥)]، وكما ثبت بالتواتر أنه كان يصلي صلاة العيدين، والأخبار في الصحيحين وغيرهما، والإجماع على ذلك، ومن ذلك عن ابن عمر رضي

---

(١) أخرجه مسلم (٧٤٥).

(٢) وانظر: «بدر التمام شرح عمدة الأحكام» باب الوتر.

(٣) أخرجه مسلم (٧٢٥) من حديث عائشة.

(٤) أخرجه مسلم (٧٢٤).

(٥) [الكوثر: ٢].

الله عنهما قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ رضي الله عنهمَا، يُصَلُّونَ العِيدَيْنِ قَبْلَ الخُطْبَةِ»[(١)].

وحكمها على ثلاثة أقوال:

١- أنها سنة مؤكدة: وهو قول مالك في المشهور، والشافعي في المشهور وجماهير أصحابهما، وأحمد في رواية، وأبي حنيفة في رواية، وداود الظاهري، وانتصر له النووي.

٢- أنها واجبة على الأعيان - فرض عين -: وهو قول أبي حنيفة في المشهور، وأحمد في المشهور، ومالك في رواية، والشافعي في رواية، وانتصر له ابن تيمية وابن القيم، والصنعاني الأمير، وغيرهم.

٣- أنها فرض كفاية: وهو قول مالك في رواية، وأحمد في رواية، وعليها أكثر مذهبه، وانتصر له ابن قدامة، وتعقبه ابن تيمية.

وقد رجحت القول الثاني، أنها واجبة على الأعيان، بعد المناقشة للأقوال الثلاثة وأدلتها، ولقوة الدليل الجامع بين أمر الله ورسوله ﷺ وبين فعله ﷺ، وخلفائه، ولو كانت على الكفاية ما ألزم بها النساء حتى بالحيض[(٢)].

١٠- صلاة الكسوف للشمس والقمر - الكسوف والخسوف

---

(١) أخرجه البخاري (٩٦٣)، ومسلم (٨٨٨).

(٢) وانظر: «بدر التمام شرح عمدة الأحكام» يسر الله إتمامه.

بمعنًى على قول صحيح -؛ لقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ الشَّمْسَ خَسَفَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَبَعَثَ مُنَادِيًا: «الصَّلاَةُ جَامِعَةٌ»، فَاجْتَمَعُوا، وَتَقَدَّمَ فَكَبَّرَ، وَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فِي رَكْعَتَيْنِ، وَأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ»[1].

وفي حديث أبي مسعود البدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، يُخَوِّفُ اللهُ بِهِمَا عِبَادَهُ، وَإِنَّهُمَا لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا شَيْئًا فَصَلُّوا، وَادْعُوا اللهَ حَتَّى يُكْشَفَ مَا بِكُمْ»[2].

وفي الباب عشرون حديثًا، سردتُها في بدر التمام محققة، وخرجت مسائلها، وأظهر ما في هيأتها:

١- أنها ركعتان في كل ركعة ركوعان {أربع ركوعات × ركعتين × أربع سجدات} وفي ذلك ثماني روايات.

٢- أنها ركعتان في كل ركعة ثلاث ركوعات × أربع سجدات أو ركعتان × ست ركوعات × أربع سجدات، وفي ذلك روايتين.

٣- أنها ركعتان في كل ركعة أربع ركوعات {ثمان ركوعات × ركعتين × أربع سجدات} وفي ذلك روايتين.

٤- أنها ركعتان كالركعات المعتادة، وفي ذلك روايتين {ركعتين كما تصلون مثل صلاتكم هذه} على التأويل.

---

[1] أخرجه البخاري (١٠٤٤)، ومسلم (٩٠١) واللفظ له.

[2] أخرجه البخاري (١٠٤١)، ومسلم (٩١١) واللفظ له.

٥- أنها ركعتان في كل ركعة خمس ركوعات {خمس ركوعات × ركعتين × أربع سجدات } ولم يصح في ذلك شيء.

٦- ستة عشر ركوعًا في ثمان سجدات، ولم يصح في ذلك شيء.

٧- ركعتان، الركعة الأولى بركوعين، والثانية بركوع واحد لما تجلَّت الشمس، ولم يصح في ذلك شيء.

وبناء على هذا، كان الاختلاف على إثر سؤال: هل الكسوف حدث في عهد النبي ﷺ مرة أو أكثر؟

وقد رجحتُ ما دَلَّت عليه النصوص، إذ لا مانع من التعدد، وذكرتُ عن ابن حبان في ثقاته، وابن حجر في فتحه، ما دل على ذلك.

وحكمها على ثلاثة أقوال:

١- سنة مؤكدة، وهو قول الجمهور.

٢- واجبة، وهو قول أبي حنيفة ومالك وأبي عوانة.

٣- فرض كفاية، حكاه الماوردي في الحاوي، وهو وجه عند الشافعية كما قال ابن الملقن.

والجماعة ليست شرطًا لصحتها.

وحكى النووي الإجماع على أنها سنة، وعن ابن الملقن الاتفاق على أنها سنة مؤكدة، ولا يُسَلَّم لهما، إلا أن يُحمل على أدنى ما ذكر وما بعده، فمختلف فيه.

١٠- صلاة الاستسقاء: لحديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المشهور في الصحيحين وغيرهما: أَنَّ رَجُلاً، دَخَلَ المَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ القَضَاءِ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمًا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا ...»[(١)].

وهي سنة مؤكدة باتفاق عدا الحنفية فقالوا: إنه مندوب، وفي الباب ثمانية أحاديث، وقد فصلت أحكامها في بدر التمام.

قوله رحمه الله: «**واجتناب المحارم**»: لقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

---

(١) أخرجه البخاري (١٠١٣، ١٠١٤)، ومسلم (٨٩٧).

بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[١].

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ»[٢].

وفي حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال ﷺ: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟» ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ - وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ - أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ» فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ[٣].

قوله: «**والاحتراز من النميمة**»: يقال: احترز منه: توقّاه.

لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴾[٤].

ولقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ

---

[١] [الأنعام: ١٥١ – ١٥٣].

[٢] أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

[٣] أخرجه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧).

[٤] [القلم: ١٠ – ١١].

مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴾[(١)].

ولقول النبي ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ (قَتَّاتٌ)»[(٢)].

وقوله ﷺ: «تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ ذَا الوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ»[(٣)].

ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة القبرين وفيه: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ...، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»[(٤)].

والنميمة، هي: نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد، وقيل: إفشاء السر وهتك السِّتر عمَّا يُكره كشفه.

ويقال للنمام، القتات، يقال: قتَّ إذا مشى بالنميمة، ويقال له: قسَّاس، ودرَّاج، وغمَّاز، وهمَّاز، ومائسٌ، ومماسٌ.

والنميمة من الكبائر، وهي حرام بالكتاب والسنة والإجماع، والشبهة في قوله: «وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ» فالمراد ليس بكبير تركه، أو ليس بكبير في زعمهما، وبقرينة ما ذكرته، وكذا بحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن محمدًا ﷺ قال: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ

---

(١) [الحجرات: ١٢].

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥) عن حذيفة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٥٨)، ومسلم (٢٥٢٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢).

النَّاسِ»(١).

والعضه: الفاحش الغليظ التحريم.

وقوله: «**والكذب**»: لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾(٢).

وقوله: ﴿... ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾(٣).

وقوله: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾(٤).

وحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»(٥).

وبنحوه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا

(١) أخرجه مسلم (٢٦٠٦).

(٢) [غافر: ٢٨].

(٣) [آل عمران: ٦١].

(٤) [الأعراف: ٦٦].

(٥) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»[١].

وفي حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «... وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»[٢].

والكذب، خلاف الصدق، وهو: الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه، عدَّهُ الذهبي في الكبائر بقيدٍ قال: «الكذاب في غالب أقواله»[٣].

وهذه لطيفة منه أعمل فيها دلالة الأخبار الواردة.

قوله: «**والغيبة**»: لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾[٤].

ولقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ»[٥].

والغيبة -هي كما في الخبر-: ذكر مساوئ الإنسان في غيبته وهي فيه، وذكر العيب بظهر الغيب.

---

[١] أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

[٢] أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

[٣] انظر: الكبائر (ص: ٩٧).

[٤] [الحجرات ١٢].

[٥] أخرجه مسلم (٢٥٨٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س: ما الفرق بين الغيبة والنميمة والبهتان والشتم؟

ج: الغيبة كما سبق، وهي التكلم خلف إنسان مستور بما هو فيه مما يكرهه، والنميمة كما سبق، وهي نقل كلام صادر عن الغير بُغْيَة الإفساد، وعلى ذلك تكون الغيبة صادرة عن المغتاب في الأصل، والنميمة، كلام صادر عن الغير، والغيبة قد تباح أو تجب أحيانًا لغرض شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها، وهي ستة ذكرها النووي في منهاجه ورياضه، وابن حجر الهيتمي في الزواجر، وغيرهما، وأكثرها مجمع عليه، وعليه جماهيرهم، ودلائلها في الصحيح مشهورة، وهي:

١- المتظلِّم: يجوز للمظلوم أن يتظلم لولي الأمر أو القاضي فيقول: ظلمني فلان بكذا وكذا.

٢- الاستعانة على تغيير المنكر، فيقول لمن يرجو قدرته على ذلك: فلان يعمل كذا وكذا.

٣- الاستفتاء: فيقول للمفتي: ظلمني فلان بكذا وكذا.

٤- أن يكون مجاهرًا بفسقه أو بدعته؛ فيجوز ذكره بما يجاهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب.

٥- التعريف: فإذا كان الإنسان معروفًا بلقب كالأعمش، والأعرج، والأعمى، والأحول، وغير ذلك، جاز تعريفهم به، ويحرم إطلاقه على جهة النقص.

٦- تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم: وذلك من وجوه:

أ- جرح المجروحين من الرواة، والشهود، وذلك جائز بإجماع، بل واجب للحاجة.

ب- المشاورة في مصاهرة إنسان، أو مشاركته، أو معاملته ونحو ذلك.

جـ- إذا رأى متفقهًا يتردد إلى مبتدع أو فاسق يأخذ عنه العلم، وخاف أن يتضرر بذلك فعليه نصيحته – وهو أهلٌ لذلك – ببيان حاله، بشرط أن يقصد النصيحة، وهذا مما يُغَلَّطُ فيه كثيرًا.

د- أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها، إما بأن لا يكون صالحًا لها، وإما أن يكون فاسقًا، أو مغفلاً، ونحو ذلك؛ فيجب ذكر ذلك لمن عليه ولاية عامة ليزيله، ويولي من يُصلح.

أما النميمة، فلم يَنقل جواز إباحتها أحدٌ.

والبهتان، تعريفه في النص، وهي ذكر مساوئ للإنسان ليست فيه.

والشتم: ذكر المساوئ في مواجهة المقول فيه.

قوله: «**والبغي بغير الحق**»: لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[1].

---

(1) [الشورى: ٤٢].

ولقوله ﷺ: «وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»(١).

والبغي: هو طلب الاستعلاء بغير حق، ويستعمل في المتكبر؛ لأنه طالب منزلة ليس لها بأهل، وهو مشهور بمعنى الخروج على الإمام ولو جائرًا، بلا تأويل أو مع تأويل يُقطع ببطلانه، هو إحدى الكبائر، وعده كذلك الذهبي في «الكبائر» ، وابن حجر الهيتمي في «الزواجر» كذلك.

قوله: «**وأن يُقال على الله ما لا يعلم**»: لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٢).

ولقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

(٢) [البقرة: ١٦٨-١٦٩].

(٣) [الأعراف: ٣٣].

ولقوله ﷺ: «مَنْ يَقُلْ عليَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[١]. حديث متواتر.

وفي سياق: «كفى بالمرء كذبًا أن يُحدث بكل ما سمع».

ذلك لأن التَقَول على الله ورسوله ﷺ بما لا يعلم، تكذيب لله ورسوله ﷺ، ولما يترتب على ذلك من خلل في العقائد والعبادات والمعاملات والآداب والأخلاق ... إلخ، كما هو ظاهر في أيامنا هذه خاصة، لما كثر الجهل، وحب الظهور والشهرة، فكثر الجهل والهذيان، وإنما أُوتيناه من قبل السنة خاصة، لندرة رجالها وطلابها، فكثر الكذب والافتراء، من جهتها، بـ «قيل، وحُكيَ، ورُويَ، وفي الخبر»، وأقبح من ذلك أن يقال: «قال رسول الله ﷺ»، وليس كذلك، وهذا ظاهر لا يخفى، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

قوله: «**كل هذه كبائر محرمات**»: وهو كما قال، لما سبق ذكره، فهل من عاقل خائف من ربه، ممن يشتهون حب الظهور والشهرة بين العوام الهوام، ولو كان ذلك على حساب الدين، وحساب نفسه يوم يقف في ساحة الحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين؛ فينظر عن يمينه فلا يجد إلا ما قدم، وعن يساره فلا يجد إلا ما قدم، وعن أمامه النار.

أسأل الله الهداية والتقى والعفاف والغنى، والعصمة من الذنب،

---

[١] أخرجه البخاري (١٠٩) من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

والإخلاص في القول والعمل، إنه نعم المولى ونعم النصير.

قوله: «**فمن رعى حول الحمى؛ فإنه يوشك أن يواقع الحمى**»: لقوله ﷺ في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما: «الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ؛ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ»[1].

ختم المصنف رحمه الله رسالته الماتعة بقوله: «**فمن يُسِّر لهذا؛ فإنه من الدين على هدى، ومن الرحمة على رجاء**»: لقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾ وبعدها، ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى ﴾، ولقوله ﷺ: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثم اسْتَقِمْ»[2].

والرسالة جمعت زمام أصول السنة من العقيدة، والعبادة، والمعاملة، المبنية على القرآن كلام الله حقيقة، والسنة الصحيحة عن النبي ﷺ، وإجماع أهل السنة والجماعة في الاعتقاد، فمن يَسّر الله له بدراسة هذه الأصول وحفظها والعمل بها والدعوة إليها؛ فإنه من دينه على هدى، ومن رحمة الله تعالى على رجاء، ومن حُرِم ذلك فقد حُرم، وخسر، وانتكس.

---

(1) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

(2) «صحيح»، وتقدم (ص: ٢٩).

ثم دعا رحمه الله بالتوفيق لنفسه ولمن تبعه في دعوته إلى سبيل الله الأقوم، بمنه تعالى الجزيل الأقدم، وجلاله العلي الأكرم، ونرد عليه سلامه فنقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، ثم نلقي عليه السلام فنقول له: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ورحمه الله رحمة واسعة، ونفعنا بعلمه، وانتهى بإفادة فقال: «**ولا ينال سلام الله الضالين**» عن سبيل رب العالمين كما رسمه وخطه الإمام الجليل إسماعيل بن يحيى المزني (المتوفي **٢٦٤**هـ) والحمد لله رب العالمين.

وتم الشرح بما تيسر من فضل الله وعطائه، فالحمد لله رب العالمين على توفيقه وإحسانه، وأسأله الصدق والإخلاص في القول والعمل، والتوفيق والسداد إلى ما يحبه ويرضاه، إنه نعم المولى ونعم النصير، وعلى ذلك قدير.

كتبه/

صبري محمد عبد المجيد

سمعات النسخة

قرأ عليَّ عقيدة الإمام العالم أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني، وقد قرأتُها على الشيخ الإمام العالم عز الدين أبي محمد عبد الرازق بن رزق الله الرسعني الحنبلي رضي الله عنه، الفقيه الإمام العالم مجد الدين عيسى بن أبي بكر بن محمد نفعه الله به بمنه وكرمه، وذلك في شهر رجب من سنة تسع وستين وستمائة.

والحمد لله وحده، وصلواته على محمد النبي ....

كتبه الفقير إلى الله تعالى يوسف بن محمد بن يوسف الهكاري، حامدًا لله، ومصليًّا على نبيه.

قرأ عليَّ عقيدة الإمام العالم أبي إبراهيم إسماعيل المزني شرف الدين عثمان بن الحسين بن الرذوكي الهكاري في منتصف جمادى الولى سنة خمس وثمانين وستمائة، وكتبه الفقير إلى الله تعالى عيسى بن أبي بكر بن محمد حامدًا لله.

قرأ عليَّ هذه العقيدة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ... محمد من بلد شهرى في رابع جمادى الأولى سنة سبع وتسعين وستمائة، وكتبه عيسى بن أبي بكر بن محمد حامدًا لله، وصلواته على محمد وسلم.

قرأ عليَّ عقيدة الإمام المزني رضي الله عنه ولدي أبي بكر في أول جمادى الأولى سنة سبعمائة، وكتبه عيسى بن أبي بكر بن محمد حامدًا لله.

يعقوب والنعمان وابن الحسن قد أخطأوا في الرأي طرق السنن

فدع أقاويل الجميع منهمُ واحفظ لدين الله ما في المزني

بهذا البيت حدثنا الشيخ الإمام أبو منصور محمد بن عبد الله الفقيه البغدادي، حدثه الشيخ الإمام القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر الطريثي، قال رأيت في المنام تلك الليلة كأن الملائكة تقول هذا البيت.

الفهارس

فهارس الآيات

الآية الصفحة

- أ -

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ ٣٦٢

﴿ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ ١٧٠

﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴾ ٢٣١

﴿ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ ٢٧٤

﴿ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ ٢٧٥

﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ ٩٠

﴿ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ ٣٩١

﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ ٢٨٥

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ .... ١٧٩، ٣٩٢

﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾ ٣٩٤

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ ﴾ ٢٨٧

﴿ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ ﴾ ٢١١

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ سِتَّةِ أَيَّامٖ ﴾. ١٧٠

﴿ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴾ ٢٩٨

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ ٢٥١

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ٥٨

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ ١٧٠

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ ٤١٠

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ ٩١

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ .... ٨٠، ٢٩٣

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ .... ٣٦٥، ٣٦٦

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ ٢٤٨

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾ ٢٧٥

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ ١٩٨

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ ٣٠٣

﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ٢٥

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ١٩٧

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ ٢٩

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ ٩٦

﴿أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٢٨١

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ... ٣٩٣

﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ ١٧٨

﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ .... ١٨١، ٢٠٢

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ ٢٠٠

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٣٠٣

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ ٣٧

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٨٧

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ ٣٣٢

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ ١٦٤

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ ٢٣٩

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ فَإِذَا هِىَ فَإِذَا هِىَ مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ ١٧٠

﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ ٢٧٤

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ .... ١٧٦، ٢٣٥، ٣٩٥

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ ١٩٥

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ ٣٨

﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ٤١٤

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ .... ﴾ ٢٨٦

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ ﴾ ٢٤٩

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ٩٦

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ ٥٩

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾ ٢٤٩

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ﴾ ١٩٤

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ٱلْقِيَٰمَةِۚ عَلِيمٌ ﴾ ١٧٧

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ ٢٧٣

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ .... ٦٥، ١٧٠

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ٨٨

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ ٨٨

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ٢١١

﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ .... ٢٣٠، ٣٢٩

﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ .. ٣٥٤

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ .... ٥٩، ٣٢٠

– ب –

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ ١٩٠

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ٣٠٩

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ ١٩٥

– ت –

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ٣٥٠

﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ ٣٩٣

﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ ٣٩٣

- ث -

﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ ٢٦٢

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ ٣١٧

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
.... ٢٨، ٩٦

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ . ٢٣٧

﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾........................ ٤١٠

- ج -

﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ٢٨٢

- ح -

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ ١٩٧

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ
يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ٢٣٨

- خ -

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَأَعَدَّ... ﴾ ٤٠٢

﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ
ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ ٣٤٥

- ر -

﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ ٢٨٩

﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ ٢١٤

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ ٢٧٣

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ ٢٠٤

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ ... ٢٥٩

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ ١٦٦

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ .... ٦٥، ١٦٩، ٣٢٩

- س -

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ...﴾ ٢٥٩

- ع -

﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ ١٩١

﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾ ٢٣٨

﴿عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ ٣٥٥

- ف -

﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ ١٨٠

﴿ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ﴾ ٢٤١

﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴾ ٢٤٢

﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ٩٦

﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ .... ٥٢، ٢٩٩

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ٣٢١

﴿ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴾ ٣٤٨

﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ﴾ ٣٤٨

﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ .... ٢٠٦، ٢٧٨

﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ .... ٢٧، ٢٨، ٣٩٣

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ .... ٢٥٢، ٢٦٢، ٢٦٤

﴿ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴾ ١٦٥

﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ ٥٥

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴾ ٤٠٤

﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ ﴾ ١٩٠

﴿ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ .... ﴾ ٢٥٢

﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ ٣٦٢

﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ ٢٩٢

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ ٣٧

﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ ٣٢٨

﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ .... ٢٧٢، ٢٨١

﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ ﴾ ١٩٩

﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ ﴾ ٣٩٦

﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ﴾ ٢٤٢

﴿ فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ﴾.............................. ١٧٩

﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ ٣٩٤

﴿ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾ ٣٢٨

﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا .... ﴾ ٢٣٨

﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ... ﴾ ٤٠٢

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ٨٤

﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴾ ١٨٢

- ق -

﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ ٢٨٤

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ ٤١٠

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ٢٨٩

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ٢٨٨

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ... ٢٥٩، ٢٦١

﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ ٢٠٨

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ ٢٦١

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ٣٦

﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾ ٢٨٥

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ ٣٥٢

﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ﴾ ٣٩٥

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .... ٨٤، ٤١٤

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ ٨٨

﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ .... ﴾ ٤٠٧

﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾ .... ١٩٩، ٤١٦

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ ٢٤٣

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ ﴾ ٢٨٥

﴿ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ ٢٩

﴿ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ﴾ ٣٩٤

– ك –

﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ .... ٣٥٨، ٣٥٩

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ ٣٢٠

﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ ٤٧

﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ (٢٦) وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ ٣٣٢

﴿ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ ٣٢٢

﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴾ ١٩٠

﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَا ﴾ ٢٥٩

﴿ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ ﴾ .... ٢٤٦، ٢٧٧

﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ ﴾ ٣٣١

– ل –

﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴾ .... ١٨٤، ١٩٩، ٢١٠، ٢٧٨

﴿ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴾ ٣٥٤

﴿ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَا ﴾ ٣٥٥

﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ ٣٧٢

﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾
.... ٣٥٥

﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ٣٢١

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ ٣٥٨

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ ... ﴾ .... ٣١، ٣٧٩

﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ ٣٠

﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ ٣١٨

﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ﴾ ٢٩٦

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ ١٢٥

﴿ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ ٣٤٧

﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ .... ﴾ ٢٤٢

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ....
.... ٦٥، ١٧٥، ٣٠٣، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣٢٧، ٣٢٨

﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ﴾ ٢٦٤

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ على ٱلْعَرْشِ عَلَى ٱلْعَرْشِ دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ ١٧١

﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ ٢٦

﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ ١٩٧

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ ١٦٩

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ ٣٣٠

– م –

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ ٢٦٠

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ ٢٠٢

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ ٨٩

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ٢٤٥

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ .... ﴾ .... ٣٠، ٣٧٨

﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ ١٦٦

﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ ..... ﴾ ٢٨٤

﴿ مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ ﴾ ٣١٨

﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ ١٩٦

﴿ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۢ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾ .... ١٢، ١٧

– ن –

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴾ .... ١٧٦، ٢٤٣

﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ ٣٤٢

– هـ –

﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٢٧ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡ ﴾ ٢٤٢

﴿ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ ﴾ ١٩١

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ .... ٧١، ٩٤

﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ ١٧١

﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ .٣٣٣

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ ١٩١

- و -

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ ٢٣١

﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ ٣٨

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾ ٢٣٤

﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ . ٢٤٤

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ ٣٠

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّىۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ٣٣٤

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ ٢٤٦

﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ ٣٤٦

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ٣٣٥

﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ ١٩٨

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ ٣٨

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ ٢٤٢

﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ ... ٢٥٢

﴿ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ٣٩٦

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ ..... ٥٤، ٦٦

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ٢٢٩

﴿ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ ٩٠

﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴾ ١٩٨

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ٤٦

﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ ١٥٧

﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ ٣٢٢

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ ١٩٦

﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ ٢٤٤

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ ٣٤٦

﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن صَلَبُوهُ وَلَٰكِن صَلَبُوهُ وَلَٰكِن ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ ١٧٠

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ ١٩١

﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ .... ﴾ .... ٣٧، ١٥٧

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ ١٩٦

﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ ٢٩٦

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ ١٨

﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ ٣٥١

﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ ٣٣٣

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ ٢٤٦

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ ١٨٣

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ .... ٢٦، ٧٦، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٩، ١٥٩

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٢٣٢

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ... شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ١٩٦

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ ٣٤٦

﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ ٢٣٩

﴿وَلَٰكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ ١٨١

﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ ٣٥٢

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ٣٤٧

﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ ١٩٥

﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ٢٣٧

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ ﴾ ٣٥١

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ مَا تَوَلَّىٰ مَصِيرًا ﴾ .... ٣٧٢، ٣٩٥

﴿ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ ١٧٨

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ١٢

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ هَٰذِهِ ﴾ .... ٢١٥، ٣٣٥

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ .... ١٧٨، ٣١٣

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ١٩٨

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ٢٥٠

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ ١٥٧

﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ ١٦٤

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ ٢٣٢

﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾ ٦٠

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ ١١٤

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ ﴾ ٢٨٦

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗا ﴾ ٣٣٣

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾ ٨٧

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴾ ٢٩٣

﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ﴾ ٣٣٣

﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ ٩٢

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ ٤٦

﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ ٣٥١

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ٨٦

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ ١٥٧

﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ ٣٤٨

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ ٣٤٧

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ... ٢٣٣

﴿ وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴾ ١٩٥

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ ٣٣٥

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ ٢٣٠

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ ٢٣٣

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ .... ٣٨، ٣٩، ٥٥، ١٥٧

﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ٥٩

﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ ٣٤٥

﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴾ ٢٣٣

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴾ ٢٣٧

﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ ... ١٩١

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ ٢٧١

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ .... ٣٧، ٢٧٢

﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ ٣٤٦

﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ٢١٠

﴿ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ﴾ ٢٦٤

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ﴾ ١٩٧

﴿ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٧ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ ٨٧

﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ﴾ ٣٤٥

﴿ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴾ ٤٠٩

﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِى رَيۡبٍ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ ٨٨

﴿ وَإِنۡ أَحَدٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ ٢٩٦

﴿ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِى ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذًا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ ٧٠

﴿ وَكُلَّ شَىۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ ١٩٥

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولًا ﴾ ٣٧١

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ .... ٢٠١، ٢٣٠، ٣٢٩

﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِ ﴾ ٤٦

﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ﴾ ٢٤٣

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ ٣٨٥

﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ ١٦٤

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ٣٩٤

﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ ٣٠٨

﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ١٩٦

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ..... ﴾ ٨٥

﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ٢٩٩

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ ٣٤٢

﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ .... ٢٩، ٥٤، ١٧٦

﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ ٣١٠

﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾ ٣٦٥

﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ .. ٣٤٨

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ .... ٩١، ٢١٤

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ٧٠

﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ ٣٣٢

﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾ ١٩٩

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ ٢٣٤

﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴾ ٢٣١

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ ٨٧

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ ١٨١

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ ٣١٢

﴿ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ ﴾ ٣٥١

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ ١٨١

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ ٣٣٤

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ

عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ... ﴾ ٢٥٠

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ .. ١٧٩

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ٢٣٦

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ ٢٩١

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ ٣٩٥

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ ٣٧٨

﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ ٣٢٤

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ٣٥٨

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ ٤١١

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ ٩٧

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ سِتَّةِ أَيَّامٍ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾.......................... ١٧١

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴾ ٢٠٩

﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ ٣٩٢

﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ ﴾ ٤٠١

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ ﴾ ٤٠٢

﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ ٣٤٧

﴿ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ ﴾ ٢٤٠

﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ ٢١٠

- ي -

﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ٧٦ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ٧٧ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓ... ﴾ ٢٤٧

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ ﴾ ٢٨٤

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ ٢٤٩

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ ٣٧

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ ٢٣٦

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ .... ٣٥، ٣٦١

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ .... ٩١، ٤٠٢

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ .... ٣٩١، ٣٩٣

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ (١٠٢) وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ ١٠٢

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴾ ٤٠٩

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ ... ٣٨

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ ٣٧٢

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ .... ٨٤، ٤١٤

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ ﴾ ١٩٧

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ ٩٠

﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ ٢٠٠

﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ ٢٤١

﴿ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ ٢٦١

﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾................................ ١٦٨

﴿ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ . ٢٤٦

﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ . ١٨٢

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ أَكْمَلْتُ لَكُمْ أَكْمَلْتُ لَكُمْ وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ . ٣٦٨

فهارس الأحاديث والآثار

لفظ الحديث أو الأثر الصفحة

- أ -

أبلغك أن الله عز وجل يعجب ممن يذكره؟ ٣٢٢
أبهذا أمرتم؟ أبهذا أرسلت إليكم ١٨٦
اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم ٤٢
أتدرون ما الغيبة؟ ٤١١
أتنكر من هذا شيئًا؟ ٣٤٨
أتهزأ بي، أي ربي وأنت رب العزة؟ ٣٠٥
آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح ٢٤٥
اجتنبوا السبع الموبقات ٤٠٧
اجعلوا آخر صلاتكم وترًا؛ فإن النبي ﷺ أمر به ....
٤٠٢
احتج آدم وموسى ٢٥٧
احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز ٢١٠
احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك ٣٩٣
أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدًا ٣٥٥
أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم ٢٥٧
أدركت ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ، يقولون كل شيء بقدر ....
١٨٢

إذا قبر الميت، أو قال: أحدكم، أتاه ملكان أسودان أزرقان ٣٤٠
إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وهم برآء مني ٧٣
أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ٢٣٩
أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ٤١٠
استقيموا، ولن تحصوا ٣٩٢
الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ ....
٤٠١
اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حملوا، وعليكم ما حملتم ٣٦٥
أشار بيده إلى عينه ٣٠٧
أشهد أنه عبد الله ورسوله ٣٣٩
أطعه في طاعة الله، واعصه في معصية الله ٣٦٠
أظلمتك كتبتي الحافظون؟ ٣٤٨
أعاذك الله من عذاب القبر ٣٤٠
الاعتصام بالسنة نجاة، والعلم يقبض قبضا سريعًا ٤٣
أعتقها، فإنها مؤمنة ١٧٢
أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ٢٧٤
أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعتْ ٣٥٤
اعملوا فكل ميسر ١٩٨
اعملوا فكل ميسر لما خلق له ١٨٧

افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة ٣٢
أفتلوموني على أن عملت عملاً كتبه الله عليَّ أن أعمله ٢٥٨
أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل .... ٢٠٧، ٢٨٠
اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد ٢٠٢
إلا أن يؤمر بمعصية؛ فإن أمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة ٣٦٠
ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ٤٠٧
ألا إني أوتيت الكتاب (القرآن) ومثله معه .... ٣٣، ٤٣، ٩٥
ألا تسألوني لم ضحكت ٣٠٥
ألا كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته ٣٦١
ألا يوشك رجل شبعان على أريكته .... ٤٣، ٩٥
أما أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة .... ٢٠٧، ٢٨٠
أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدي محمد ٤٠
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله ٢٨٩
إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ٢٧٧
إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا ٢٠٢
إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا ٢٧٩
إن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ٢٦٥
إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ٢١٨

إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة، ثم يختم له عمله بعمل أهل النار ٢٨١
إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار، ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة ٢٨١
إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة، فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ٢٨٢
إن الرجل ليعمل عمل أهل النار، فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة ٢٨٢
أن الشمس خسفت على عهد رسول الله ﷺ، فبعث مناديًا ٤٠٤
إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، يخوف الله بهما عباده ٤٠٤
إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم ... ٣٣٩
إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل ٣٠٦
إن الله بعث إلينا محمدًا ﷺ ولا نعلم شيئًا .... ٣٤، ٥٠
إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة ٣٥٥
إن الله حيث خلق الداء، خلق الدواء، فتداووا ٢٠٧
إن الله عز وجل يستخلص رجلاً من أمتي ٣٤٨
إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد ٨٧
إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد ٣٧٩
إن الله يرضى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا، فيرضى لكم ١٠٤

أن النبي ﷺ لم يكن على شيء من النوافل أشد معاهدةً ....
٤٠٢
إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم ٣٥٥
إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ٣٥٦
إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون ٣١
أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ١٠٤
أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر ١٨١
أن رجلاً، دخل المسجد يوم جمعة من باب كان نحو دار القضاء ٤٠٦
أن رسول الله ﷺ كان يومًا بارزًا للناس، إذ أتاه رجل يمشي ....
٢٤٨
أن رسول الله قال في خطبة يوم عرفة ١٧٢
إن روح القدس نفث في روعي أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها .. ٣٣٦
إن شئتم أن أدعو الله لكم فيكشفها عنكم ٢٢٣
إن في الجنة شجرةً يسير الراكب الجواد المضمر السريع ٣٥٥
إن في الجنة لشجرةً يسير الراكب في ظلها مائة سنة ٣٥٥
إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن ٣٠٤
إن لك عندنا حسنةً واحدةً، لا ظلم اليوم عليك ٣٤٨
إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مائة عام ٢٣٩
أن يهوديةً دخلت عليها، فذكرت عذاب القبر ٣٤٠

أنا أعطيكم أفضل من ذلك ٣٥٥
أنا الله ويقبض أصابعه ويبسطها ٣٠٤
أنا الملك ٣٠٤
أنا الملك، أنا الملك، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له ٢٠٢
إنَّا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير ١٠٤
إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع ٤٢
أنت آدم أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ٢٥٧
أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه ٢٥٨
آنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة؟ ٢٥٧
أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ٢٤٥
أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ٢٥٧
أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح ٢٥٨
أنزلوا الناس منازلهم ٣٦١
انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة ٣٣٩
إنكم سترون ربكم عيانًا ٣٥٧
إنكم ستلقون بعدي أثرةً، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض ٣٦٤
إنما ذاك جبريل ﷺ كان يأتيه في صورة الرجال ....
٢٣٨
إنما هلك من كان قبلكم لما تنازعوا في هذا الأمر ١٨٦

إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين ٢٣٨
إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن، ويتقفرون العلم ٧٣
إنه يستعمل عليكم أمراء، فتعرفون وتنكرون ٣٦٠
إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها ٣٦٠
أنها كانت تصلي في السفر أربعًا ٣٨٦
إنها من قدر الله تبارك وتعالى ٢٠٨
إنهما ليعذبان...، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة ٤٠٨
إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير ٣٤١
إني أبغض فلانًا فأبغضه ٣٠٦
إني أحب فلانًا فأحبه ٣٠٦
إني قد تركت فيكم شيئين ٤٠
آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة ٣٥٦
أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبدًا حبشيًا .... ٣٣، ٤٠
أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر ٣٥٦
آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان ... ٤١٠
ائتني بها ١٧٢
أيرضيك أن أعطيك من الجنة الدنيا ومثلها معها ٣٠٥
أيما رجل قال لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما ٣٦٧
الإيمان بضع وسبعون شعبةً .... ٢٨٨، ٢٩٢

الإيمان بضع وستون شعبةً .... ٢٨٨، ٢٩٢
أين الله؟ ١٧٢

- ب -

بإصبعه السبابة، يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس ٣٠٧
بينا نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسمًا ٢٠
بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل ....
٢٤٨

- ت -

تجد من شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين ٤٠٨
تحاج آدم وموسى ٢٥٧
تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون ١٧٢
تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع ١٠٨
تعلموا الإسلام؛ فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه ٤٢
تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ٢٢١
التقى آدم وموسى ٢٥٧
تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ١٠٤
تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ١٥٨
تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور .... ٣٣، ٤٠
تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم ٣٦٠

- ث -

ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية ٢٣٨
ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك ٢٧٧
ثم انطلق بي جبريل حتى نأتي سدرة المنتهى ٢٧٧
ثم رفع لي البيت المعمور ٢٤١
ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع كلمات ٢٠٢
ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته ٣٢
ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم ١٧٢

- ج -

جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر ....
١٨٢
جشاء ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد ٣٥٦

- ح -

حاج آدم وموسى ٢٥٧
حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا ٨٧
حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه ٣٦٣
حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه ٣٠٤
حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب رسول الله ﷺ ....
٣٢٠

حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار **٢١٥**

حسبي الله ونعم الوكيل **٢١٥**

الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس **٤١٥**

- خ -

خرج رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر ....

١٨٦

خط لنا رسول الله ﷺ خطًّا .... **٢٦، ٧٧، ١٥٩**

خلقت الملائكة من نور **٢٣٦**

خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونه **٣٢**

خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم **٣١**

- د -

دع ما يريبك إلى ما لا يريبك **٣٩٩**

دعه، فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته **٢٠**

- ذ -

ذكرك أخاك بما يكره **٤١١**

- ر -

رأى محمد ﷺ جبريل، له ستمائة جناح ....

٢٣٨

رأيت الجنة والنار **٢٧٨**

رأيت رسول الله ﷺ يضع إبهامه على أذنه، والتي تليها على عينه ٣٠٣
رأيت رسول الله ﷺ يقرؤها ويضع إصبعيه ٣٠٣
رأيته منهبطًا من السماء سادًا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض ٢٣٨
ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها ٤٠٢

- س -

سيكون في آخر الزمان دجالون كذابون ٩٤
سيكون في آخر أمتي أناس دجالون كذابون ٩٤
سئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين ١٩٢

- ش -

الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ٤٠٧

- ص -

صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته ٣٨٦
صل قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب ٤٠٠
صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعةً واحدةً ٤٠٢
الصلاة جامعة ٤٠٤
صلوا كما رأيتموني أصلي ٤٠٠

الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان ٤٠٠

- ع -

على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ٣٦٠

غزونا مع رسول الله ﷺ لست عشرة مضت من رمضان ....
٣٨٨

- ف -

فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ٣٣٦

فأجملوا في الطلب في الحلال، وترك الحرام ٣٣٥

فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مسندًا ظهره إلى البيت المعمور ....
٢٤١

فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه ٧٣

فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة ١٠٥

فإن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ٢١٩

فإن سعدًا كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية ٢٢٦

فإن صلة الرحم محبة في أهله، مثراة في ماله، منسأة في أثره ٢٢١

فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم ١٥٨

فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا .... ٣٣، ٤٠

فأولئك الذين سمى الله؛ فاحذروهم ٧٣

فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق ٢٥٨

فتخرج له بطاقة، فيها: أشهد أن لا إله إلا الله ٣٤٨
فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه ٣٣٩
فحج آدم موسى .... ٢٥٧، ٢٥٨
فحرزوا أموالكم بالزكاة ٢١٩
فرارًا من قدر الله ١٨٧
فضحك عبد الله، حتى بدت نواجذه ٣٠٥
فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة ٣٤٨
فعليكم بالدعاء عباد الله ٢١٨
فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين ....٣٣، ٤٠، ١٥٨، ٣٧٦
فغشيها ألوان لا أدري ما هي ٢٧٧
فلم أرهم يعدلون بعثمان ٣٨٠
فما رأى المسلمون حسنًا، فهو عند الله حسن ٣٧٩
فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاةً إلا تعوذ من عذاب القبر ....
٣٤٠
فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ٣٩٩
فمن قال عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار ٩٤
فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ٢٨٠
فنعش العلم ثبات الدين والدنيا ٤٣
فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة ٢٧٩

فوجدتُّها كُتِبَ عليَّ قبل أن يخلقني، ثم تلومني ٢٥٧
فيما العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام، ١٩٨
فينشر عليه تسعةً وتسعين سجلاً، كل سجل مد البصر ٣٤٨

- ق -

قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها ٣٦٨
قد سألت الله لآجال مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة ٢٢٣
القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم ٧٣
قل آمنت بالله ثم استقم .... ٢٨، ١٥٨، ٤١٥
قل قدر الله وما شاء فعل ٢٦٥
قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر ١٠٤

- ك -

كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات ٣٢١
كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ١٠٤
كان جبريل ينزل على النبي ﷺ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن ٥٥
كان رسول الله ﷺ يتعوذ من جهد البلاء ....
٢٢١
كان رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمر رضي الله عنهما، يصلون العيدين قبل الخطبة ٤٠٣
كتاب الله، وسنتي ٤٠

كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض .... ١٩٥، ٢٧٢
الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله ١٦٩
كل شيء بقدر، حتى العجز والكيس، أو الكيس والعجز ١٨٢
كل عامل ميسر لعمله ١٩٩
كيف تركتم عبادي؟ ١٧٢

- ل -

لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم ٣٦٤
لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد «حاشية» ٣٧٨
لا تستبطئوا الرزق؛ فإنه لم يكن عبد يموت حتى يبلغه آخر رزق ٣٣٥
لا رأي لأحد مع سنة سنها ﷺ ٤٣
لا طاعة في معصية، إنما الطاعة في المعروف ٣٦١
لا علم لي بها ٨٦
لا يبصقون فيها، ولا يمتخطون، ولا يتغوطون ٣٥٦
لا يدخل الجنة نمام (قتات) ٤٠٨
لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر ٢١٧
لا يزيد في العمر إلا البر، ولا يرد القدر إلا الدعاء ٢١٧
لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ٢١٧
لا، بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير ١٩٨
لا، ما أقاموا فيكم الصلاة ٣٦٣

لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع ٣٦٣
لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به ٤١
لله أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن، من رجل في أرض دوية مهلكة ٣٠٦
لن يدخل أحدًا منكم عمله الجنة ٢٨٣
لن يعجل شيئًا قبل حله، أو يؤخر شيئًا عن حله ٢٢٣
لن ينفع حذر من قدر، ولكن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ٢١٨
الله أعلم بما كانوا عاملين .... ١٩٢، ١٩٣
اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا ٤٠٦
اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته «حاشية» ٢٢٤
اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ٣٤٠
اللهم اهدني فيمن هديت ٢٢٠
اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ٢٢٧
اللهم رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض ٢٤٥
اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت ١٦٦
اللهم، اشهد، اللهم، اشهد .... ١٧٢، ٣٠٧
لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا ٢٧٧
لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ٣٣٩

- م -

ما أنا عليه اليوم وأصحابي ٣٢

ما أنزل الله داءً إلا وأنزل له شفاءً ٢٠٧
ما تعدون أهل بدر فيكم ٢٤٠
ما من عبد يسترعيه الله رعيةً، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته ٣٦٢
ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان ٣٥١
ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة ٢٠٣
ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها ٢٠٧
ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار .. ٢٨٠
ما نزل يكشفه وما لم ينزل يحبسه ٢١٩
ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم ١٥٨
ما يُصريني منك، أي عبدي ٣٠٥
من أحب أن يوسع الله عليه في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه ٢١٩
من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رد ٣٦٧
من أفضل المسلمين أو كلمةً نحوها ٢٤٠
من أنا؟ ١٧٢
من تقول عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار ٨٦
من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ ٣٢٩
من ذا الذي يسترزقني فأرزقه؟ ٣٢٩
من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ ٣٢٩
من ذا الذي يستكشف الضر فأكشفه عنه؟ ٣٢٩

من زعم أن محمدًا ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ٢٣٨
من سره أن يمد له في عمره، ويوسع له في رزقه، ويدفع عنه ميتة السوء .. ٢١٨
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد ٣٦٧
من قال عليَّ فلا يقولن إلا حقًا، أو صدقًا ٩٤
من كذب عليَّ متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار ٨٦
من كل الليل قد أوتر رسول الله ﷺ من أول الليل ٤٠٢
من يدعوني، فأستجيب له من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له ... ٢٣٤
المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ٢١٠

- ن -

نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ٣٠٧
نعم ما قال ابن عمر: سئل عما لا يعلم، فقال: لا علم لي به ٨٦
نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله ١٨٧
نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها ١٠٤
نعم، عذاب القبر ٣٤٠
نعم، وفيه دخن ١٠٤
نفث روح القدس في روعي ٣٣٧
نفر من قدر الله إلى قدر الله ٢٠٨

- هـ -

هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ٢٤١
هذا رسول رب العالمين جبريل نفث في روعي ٣٣٧
هذا سبيل الله .... ٢٦، ٧٧، ١٥٩
هذه سبل متفرقة .... ٢٦، ٧٧، ١٥٩
هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم ٢٢٩
هل رضيتم؟ ٣٥٥
هلك الكراع، وهلك الشاء، هلكت الأموال، وانقطعت السبل ٢٣٣
هلموا إليَّ ٣٣٧
هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا ١٠٤
هي الجماعة ٣٢

- و -

وأدناها إماطة الأذى عن الطريق .... ٢٨٨، ٢٩٢
وإذا أبغض عبدًا دعا جبريل ٣٠٦
وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته ٢٥٨
والحياء شعبة من الإيمان .... ٢٨٨، ٢٩٢
والرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول عنهم ٣٦١
وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة ٢٠٧
وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ٢١٠

وإن أفضل ما تمسكنا بالأثر ٤٢
وإن الدعاء والبلاء ليعتلجان إلى يوم القيامة ٢١٧
وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار ٤١٠
وإن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ٤١٣
وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ٣٦٤
وإن شئتم أن تكون لكم طهورًا ٢٢٣
وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرًا بواحًا ٣٦٣
وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟ ٣٠٧
وانقل حماها فاجعلها بالجحفة ٢٢٧
وإنه أتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد أفق السماء ٢٣٨
وأولاد المشركين ١٩٣
وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة ٣٦٨
وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ٣٢
وخلق آدم مما وصف لكم ٢٣٦
وخلق الجان من مارج من نار ٢٣٦
وداووا مرضاكم بالصدقة ٢١٩
وعرشه على الماء ٢٧٢
وعليكم بالصراط المستقيم؛ فإنه الإسلام ٤٢
وعليكم بسنة نبيكم والذي كان عليه أصحابه ٤٢

وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به .... ٤٠، ٣٠٧
وقني شر ما قضيت ٢٢٠
وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة ٢٤٠
وكل ضلالة في النار ٤٠
ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة ٢٨٣
ولا تحرفوا الصراط شمالًا ولا يمينًا ٤٢
ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن ٤٠٠
ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعصية الله ٣٣٧
ولكن قل قدر الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان ٢١٠
ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ٨٧
ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بد ٥٢
ولن يتفرقا حتى يردَا عليَّ الحوض ٤٠
ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب في النار، أو عذاب في القبر ٢٢٣
وما رأوا سيئًا فهو عند الله سيئ ٣٧٩
ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة ٧٤
ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ١٧٢
ويخونون ولا يؤتمنون ٣١
ويظهر فيهم السمن ٣١
ويلك ومن يعدل إن لم أعدل ٢٠

وينذرون ولا يوفون ٣١

- ي -

يا أبا ذر، كما أنت حتى آتيك ٥١
يا أمير المؤمنين، لو ركبت برذونًا يلقاك عظماء الناس ووجوههم ٣٠٧
يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، كل خالد فيما هو فيه ٣٥٨
يا أيها الناس إياكم وكثرة الحديث عني ٩٤
يا رب أدخلني الجنة ٣٠٥
يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن ١٩٨
يا نبي الله، أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا ٣٦٥
يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم، ولا آباؤكم ٩٤
يأخذ الله عز وجل سماواته وأرضيه بيديه ٣٠٤
يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ١٧٢
يدخل الله أهل الجنة الجنة، ويدخل أهل النار النار ٣٥٨
يكون في آخر الزمان دجالون كذابون ٢٧
ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول ٢٠٢
ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا .... ١٧٧، ٢٣٤
يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام ٢٤١
يوم القيامة كقدر ما بين الظهر والعصر ٣٥٠

فهارس الموضوعات

مقدمة الشيخ أحمد سليمان ١
مقدمة الشيخ محمد عبد العزيز ٣
مقدمة المصنف ٧
مقدمة بين يدي الكتاب «مدخل» ١١
العنصر الأول: تعريف الفُرقة والفِرقة ١٢
العنصر الثاني: الفرق بين الفِرَق والمذاهب ١٣
تعريف العقيدة ١٣
العنصر الثالث: الفرق بين الاختلاف والافتراق ١٨
ضابط في الحكم بالافتراق ١٩
العنصر الرابع: نشأة الفرق ٢٠
العنصر الخامس: أساسيات مهمة في دراسة العقيدة الإسلامية قام عليها السلف الصالح وخَلَفُهم ٢٤
تعريف الفكر ٢٤
تعريف المنهج ٢٥

الأساس الأول الذي يقوم عليه منهج السلف الصالح رضي الله عنهم والأدلة على ذلك ٣٥

الأساس الثاني: الرجوع إلى فهم السلف الصالح لنصوص الكتاب والسنة ٥٠

الأساس الثالث: عدم الخوض بالعقل المجرد في المسائل الاعتقادية وغيرها ٥٣

الأساس الرابع: الجمع بين أطراف الأدلة في الباب قبل دراسته وتقرير ما فيه من حكم أو مسألة ٦٧

الأساس الخامس: عدم مجادلة أهل البدع، وهجرهم وعدم مجالستهم، أو سماع كلامهم، أو عرض شبههم والرد عليها .. ٦٩

مسألة في الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع ٧٦

القول في الدين بجهل أو بغير علم وأسبابه ٨٤

الجهل باللغة وأساليبها ٨٦

الجهل بالسنة ٩٣

الكلام في القرآن بالنظر ٩٤

اتباع الهوى ٩٥

الأسباب المعينة على انتشار البدع ٩٩
الأساس السادس: الحرص على جماعة المسلمين وإمامهم ووحدتهم، والبعد عن مخالفتهم ومفارقتهم ١٠٢
مسألة في التأويل ١١١
معنى التأويل ١١١
سبب التأويل ١١١
فرع: وهو التكفير بالإلزام، أو بلازم القول ١١٧
مسألة في الرواية عن المبتدع ١١٩
البدعة المكفرة ١١٩
البدعة الغير مكفرة، مفسقة ١١٩
مسألة في نشأة علم الكلام وأسباب نشأته ١٢٢
مسألة في الحكم العقلي ١٢٤
ترجمة المزني ١٣٠
النسخ المعتمدة وعملنا في الكتاب ١٣٨
صور النسخ الخطية ١٣٩
بداية الكتاب ١٤٥

المسألة الأولى: العلو ١٩
معنى التفويض ٢٥
العلم بصفات الله ٢٥
صفة الاستواء عند أهل الكلام ٢٧
أقسام المعية ٢٨
المسألة الثانية: الإيمان بالقضاء والقدر ٣٢
التعريف بالقضاء والقدر ٤٠
أركان الإيمان بالقدر ٤٢
مسألة في ليلة القدر والتقدير اليومي ٥٢
مسألة في الدعاء والقدر، وهل يرد الدعاء القدر، والرد على شبه أهل الباطل ٥٤
فائدة في الفرق بين الدليل والشبهة ٦٧
شبهةٌ ٦٨
المسألة الثالثة: الْمَلائِكَة ٨٩
سؤال: متى خلقت الملائكة ٩٠
المسألة الرابعة: آدم عليه السَّلاَم ١٠٣
مسألة في ذكر قصة آدم من خلال ذكر الآيات ١٠٥
مسألة في المحاجة بين موسى وآدم عليهما السلام ١١٠

توضيح الإشكالات التي وردت في محاجة آدم لموسى عليهما السلام
.... ١١٢
مسألة في وقت المحاجة بين آدم وموسى عليهما السلام ١٢٤
مسألة في وقت الكتابة ١٢٥
المسألة الخامسة: أعمال أهل الجنة والنار ١٢٧
مسألة: في أن الجنة ليست ثمنًا للعمل ١٣٧
المسألة السادسة: الإيمان ١٣٩
معنى الإيمان لغة وشرعًا ١٣٩
الإيمان عند الفرق الضالة ١٤٤
مسألة تتعلق بما إذا سئل الرجل، هل أنت مؤمن؟ فبماذا يجيب؟ ١٤٧
المسألة السابعة: القرآن كلام الله ١٥١
هل يجوز التوقف في مسألة القول في القرآن؟ ١٥٤
المسألة الثامنة: الصفات ١٥٧
مسألة: في قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ
.... ١٧٧
اتفاق أهل السنة على تحريم التأويل بإخراج نصوص الصفات عن ظاهرها
.... ١٨٣

منشأ ضلال الأشاعرة والمعتزلة وغيرهم من الفرق الضالة في الأسماء والصفات ١٨٤
المسألة التاسعة: الآجال ١٨٦
المسألة العاشرة: القبر ١٩٣
المسألة الحادية عشر: النشور والحساب ١٩٨
المسألة الثانية عشر: الجنة والنار ٢٠٨
المسألة الثالثة عشر: طاعة الأئمة والأمراء، ومنع الخروج عليهم ٢١٤
المسألة الرابعة عشر: الإمساك عن تكفير أهل القبلة ٢٢٢
فرع في العذر بالجهل ٢٢٦
والحجة على العباد تقوم على شيئين ٢٢٧
المسألة الخامسة عشر: الصحابة رضي الله عنهم ٢٣١
المسألة السادسة عشر: الصلاة وراء الأئمة والجهاد معهم.. ٢٣٧
المسألة السابعة عشر: قصر الصلاة والاختيار بين الصيام والإفطار في الأسفار ٢٤١
هل القصر في السفر واجب أم سنة؟ ٢٤٢
ما الحكم إذا سافر سفر قصر فأتمَّ عمدًا؟ ٢٤٣
هل الصوم أفضل أم الفطر أم هما سواء؟ ٢٤٤

المسألة الثامنة عشر: اجتماع أئمة الهدى الماضين على هذه المقالات ٢٤٦
خاتمة الرسالة، وبعض المسائل المتعلقة بالسنن والمكتوبات ٢٥٤